تفسیر بیضاوی

تفسیر بیضاوی

انوار التنزیل

رب يسر بسم الله الرحمن الرحيم وتمم بالخير

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعلمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع
الخطبا من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان
حتى حسبوا انه سحر تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسب ما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته و
ليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك
والملكوت وخبايا القدس والجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من
نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما وسيصلى سعيرا فيا واجب
الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من
اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا
تسليما كثيرا اما بعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس
العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع
في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطال
ما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من
افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين

والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب
في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته فها انا الآن
اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سؤل ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل
واسرار التأويل

سورة فاتحة الكتاب مكية سبع آيات وتسمى ام القرآن [illegible]

لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من
الثناء على الله عز وجل والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والا
حكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية
والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او
استحبابها فيها والشفاء والشافية لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق
الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت
بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة
والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله فيه بشيء فظن انها ليست من السورة
عنده وسئل محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنه عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى لنا احاديث كثيرة
منها ما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله
الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
رب العلمين آية ومن اجلها اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله
تعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف
تقديره بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك
اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول هنا اوقع
كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد ولانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود
فان اسم الله تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر

باسم تعالى لقوله عليه الصلوة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة
والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه
ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت
لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام التاكيد والاسم عند اصحابنا البصريين من
الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل
لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء
سُم كهدى لغة فيه قال الشاعر والله اسماك سما مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد
واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوض
عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته
سِم وسُم قال بسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة
ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء
فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته
وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة
عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك
والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال
وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله
بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الهة
والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من الهت
الى فلان اذا سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل
عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه اذا اطلق على غير الله تعالى كاطلاق اسم الاله
على الصنم او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط
عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء
واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى
محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها

لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته
ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن
فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل
في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال
الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل
عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا
ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين
الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم
لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح
اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما بارك الله في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة
من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل
والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال
دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء يدل على زيادة المعنى كما في قطع
وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا
لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان
النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى
الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في
الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل الثواب
او جميل الثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها
والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع
الى غير ذلك من خلق الله لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما
خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه
بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء
ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها
وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره

الاستعاذة بعون الله الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على
الجميل مطلقا يقال حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان
والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو
اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما
في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلوة والسلام الحمد راس الشكر ما
شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب
وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر
التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كل احد ان الحمد ما
هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم
من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ
الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العلمين
الرب في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالعدل والصوم
وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه
ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم
به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده
وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كساير اوصافهم
وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس
ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم به
الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقرئ رب العلمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات
كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها هي مفتقرة الى المبقي حال بقايها الرحمن الرحيم كرره للتعليل
على ما سنذكره مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا
تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك يوم الدين وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين
ولقوله تعالى لمن الملك اليوم لله ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من
الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ

الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف و
ملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى
العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق
الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحب الجنة اصحاب النار او له الملك في
هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل
الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء
هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعلمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها
واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه
على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف مشعر بعلية له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف
بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان
ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس
يصدر منه الايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص
فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك
نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن ساير الذوات
وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون
ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار
عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر
والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى
بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها
اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول
من اسلوب الى اخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم
وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه وقول امرء القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وايا ضمير منصوب منفصل
وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كا

في انت والكاف في اريتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين
فاياه واياالشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر
النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها
هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية
الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها
فالضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند
اجتماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل و
يسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه
صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ
ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم
وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم
والاهتمام والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو
مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة
لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف
انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا
حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين
قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه على نبينا وعليه الصلوة والسلام حيث قال ان معي ربي
سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليوافق
رؤس الاي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة
الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة
ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك
وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حرف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها
**اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا
او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى
صراط الجحيم على طريق التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان

يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى
تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن
المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل
الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى
بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف
على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام او المنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله
الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه
فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي
ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان
بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك
سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاء
ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون
بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث و
المستقيم وهو المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم**
بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد
والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعله كا
التفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق
المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف
والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذ بها
الانسان فاطلقت لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان
روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق
البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن

عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلى المستحسنة
وحصول الجاه والمال والثاني ان يعفوا ما فرط منه ويرضى عنه ويبوّيه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد
الابدين فالمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا ذلك مشترك
فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** بدل من الذين على معنى ان المنعم
عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين
النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين النعمة السلامة من غضب الله وذلك انما يصح باحد تاويلين
اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله شعر ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم
اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم
عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير في عليهم والعامل
انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة
الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نايب
مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب
عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل
ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض
والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب
عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان
يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب
عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد
الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين **آمين**
اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا
قال آمينا وقال امين فزاد الله بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه
الصلوة والسلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه
قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما

روي عن وائل بن حجر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته
وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه لا يقوله والمشهور انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس رضي
الله عنهما والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلوة والسلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا
آمين فان الملائكة تقول والامام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم
من ذنبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة
لم تنزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني و
القران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم العذاب اربعين سنة

## رب يسر سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست وثمانون اية وتمم بالخير

### بسم الله الرحمن الرحيم

**الم** وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركب منها الكلم لدخولها في
حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح
الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلوة والسلام قال من
قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف
وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي
ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون
تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها
العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب
مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة هؤلاء واين ثم
ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا
لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من

عند فيه لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما
يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما
من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما
وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفايق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة
عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة
بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف
الاعتماد على مخرجها ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين و
الكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت
طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة
التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي
تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا
ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء
والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي
احدى عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة
المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في
صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية
عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب
وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء
والفاء والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر
الحاء والقاف والكاف والراء والسين والنون واللام لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة
التي لا يدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية
التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين
والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا يتجاوز عن السباعية ذكر
من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم
وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية

وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا
الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف
واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بلا حذف
كمن وبه كلم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو
وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة
في ثلث عشر سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال
ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها
فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القران لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه
والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء
السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم يكن وحيا من الله تعالى
لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد
ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى
بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة
على انقطاع كلام واستيناف كلام اخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر
في قوله قد قلت لها قفي فقالت لي قاف كما روي ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام
لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في
ساير الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القران منزل من الله تعالى
بلسان جبرئيل على محمد عليهما السلام والى مدد اقوام واجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا
بما روي انه عليه السلام اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف تدخل في دين مدته احدى
وسبعين سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا
خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب وتقريرهم على استنباطهم دليل على
ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات
كالمشكاة والسجيل والقسطاس او تكون دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها

بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب
لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي
تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الاسماء لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستيناف تلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك
ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ
واما قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب
وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني
دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه
تبسم صلى الله عليه وسلم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار
اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا
انتثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من اسماء الحروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر
باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها
اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي
الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ
المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي
ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثره الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء
الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم
يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان
لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم ويأتي الاعراب لفظا والحكاية فيما
كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا
ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او
الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون
جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من

الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت لا تحتاج الى ما بعدها و
ليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم
وحم ويس آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيفي لا مجال فيه للعقل **ذلك الكتاب**
ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى
او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد
بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود
انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي
المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب
واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب
العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا
في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة
ومدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف
الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس و
اضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان
الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق
والهدى في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة
في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب و
اختصاصه بالمتقين لانهم هم المهتدون به وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر
وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في
تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا
ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين
المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم
لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك

وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية يحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران او السورة او مقدر بالمولف منها وذلك خبره وان كان اخص من المولف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المولف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان تكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين ساير الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المولف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير

على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح و تخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه الصلوة والسلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج خارج من الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلفوا في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن احد

افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة **ويقيمون الصلوة** اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه الى الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** ⊙ الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق هنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه الصلوة والسلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفاق الشيء وانفاده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول

به للاهتمام والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوف على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكأنه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة اشارة بذكرهم ترغيبا لغيرهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ وينزل به فيلقيه على الرسل والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب حينئذ منزلا كله وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل واحد يوجب الحرج وتشويش المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** ⊙ اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل

قوله تعالى تلك الدار الآخرة غلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ
يوقنون بقلب الواو همزة لضمها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان
لموسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ** الجملة في محل الرفع ان جعل احد
الموصولين مفصولا من المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله
الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستيناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب
سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم
حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف
باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له
ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بمن اعتلى الشيء وركبه وقد
صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة
النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم وكانه اريد به
ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت
على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة **وَ**
**أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل
واحد من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين
ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه
بالبهائم شيء واحد وكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر من
الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك
والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك
انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تامل
كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة
للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء
اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد
بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا

ان الذين

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح
عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف
قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض
فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال
وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه و
المتعدي خاصة في دخولها على الاسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني
ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية
مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط
بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي
القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب
العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه
وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي
لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم
غير المصرين بما اسند اليه وهو سواء عليهم والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو
الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمر كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول
به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول
عليه الصلوة والسلام لا يجترئ عليه ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء
في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه
لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** خبر ان وسواء اسم
بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان
وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده
بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق
واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد
اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا ويوم ينفع الصدقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من

ان قاله وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه
لتقرير معنى الاستوا كما جرد حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
والانذار التخويف اريد به التخويف عن عقاب الله تعالى وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب
واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم
النفع اولى وقرى وانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان
المتحرك لا تقلب ولانه يودي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **لا يومنون**
جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال موكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها
قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى اخبر
عنهم بانهم لا يومنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا يستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشي او عدمه
ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعدم العلم بانه
لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضيلة الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك
كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد
بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى**
**ابصارهم غشاوة** تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم والكتم سميا به الاستيثاق من
الشي بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى انه فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة
من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشي كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية حقيقة
في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب
غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم لا ينفذ فيها الحق واسماعهم
تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي لها الايات المنصوبة في
الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين
الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المأوفة بها باشياء
ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها فانثنت لها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع
في قوله تعالى اولئك الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا

تطع من اغفلنا

تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث
ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها
مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا
ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرت
المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك
في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل
حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها او
نظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة
فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه تعالى اسناد الفعل
الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم
سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم
وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية
لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الاخرة
وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وتنفر
عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى
سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما
لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع
الجهات وادراك الابصار لما اختص من جهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة
بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد
السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف
مثل وعلى حواسهم سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة
وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية
وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى

لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير
وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على
الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال
الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما
لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة
**ولهم عذاب عظيم** ۝ وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب
عن الشيء ونكل عنه اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي
نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة
فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم
نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى
التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في
الاية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام
نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر** لما افتتح سبحانه
تعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم
السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث
المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم
اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول
في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال
وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة
المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض
عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا
شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون
بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه
للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد كانه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود هم
الذين كفروا ومن موصولة يراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق

دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم
تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا يكون الاية
تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود
الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم
منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهود
وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة
لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل
ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء
الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول
وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت
الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة
**وما هم بمؤمنين** ۝ انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق
قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج
ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي
بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه
جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من
تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في
الثاني فلا ينتهض حجة عليهم **يخادعون الله والذين آمنوا** الخدع ان توهم غيرك خلاف
ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده او من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب
خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع
للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله
تعالى ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة
رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال
عز شانه من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان

صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين امر الله تعالى في اخفاء حالهم واجراء احكام الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل
صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف
بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى
غولب فيه فاعله كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة
من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان
يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم
ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع
وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم
لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية
وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون
بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس
ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها
به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره
وتشير عليه والمراد بالانفس هنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم وما يشعرون
لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس
الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصل الشعر
ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن
الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء
العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال
الحيوة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة
وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه الصلوة والسلام واستعلاء شأنه يوما فيوما
وزاد الله تعالى غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد
ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله تعالى ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي

وتضاعف

وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسناده الى
السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من
الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم
وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم ● اي مؤلم
يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة
قولهم جد جده بما كانوا يكذبون ● قرأها عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف والمعنى
بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم امنا وقرأ الباقون يكذبون من كذب لانهم كانوا يكذبون
الرسول عليه الصلوة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة
او للتكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه
فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو عليه وهو حرام كله لانه علل به استحقاق
العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما
شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول
وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل و
سيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء
عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب و
الفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من
الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما
يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين وقرأ الكسائي
وهشام قيل باشمام الضم قالوا انما نحن مصلحون ● جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة
والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد
لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم
تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ● رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف
به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا
دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة

بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف وتوسيط
الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون
واذا قيل لهم امنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي و
هو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا كما امن
الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به
الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل
لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان
ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد
والمراد به الرسول ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالا
خلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان
ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما امن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها
الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير
شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال وخباب او للتجلد وعدم المبالاة بمن
امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة الحلم وسخافة راي يقتضيهما
نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة
في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر
السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق
وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة
فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر
من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم

ماخلا

ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا
صادفته واستقبلته ومنه الفيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى
شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك
ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد
بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة
في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن
اذا بعد فانه بعيد من الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن
اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية
والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية
تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به
المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوا
مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر
على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا
لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك و
الاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الهزء
من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف
الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة
اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ
بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ
اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي
في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد
عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف
ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه
به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء
يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم يفتنون

في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه

ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي

لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويُمِدُّهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله

الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طريق التوفيق على انفسهم فتزايدت

بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم

طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد

الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشيطان اطلق الغي وقال واخوانهم

يمدونهم في الغي وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا

وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم

استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد

في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه

في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال

شعر اعمى الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اختاروها

عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا

تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة

الثمن فباذله مشتري وآخذه بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في

يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا

الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل

للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس

عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت**

**تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم

ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة واسناده الى التجا

رة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران

**وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة اصل المال والربح و

هؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا

هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى ادراك الحق

ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا**

لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم

الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في

كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مَثَل ومِثْل ومثيل كشَبَه وشِبْه وشبيه ثم قيل

للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير

لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل

الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم

كالذي خاضوا ان جعل مرجع بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القايم مقام القايمين لانه غير

مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو

كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح

بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه

مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في

اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد

طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا

اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية

والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة

في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول

لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما

قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد بايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما

بالهم شبهت حالهم بحال المستوقد الذي انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير

على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس و

اسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح

او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك

يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي

سو مقتضي اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما سمي نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى له مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقولهم وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط وظلمة سخط العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح والمتروك وكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى النعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقولهم صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريده واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائي ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية تذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين

فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدءوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ باقاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامة مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف

حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون
اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت
عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق الصعق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال
صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين
في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على
العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت
والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا
يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف
ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة
وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى
موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون
فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل
عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لاشتراكهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ
بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء
ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم
عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك
واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في
مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من
المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما
ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا
وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول
لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله

فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني
ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما
يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها
مرتبط باسبابها واقع بقدرته تعالى وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح
به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول
الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله
وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما
بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر
عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد
الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة
عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على
ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع
الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال
حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل
شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من
مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار
في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابده
من انطفت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق
خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى
فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه
في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن
الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم

على القرب باهلاككم وافشاء حالهم وابقايهم في الخسار اللازم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب
بنورهم والثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق
من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكن لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا
عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر
الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة
الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف
ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل
شبه الايمان والقران وساير ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي
به حيوة الارض وما ارتكبت بها من شبه المبطلين واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات
وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد
بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى
والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح
ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم
اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع
والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن
الفوايد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس
اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل
الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة
بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا منزلة البعيد اما لعظمته
كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له
وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام
فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا
وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه
من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم
عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم

حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملئكة
كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول
لفظا ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه عليه الصلوة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه
شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان
كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار
ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة و
فالمطلوب من الكفار الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان
من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع
وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها
وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم
والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص العبادة بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة
التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصل التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات والزمان منصوب معطوف على الضمير
المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموت والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ
من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم
تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون ۝ حال عن الضمير في اعبدوا كانه قال
اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك الفايزين المتقين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله
تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى الى الله تعالى
وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا و
طمعا ويرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم
ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب
المخاطبين على الغايبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا
كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل
على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال

19

بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه
من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية
او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه
بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب
وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى
الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد
اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها
وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينامو عليها
كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع
جرمها لا يابى الافتراش عليها كالجبل والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على
الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة
او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيته لكن
جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة
صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد
من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس
الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكما يجدد فيها لاولي
الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد
بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدا من السماء الى السحاب ومنه الى
الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى
جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف
المنكرين له اعني ماء ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما
ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة
بستانه ويؤيده قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض
كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم

صفة رزقا

صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا
لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل
على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا
لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي
جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت
عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي
ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند
ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي المماثل
في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته
لا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من
يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم
من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية
زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى
جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون
مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى
اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو
انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل
المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن
الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية
اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في
معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول
والمشروب ثم لما كانت هذه الامور لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن
الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة
الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن

بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة
بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوي النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج
القوي السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل
حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق
الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته
التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع
كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن
انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر
والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب
تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على
انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة المترجمة من القران التي اقلها
ثلث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القران
مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي
هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى
فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من
الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع
وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة
نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ
حظا من القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى
غيرها من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة
عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة
كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد
والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة من مثله ولسائر ايات التحدي ولان الكلام
فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان
ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به هذا

او من مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته
ولا يلائم قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي
ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله
شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين
الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب
فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى
حد وتخطي امر الى اخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا
يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت
وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم
معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله او وادعوا من دون
الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز
عن اقامة الحجة او بشهدائكم والمعنى ادعوا الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او الهة وزعمتم انها
تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك
القذى من دونها وهي دونه اذا ذاقها من ذاقها يتمطق ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد
في معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب
ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما
اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه
ما قبله محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك
عن دلالة او امارة لانه كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقد مطابقته ورد بصرف
التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر
الرسول عليه وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته
وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا

الكيف اي الاتيان بسورة مماثلة للقران مع

العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء
منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز
وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى لم
يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم وخطابا معهم على حسب
ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع
متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه
قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب
عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت
الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه و
سمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين
بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف المضاف اي وقودها احتراق
الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها
انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه
او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون
بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو
تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث يتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت
يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه فلعله عنى به ان الاحجار كلها
لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعدما نزل بمكة قوله تعالى
في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب
ان تكون قصة معلومة (أعدت للكافرين) هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد
بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا من الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا
للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض
على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض
اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم

يتصد

يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب
على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر
والثالث انه عليه الصلوة والسلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة
ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن (وبشر
الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن
ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب
بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب
ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد
التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب النار ومن آمن به استحق الثواب وذلك
يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه الصلوة والسلام او عالم كل عصر
او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا
بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون
استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر
الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من
اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه
وتانيثها على تاويل الخصلة والخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما
اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي
هو عبارة عن التحقيق والتصديق أس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه و
لذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة من مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف
على نفسه ولا على ما هو داخل فيه (ان لهم جنات) منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او
مجرور باضماره مثل الله لافعلن كذا والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب
على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة قال زهير كان عيني
في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة

المظلة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان
النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن
عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوي ودار السلام وعليون
وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام يدل على استحقاقهم
اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان
يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضي وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر
عليه حتى يموت وهو مومن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه
لم يقيدها هنا استغناء بها **تجري من تحتها الانهار** اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت
الاشجار النابتة على شواطيها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس
كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها
انهار من ماء غير اسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد
الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا
هذا الذي رزقنا** صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم
جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف
ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين
رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات و
ابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال الاولى ويحتمل ان يكون من
ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر
جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه
وان كانت الاشارة الى عينه والمعنى هذا مثل الذي رزقنا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل
ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة رحمهما الله عليه **من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر
الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليها اول ما ترى فان الطبايع مائلة الى المالوف متنفرة من غيره
وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان

فصاحب الحال الاولى رزقا

طعامها متشابه الصورة

طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يوتى بالصحفة فياكل منها ثم يوتى باخرى
فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه
عليه الصلوة والسلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها
فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك
والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى
ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة
**واتوا به متشابها** اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه
مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما اي بجنس الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو
مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت
التشابه بينهما حاصل في الهيئة واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان
للاية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما
في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد
**ولهم فيها ازواج مطهرة** مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس
الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان
فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفاعلات وفواعل قال واذا العذاري بالدخان
تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة
بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا
طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من
جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضر الجوع وفائدة المنكوحة التوالد
وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك
نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة و
التمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم
فيها خالدون** دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل

للاثافي والاحجار خوالد للجزاء الذي ينبغي من الانسان على حالها ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام
كالتقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب
اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق
الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به هنا الدوام عند
الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية
معرضة للاستحالة المؤدية للانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه
تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متفاوتة في الكيفية
متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض
كما نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل
وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح
على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها
خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في
الاخرة باتم ما يستلذ منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم
والسرور **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** لما كانت الايات السابقة متضمنة
لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق
الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل
انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد
فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان
من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
واشارات الحكماء فيمثل الحقير كما يمثل العظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل
غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب
اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال
المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت
العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر
الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر

ووعد من امن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب
المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم
وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار
النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل
حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت حشاه ونساه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث
ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم اذا رفع العبد يديه اليه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة
المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الاية
خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع
على الشيء وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند
سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني
كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني باللمزيد
اللغو الضائع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد
له وثاقة وقوة زيادة وهو في الحذف غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب
ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر
مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى
تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية
هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به
المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار ودينارات والبعوض
فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها** عطف على
بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد
ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي
جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في
الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتملهما
تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كجناح البعوضة لقوله عليه الصلوة والسلام ما اصاب
المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم
اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد
فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء
على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها على الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي
تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكفرة على قولهم والضمير في انه للمثل
او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة
من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه فاما الذين
كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه
على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية
وذا بمعنى الذي وما بعده صلة والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل
على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة
نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله
وكلا المعنيين غير متصور في اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا
مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح
فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب
هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او
الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير
وهداية كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان
العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد
من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال
كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين
باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عد وكثير اذا اشتد وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما
غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم

الفاسقون

الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا
عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي
وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود
وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس
الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى
الايمان ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار
والعمل والكفر والتكذيب بالحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين المنزلتين المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد
منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال
وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم الباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة
المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤوا به وقرئ يضل على البناء
للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض
فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من
ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من
روادفه وهو ان العهد حبل في اثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه
الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى و
يتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد
اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وتصديق
رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول
مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد
اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من
بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده
من الآيات والكتب وما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان
ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى
كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق

وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد
المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع
الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان
وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما
او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع
الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن
النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر
في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب
كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق
البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم
ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب
مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم
مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما
لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها
فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند
تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون
بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان
قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم
بهما لما نصب لهم من الدلائل نزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو
انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع
القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك
بان عدد عليهم النعم يوجب عظم معصية المنعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعد
عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد الاماتة من النعم
المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة
لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع

حالا هو العلم بها كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع
حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر
وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة
الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في
القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها
ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعلم والعقل والايمان من حيث انها كمالها وغايتها
والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال واعلموا ان
الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف
بها الباري تعالى وتقدس اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى
قائم بذاته تقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد
اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم
باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها
من لذات الآخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة
الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة
فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها
بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل
الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه
من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام
العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله
تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستأنف
بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا ثم الارض وتدبر امرها بعد ذلك

لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان
فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات
بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان
صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليه العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء
عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه
الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الا
فعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في
صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن
مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى
وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما
الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات
يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فلانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار
الى وجه اثباتها بانه قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم
وانه خلق ما خلق مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك
دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع برواية قالون وابو
عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل
في الأرض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان
امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا
لزمان نسبة مستقبلة يقع فيها اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها
لهما بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير
المتصرفة كما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا
فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا
له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا
فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل

كالشمائل جمع شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط
بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات
موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال
مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة
البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة
الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله
فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى
الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم
المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة
كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن
فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم
في الجزائر والبحار والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال
ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء
فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم
في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل
لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه
السلام في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وعلى آله وبارك وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم
لما عجز من قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب
لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم
او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في
قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم
شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه
من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر

القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف
لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عليهم من الحكمة التي
بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض
على الله تبارك وتعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط
عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن
انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في
الصب عن فم القربة ونحوها وكذا السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل
موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة
لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف عصاة ونحن معصومون
احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في
الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية
وغضبية تؤديان الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا
ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما
باعتبار العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل
واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى
والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج
منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله
قال اني اعلم ما لا تعلمون ○ والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض
والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار
وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم
اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك اي نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد
المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس
عن الاثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم ادم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء
في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال

علمته

علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة والادمة بالفتح بمعنى الاسوة
او من اديم الارض لما روي عنه عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى قبض قبضة من جميع الارض
سهلها وحزنها فخلق منها ادم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق
ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا
في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد
الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في الاية اما الاول او الثاني وهو
يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه
من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات و
المتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين
الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ
التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل
الراس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد
به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء
وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء
تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق
المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب
التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين
في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو
وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه
لغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا و
انه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم و
كشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه تعالى وسبحان مصدر كغفران
ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على

الشك وفي قول سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة
الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك اني تبت اليك وقال يونس عليه
السلام سبحانك اني كنت من الظلمين **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية **الحكيم**
المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت
بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم
يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان **قال يا ادم انبئهم باسمائهم** اي اعلمهم وقرئ بقلب
الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما **فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموت والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** استحضار لقوله اني
اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور
السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم
على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من
يفسد فيها وما كنتم تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل
ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت على حرف الجحد فافادت
الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط
في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه
بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في
القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن
كان قبل ادم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم
الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان ادم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله
تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ
قلنا للملئكة اسجدوا لادم** لما انباهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا
بفضله وبرجحته واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف
عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة

بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن
قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا راسه
وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة
هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه لما خلقه بحيث يكون
انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة
الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود
تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول
حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك
الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل و
الانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملئكة
كلهم او طائفة منهم ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع
باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان
من الكافرين** اي في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم
اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله
تعالى انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
لا بترك الواجب وحده والاية تدل على ان ادم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه
وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا
ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى
ان من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان
مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود مع الملائكة لكنه استغنى
بذكر الملائكة من ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر
ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود
الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس
معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما

بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف
كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله تعالى الا
ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من
نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه قال عليه الصلوة والسلام خلقت الملائكة من النور وخلق
الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان
ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت
مهذبة بصفاتها كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال يتزايد حتى
ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند
الله ومن فوايد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره
وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله تعالى من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر
على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري
وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد
اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه
تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان
بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض
الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف
حيث شئتما اي اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة
المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب
عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلانا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى
العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حوله حذرا ان ياخذ بمجامع القلب ما حرم
عليهما لحكمة فان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي
وينقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلت للعاطف على
النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة والكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين
من غير قاطع كما لم يعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهيذه

بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذا
في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها ويعضده قراءة حمزة فازالهما
وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل تقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته
اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة
وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة
التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل قام عند
الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به
وقيل وقد ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه من الكرامة والنعيم
وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحوا لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الانس
فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة
او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي
بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع
تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ
والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته
وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب
الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت
اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر
كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات
لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفي
بذكر ادم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنن انه
هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع
فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع

فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها جميعا** كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه من مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا **فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم يحزنون على فوت محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفي عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه واصلها ايية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية كرمكة او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى

والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناول حين ما قال له ابليس فلعله مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه

مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب بنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه
السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله تعالى وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرائل
بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء. اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها و
القيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم على غيره حمله
الغير وحسب النعمة على حسب النعم على الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء من
فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك محمد عليه السلام وقرئ اذكروا و
الاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها
واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل
الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل
وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو
الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث
يغفل العبد عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس
اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك
الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم
المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من
الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد
اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة
واياي فارهبون فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة
التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على
تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهب خوف مع تحرز
والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي
ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به
والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من
الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد
والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن الفواحش والمعاصي وفيما

يخالفها

يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها
حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل
على وفقه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان
اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا
اول من امن به لانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين والمبشرين بزمانه واول
كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك
كسانا حلة فان قيل كيف نهى عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض
لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب
او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول
افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل
فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها و
الاتباع لها اتباع حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم
من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها
لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه و
اياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة
على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها
لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم
امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه
جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا
يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او
تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال
ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان
على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود
وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من
كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر و

**وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة** يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل **واركعوا مع الراكعين** اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود قيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **أتأمرون الناس بالبر** تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلث بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب **وتنسون انفسكم** وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون **وانتم تتلون الكتب** تبكيت كقوله تعالى وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر **واستعينوا بالصبر والصلوة** متصل بما قبله كانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب وروي انه صلى الله عليه وسلم

اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون** اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم يثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **واني فضلتكم** عطف على نعمتي **على العالمين** اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه الصلوة والسلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف **واتقوا يوما** اي ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله

التسوية سمي بها الفدية لانها سويت بالمفدي وقرا ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون
يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس
الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد
تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات
والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم
ان اباءهم تشفع لهم وإذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف
على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل
وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى
وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتى وكان فرعون موسى مصعب
بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من
اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب
الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول
به ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير
كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف
وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم
من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم
ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار الله عباده تارة بالمحنة اطلق عليهما ويجوز ان يشار
بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه
لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر
اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين وإذ
فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم
فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير
لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون
وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول
اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغني بذكره عن اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم



او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا
روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج فصبحهم فرعون وجنوده
وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا
عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها
كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو و
جنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني
اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم
انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة
النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلوات الله عليه مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة
يدركها الاذكياء واخباره عليه الصلوة والسلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره وإذ واعدنا
موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع و
عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى
الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون
باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد
ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه وإذ آتينا موسى
الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل
اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق
بين الحرام والحلال والنصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر
لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر بالايات وإذ قال موسى
لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم
فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور وهيئات
مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء من غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه
والمدين من دينه او الانشاء كقولهم برا الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم
تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ولم يقتلها لم يحيها

ويتبع امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى
بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا
يقتلون من الغدوة الى العشي حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت
التوبة وكان القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم
عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية
فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات كانه
قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة
والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه
حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي
يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
لاجل قولك اولن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي
اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل
فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي
وهو محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء في بعض
الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها
فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم
بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيل البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم
كقوله تعالى وكذلك بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله
بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في
التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج
من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت
ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا اختصار
واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون



بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا
امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا نصبه على المصدر او الحال من
الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس
في حيوة موسى عليه السلام سجدا منطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم
من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ
بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم
ودعائكم وقرأ نافع بالياء والتاء للمفعول وخطايا اصله خطائي كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت
الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ثم قلبت الفا وكانت
الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد
المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن
صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة
اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا
به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا
كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم بظلمهم بوضع غير المامور به موضعه
او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا
يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه و
كذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به منهم في ساعة
اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب
بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان
ينبع من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثنى عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر
الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل فبرأه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبرئيل بحمله او
للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامر ان يضرب حجرا بعينه ولكن قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض
لا حجارة بها فحمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس

فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك
لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول
موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمات **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا**
متعلق بمحذوف تقديره وان ضربت فانفجرت كما مر في قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة
بكسر الشين وفتحها وهما لغتان **قد علم كل اناس مشربهم** عينهم التي يشربون منها **كلوا**
**واشربوا** على تقدير القول **من رزق الله** يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به **ولا تعثوا في الارض مفسدين** ● لا تعتدوا
حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ليس بفساد كمقابلة
الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة
ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله
بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل
ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء
من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام**
**واحد** يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام
مائدة الامير واحد يريدون انها لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل
التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه **فادع لنا ربك** سله لنا بدعائك
اياه **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة **مما تنبت الارض**
من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثائها وفومها**
**وعدسها وبصلها** تفسير وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته
الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل
الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه **قال** اي الله او موسى **اتستبدلون الذي هو**
**ادنى** اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد
في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة **بالذي هو خير** يريد به
المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي **اهبطوا مصرا** انحدروا اليه
من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم

واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه
غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب **فان لكم ما سألتم وضربت عليهم**
**الذلة والمسكنة** احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين
على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة
ان يضاعف جزيتهم **وباءوا بغضب من الله** رجعوا به وصاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان
اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة و
البوء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق** بسبب كفرهم
بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر
او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه الصلوة والسلام من التورية و
قتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعياء وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون
به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه **ذلك بما عصوا وكانوا**
**يعتدون** ● اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار
الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل
كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله وقيل ذلك الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا
على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في
الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على
الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع **ان الذين آمنوا** بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى
الله عليه المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة **والذين هادوا** تهودوا
يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة
العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام **والنصارى** جمع نصران
كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه
في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها **والصابئين** قوم بين النصارى والمجوس
وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا
فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من

سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل **من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا** من كان منهم
في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدإ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء
الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا **فلهم اجرهم عند ربهم** الذي وعد لهم على ايمانهم
وعملهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون
على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها
فلهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل
الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات فلهم عذاب جهنم **واذ اخذنا ميثاقكم**
باتباع موسى والعمل بالتورية **ورفعنا فوقكم الطور** حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام
لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل بقلع الطور
فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا **خذوا** على ارادة القول **ما آتيناكم**
من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه** ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب
او اعملوا به **لعلكم تتقون** لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة
ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا **ثم توليتم من بعد ذلك**
اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** بتوفيقكم للتوبة او بمحمد
صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه **لكنتم من الخاسرين** المغبونين بالانهماك
في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره و
الاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده
وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت**
اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا
بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمان داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد
وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر
هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان
تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**
جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم
ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة

لهم وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة
**فجعلناها** اي المسخة والعقوبة **نكالا** عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد **لما بين يديها**
**وما خلفها** لما قبلها وما بعدها من الامم اذا ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين
او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها **وموعظة للمتقين** من قومهم او لكل
متق سمعها **واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة** اول هذه القصة
قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر
من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته
انه كان فيهم شيخ موسر فقتله بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه
فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله **قالوا اتتخذنا هزوا** اي مكان
هزو او اهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة
واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا **قال اعوذ بالله ان اكون**
**من الجاهلين** لان الهزء في ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان
واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** اي ما
حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي وكيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما
رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله
**قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر** لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة
فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة
والباكورة **عوان** نصف قال نواعم بين ابكار وعون **بين ذلك** اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك
اضيف بين اليه فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد
بها معينة فيلزم تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن مخصوصه بسؤالهم ويلزم منه النسخ قبل الفعل
فان التخصيص ابطال التخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي
عنه عليه الصلوة والسلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله
عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله **فافعلوا ما تؤمرون** اي ما تؤمرونه
بمعنى تؤمرون به من قولك امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم **قالوا ادع لنا ربك**

يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع
ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك في اسناده الى اللون وهو صفراء للابسية
بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديد السواد و
فسر قوله جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله
عبر بالصفرة عن السواد كانها من مقدماتها او لانه سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة
بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند
حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول
واستكشاف زائد قوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين و
الصفرة كثير فاشتبه علينا وقرأ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويشابه اليه
والتاء بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففة ومشددة ويتشبه بمعنى تتشبه
ويشبه بالتذكير وتشبه متشابهة ومتشابه ومشتبهة وانا ان شاء الله لمهتدون
الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واحتج اصحابنا على الحوادث
بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية
على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول
تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير
ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح بمعنى حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى
مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له لا شية
فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا
اخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام
والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها الى اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة
فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعتهم او لخوف الفضيحة في
ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال
اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموا اليتيم وامه
حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكادوا من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا

او حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال
ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا
حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجئ الى الفعل واذ قتلتم نفسا
خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمين يدفع بعضهم
بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في
الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل
مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف
على اداراتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس على تاويل الشخص والقتيل ببعضها اي بعض
كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك
يحيي الله الموتى يدل على حذف ما اصل فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر القتيل او نزول الاية
ويريكم اياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم و
تعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله
تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه
على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى
الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو
الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتة الحق
الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم
يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها
لا شية بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال
ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والتنازع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن
الغلظ مع الصلابة كما في الحجارة وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة
من بعد ذلك يعني بعد احياء القتيل وجميع ما عدد من الايات فانها مما يوجب لين القلب
فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة
او زائد عليها فيها او مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن رحمه الله بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما

في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة للتخيير او
الترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها
لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها
ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد
الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز
عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين
النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرا ابن كثير
ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا لكم التصديق او
يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون
كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم او تاويله فيفسرونه
بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام موسى بالطور قالوا سمعنا
الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا
من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق فيه لهم ريبة وهم يعلمون انهم
مفترون مبطلون ومعنى الاية ان هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك
بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا
يعني منافقيهم قالوا امنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى
بعض قالوا الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا
للتصلب في اليهودية ومنعا عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام
على الاول تقريع وعلى الثاني نهي وانكار ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم
في كتابه جعلوا محاجتهم في كتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في
كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم
في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقدير افلا تعقلون

انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون
حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او
اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان
واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب الا اماني جهلة لا يعرفون الكتاب فيطالعوا التورية فيتحققوا ما فيها او التورية الا اماني
استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من مني اذا قدر ولذلك
يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا
من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وقيل الا ما يقرءون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من
قوله تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم
يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد
المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها
موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما
ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه
من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه
من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى
وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك
يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة
العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل
اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامها
فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل
على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي
الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع
بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه عام ليكون كالبرهان على

بطلان قولهم وتخصص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة
انها يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قولهم فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته
اي استولت عليه واشتملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء في جوانبه وهذا
انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به
ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك
فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير
بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه منها
مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله
وقرا نافع خطاياته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار
ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه
وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على
خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى
النهي كقوله لا تضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع
الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره
ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا
تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه
قال حلفناهم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به
والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمحذوف تقديره وتحسنون او احسنوا
وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل
ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا قولا حسنا وسماه حسنا
للمبالغة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل
الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة

يريد بهما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم
في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه
الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون
قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ
اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم
على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل
الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا
ما يبيح سفك دماءكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه
القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم
بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على
نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم
مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم
مبتداء وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي
فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار
ما سيحكي عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما
وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس
والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها
واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين
تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمع اسرى كسكرى
وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو

وحمزة وابن عامر تفدوهم ﴿وهو محرم عليكم اخراجهم﴾ متعلق بقوله وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم
او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيدا وبيان ﴿افتؤمنون ببعض
الكتب﴾ يعني الفداء ﴿وتكفرون ببعض﴾ يعني حرمة المقاتلة والاجلاء ﴿فما جزاء من يفعل
ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا﴾ كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب
الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ﴿ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب﴾ لان عصيانهم اشد ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ تاكيد
للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون
على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن ﴿اولئك
الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة﴾ اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة ﴿فلا يخفف عنهم
العذاب﴾ بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ﴿ولا هم ينصرون﴾ بدفعهما
عنهم ﴿ولقد اتينا موسى الكتب﴾ التورية ﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾ اي
ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه من
القفا نحو ذنبه من الذنب ﴿واتينا عيسى ابن مريم البينت﴾ المعجزات الواضحات كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى
الخادم وهو بالعربية كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه اثلم يثبت
فعيل ﴿وايدنه﴾ قويناه وقرئ ﴿بروح القدس﴾ بالروح المقدسة كقوله حاتم الجود ورجل صدق
اراد به جبرئيل عليه السلام وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته
على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث والانجيل او اسمه
الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران ﴿افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم﴾ بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى
بالفتح هويا بالضم سقط ووسط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا
او تعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر ﴿استكبرتم﴾
عن الايمان واتباع الرسل ﴿ففريقا كذبتم﴾ كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل
﴿وفريقا تقتلون﴾ كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا

لما في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم الان بعد فيه فانكم حول قتل
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة ﴿وقالوا
قلوبنا غلف﴾ مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي
لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول
او نحن مستغنون بما فيها عن غيره ﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾ رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة
والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم كما قال الله تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او كفرة
الملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾ فايمانا
قليلا ما يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة
العدم ﴿ولما جاءهم كتب من عند الله﴾ يعني القران ﴿مصدق لما معهم﴾ من كتابهم وقرئ
بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما ﴿وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا
بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم زمانه والسين للمبالغة
والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه ﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ من الحق ﴿كفروا به﴾ حسدا وخوفا
﴿فلعنة الله على الكفرين﴾ اي عليهم فاتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام
للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم ﴿بئسما اشتروا به
انفسهم﴾ ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب
ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ﴿ان يكفروا بما انزل الله﴾ هو المخصوص بالذم ﴿بغيا﴾
طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ﴿ان ينزل الله﴾ لان ينزل اي
او حسدوه على ان ينزل الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف ﴿من
فضله﴾ يعني الوحي ﴿على من يشاء من عباده﴾ على من يختاره للرسالة ﴿فباءو بغضب على
غضب﴾ للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد عيسى عليه السلام او بعد قولهم عزير ابن الله ﴿وللكفرين عذاب مهين﴾ يراد به
اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبهم ﴿واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله﴾ يعم
الكتب المنزلة باسرها ﴿قالوا نؤمن بما انزل علينا﴾ اي التورية ﴿ويكفرون بما وراءه﴾
حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى

به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواري به وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق
والضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال موكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما
كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم
مؤمنين ۝ اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه
وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به وعازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات
يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات ثم اتخذتم العجل من بعده
اي الها بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون ۝ حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين
بعبادته او بالاخلال بآيات او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال
قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقهم مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم طريقة
اسلافهم مع موسى عليه السلام وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية
بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم
العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب
اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب
كفرهم وذلك انهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكنت في قلوبهم ما سول لهم
السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا
الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين ۝
تقرير للقدح في دعويهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح ورخص لكم
فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما يأمركم به ايمانكم لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما
يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذن لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار
الآخرة عند الله خالصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها
على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام فيه للعهد فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين ۝ لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من
الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال
عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح

من ندم

من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة لا يشاركه احد فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم من موجبات النار بكفرهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية
ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة يقدر بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر
بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل
واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان تقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على
وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين ۝ تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى
ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم
علم ومفعولاه هم واحرص وتنكير حيوة لانه اراد فردا من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ
باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا
وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ
والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم
صائرون الى النار ويجوز ان احرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون
خبر مبتدأ محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله
اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر
الف سنة حكاية عن حال ودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة
لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن كذا وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير
لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وما دل عليه
يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات و
قيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليه السنون والزحزحة التبعيد
والله بصير بما يعملون ۝ فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدونا وعادانا مرارا
واشدها انه نزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه فبعثنا من يقتله ببابل غلاما مسكينا
فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم
عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا

ذاك عدونا يطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
عن يساره فبينهما عداوة فقال لئن كانا كما يقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير
ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر رضي الله عنه فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي
فقال عليه الصلوة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبرئيل ثمان لغات قرئ بهن اربع
في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة
ابن كثير وجبرئيل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقون واربع في
الشواذ جبرال وجبرائيل وجبرايل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله
فانه نزله البارز الاول لجبرئيل والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه
كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم و
الحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كانه قال ما تكلمت به باذن
الله بامره او تيسيره حال من فاعل نزله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبرئيل فقد
خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل
كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب
في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او هو عدو لي وانا عدوه كما قال
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو
للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره
تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافراد الملكين بالذكر لفضلهما كانهما من
جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى
وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد
لان الحاجة كانت ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة
للملائكة والرسل كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص
ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائيل ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما
يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع
من المعاصي دل على عظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى

الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك اوكلما عاهدوا
عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون
الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه
فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم
ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان
من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما
معهم كعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه و
نبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالايات وقيل ما مع الرسول كالقران
وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمي به وراء الظهر لعدم الالتفات
اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون
عنادا واعلم انه تعالى استدل بالايتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتورية
وقاموا بحقوقها كمومني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون
وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق
منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها
ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا
الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها وتتبعها الشياطين
من الجن او الانس او منهما على ملك سليمن اي عهده وتتلوا حكاية حال ماضية قيل كانوا
يسترقون السمع ويضمون اليه ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون
الناس وفشا ذلك في عهد سليمن حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمن تم
بهذا العلم وانه يسخر به الانس والجن والريح وما كفر سليمن تكذيب لمن زعم ذلك وعبر
عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين
كفروا باستعماله وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان
في تحصيله بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه

في القراءة وجب النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي
والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة
اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما
انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او لانه نوع
اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه
وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة
فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز
الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده
قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل
ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت
عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر
لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع
على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به
كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاده والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى
يقولا انما مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من
احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بامره تعالى وجعله وقرئ
بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم
لانهم يقصدون به او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا
نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل
ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في
الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا
يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه من العذاب
والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير

تحقق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا
بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند
الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل و
ركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب من الله خير
وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة
لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل
بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته
وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقنا حتى نفهمه وسمع
اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون
بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا
بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج
لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب
المراعاة او اسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم
عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون
مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في
كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ان ينزل عليكم
من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي
والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعله المراد
به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه
شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل و
ان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف من حكمته ما ننسخ من
آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم

بامر اصحابه بامر ثم ينهى عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ
الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب و
نسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي
نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ
ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار
المفعولين **نات بخير منها او مثلها** اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب
وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة **الم تعلم ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على النسخ والاتيان
بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص
ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد و
تكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمته وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب
المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب
بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل
اصلح والنسخ قد يعرف بالسنة وما اتى به الله وليس المراد بالخير ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على
حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى
القائم بالذات القديم **الم تعلم** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله وما لكم
وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم **ان الله له ملك السموات والارض** يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف
**وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها
على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا
عن المنصور **ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل** ام معادلة
للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون
وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح
عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن
نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه **ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء**

السبيل

**السبيل** ومن ترك الثقة بالايات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل طريق المستقيم حتى وقع
في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعيد
عن المقصود وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل **ود كثير من اهل الكتاب**
يعني احبارهم **لو يردونكم** ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون اللفظ **من بعد**
**ايمانكم كفارا** مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين **حسدا** علة ود **من عند انفسهم** يجوز ان
يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا
اي حسدا بالغا منبعثا من اصل انفسهم **من بعد ما تبين لهم الحق** بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية
**فاعفوا واصفحوا** العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه **حتى ياتي الله بامره** الذي هو
الاذن في القتال وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق **ان الله على كل شيء قدير**
على الانتقام منهم **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر و
المخالفة والملجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر **وما تقدموا لانفسكم من خير** كصلوة او صدقة
وقرئ تقدموا من اقدم **تجدوه عند الله** اي ثوابه **ان الله بما تعملون بصير** لا يضيع
عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
**وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى** لف بين قولي الفريقين كما
في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ
وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى **تلك امانيهم** اشارة الى الاماني المذكورة
وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما
في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني
كالاضحوكة والاعجوبة **قل هاتوا برهانكم** على اختصاصكم بدخول الجنة **ان كنتم**
**صادقين** في دعويكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت **بلى** اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
**من اسلم وجهه لله** اخلص له نفسه او قصده واصله العضو **وهو محسن** في عمله **فله اجره**
الذي وعد له على عمله **عند ربه** ثابتا له عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن
الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل محذوف مثل بلى يدخلها من اسلم **ولا خوف**

عليهم ولا هم يحزنون ۝ في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال
والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين
لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل
لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد
به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما
حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون ۝ بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن
منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم
لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها
بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ۝ ما كان
ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان
يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله
وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي
عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلفت الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة رحمة الله عليه ومنع مالك
وفرق الشافعي رحمهم الله تعالى بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة
بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم ۝ بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب
يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في
المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر
القبلة فثم وجه الله اي جهته التي رضيها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته
اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده
عليم ۝ بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنه انها نزلت في صلوة المسافر
على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم

وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه
للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله و
النصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع
او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه
والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم
تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات و
الارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من
جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون ۝ منقادون لا يمتنعون عن مشيئته و
تكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد
ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشأنهم
وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون
مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة
اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي
تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قول عمرو بن معدي كرب امن
ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
ان الولد عنصر الوالد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على
الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق
بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغير وفي
زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى
امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا
كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث
انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون ۝ من كان التامة بمعنى احدث فيحدث وليس
المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور
المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهي ان اتخاذ الولد يكون باطوار
ومهلة وفعله تعالى مستغن عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب

في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه
السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الاب الاصغر والله سبحانه وتعالى ثم ظنت الجهلة ان المراد به
معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا
الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تأتينا آية حجة على صدقك
والاول استكبار والثاني جحود لان ما آتيهم آيات الله استهانة بهم وعنادا كذلك قال الذين
من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا
مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد
بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد
وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوا عتوا وعنادا انا
ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن
اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسئل على انه نهي للرسول عن
السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر على ان يخبر عنها او السامع
لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم
اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك
قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى
الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده
على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك
من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه
هو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على
ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به
بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين

واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها
عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر
النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به
الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء
لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن
لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك
فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين
الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت في قوله فتلقى آدم
من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار
والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم
ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل رب ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه و
وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخرى الضمير
فاتمهن لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب اذ
كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره
من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها
وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي
الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول و
زيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثانية ياء كما في تقضيت
من الذر بمعنى التفريق او فعلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي
لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا
ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه
دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى
واحد اذ ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة
للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ لاهله

مثابات لانتابة كل واحد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم
او يامن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب
ابي حنيفة رحمة الله عليه واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا
لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا
الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام
ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر
بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من طوافه عمد
الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رضي الله عنه
في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها و
يتقرب الى الله وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه
الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا
بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان و
الانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين
فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او
المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات
من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال
ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه
على ان الرزق رحمة دنيوية يعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن
معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع ولكنه سبب تقليله بان يجعله
مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب
النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا صفة على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ
فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد
وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم

محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبوت ولعله مجاز من المقابل للقيام
ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع و
يحتمل ان يراد بها ساقات البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد
رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم شانها
واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان
في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك
انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من
اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان
او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك
اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح
بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق
على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين
امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج
او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة و
قرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة
منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب
علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما
انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث
من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه السلام انا دعوة ابي
ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل
التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتب اي القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف و
الاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الحكيم الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد

الحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد واستنكار لان يكون احد يرغب عن ملة
الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف
بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه
الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التميز نحو غبن رايه والم راسه
وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع
الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان
صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع
لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال
اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل
اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى
الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت
لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها
ابراهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا
وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله
اسلمت على تاويل الكلمة والجملة وقرا نافع وابن عامر اوصى والاول ويعقوب عطف على
ابراهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بني
على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من
ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور
وزبولون ودوني ونفتولي وكودا ويوشد وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين
اي دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال
اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر قيس وانت

شهيد

شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية
يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم
حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف
تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه
من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء
تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسال به
عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء من اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل
ما زيد فقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده
والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه
الصلوة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع
بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان
الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي
التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص
ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان
الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم
باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلوة والسلام لا ياتيني الناس باعمالهم
وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم
وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد
هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر
قل بل ملة ابراهيم اي بل تكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع
اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق
حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين
تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين
كقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا يعني القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا
وسبب الايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي

تلك امة قد خلت ٥

ان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم
كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه و
ذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق **وما اوتي موسى وعيسى** التورية والانجيل افردهما بالذكر
بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما **وما اوتي النبيون**
جملة المذكورين منهم وغير المذكورين **من ربهم** منزلا عليهم من ربهم **لا نفرق بين احد منهم** كاليهود
نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين **ونحن له**
اي لله **مسلمون** مذعنون مخلصون **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** من باب التعجيز والتبكيت
كقوله فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء
للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد
لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله
ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه
ويشهد له قراءة بما آمنتم به او بالذي آمنتم به **وان تولوا فانما هم في شقاق** اي ان اعرضوا
عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناوأة والمخالفة فان كل
واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر **فسيكفيكهم الله** تسلية وتسكين للمؤمنين
ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم **وهو السميع العليم** اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم
ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون
وهو معاقبهم عليه **صبغة الله** اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها
حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان
تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ
الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون
هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل
على البدل من ملة ابراهيم **ومن احسن من الله صبغة** لا صبغة احسن من صبغته **ونحن له عابدون**
تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول
قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا
آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب **قل اتحاجوننا في الله** في شأنه



واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا
لكنت منا فنزلت **وهو ربنا وربكم** لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده **ولنا**
**اعمالنا ولكم اعمالكم** فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا
فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها
بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا
اعمال **ونحن له مخلصون** موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم **ام تقولون ان ابراهيم و**
**اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى** ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة
ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء ويحتمل ان يكون معادلا للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي
الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء **قل اانتم اعلم ام الله** وقد
نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا **ومن اظلم ممن**
**كتم شهادة عنده من الله** يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية و
النصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه
الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في
قوله براءة من الله **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد لهم وقرئ بالياء **تلك امة قد خلت لها ما**
**كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما
استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية
لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود
والنصارى **سيقول السفهاء من الناس** الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض
عن النظر يريد المنكرين لتغير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار
به توطين النفس واعداد الجواب **ما ولاهم** ما صرفهم **عن قبلتهم التي كانوا عليها** يعني بيت
المقدس والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه
نحوه للصلوة **قل لله المشرق والمغرب** لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة
غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان **يهدي من يشاء الى صراط مستقيم**
وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى

وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او
جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو
فى الاصل اسم للمكان الذى يستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها
بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق
على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها واستدل
به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على
الناس ويكون عليكم شهيدا علة للجعل اى لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من الرسول
الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن
الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على
معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم
الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق
فيؤتى بمحمد فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان
الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول
شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التى كنت عليها اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه الصلوة
والسلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن
عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل
الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس
الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك فى الصلوة اليها
ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض
يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام
ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل
عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به
موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن
المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له

قراءة

قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما فيه من معنى الاستفهام او مفعول الثانى
من ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هى المخففة من الثقيلة
واللام هى الفاصلة وقال الكوفيون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى الحكمة والاحكام الثابتين على
الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة
او صلوتكم اليها لما روى انه عليه الصلوة والسلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله
قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرءوف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم
ولعله قدم الرءوف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرءوف
بالمد والباقون بالقصر قد نرى تقلب وجهك فى السماء تردد وجهك فى جهة السماء
تطلعا للوحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى
الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود و
ذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسال فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك
وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلى جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد
دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل
الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم
استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان
يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام كان فى المدينة والبعيد يكفيه
مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه الصلوة والسلام قدم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر
بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل
الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا
لامر القبلة وتحضيضا لامته على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلى الى
القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان

على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم **ما تبعوا قبلتك** جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد
مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا **وما**
**انت بتابع قبلتهم** قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي
ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق
**وما بعضهم بتابع قبلة بعض** فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه **ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم** على سبيل
الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي **انك اذا لمن**
**الظالمين** اكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا
عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب من الانبياء **الذين آتيناهم الكتاب** يعني علماءهم
**يعرفونه** الضمير لرسول الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل
**كما يعرفون ابناءهم** يشهد للاول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم
بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست
اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته قد خانت **وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**
تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن **الحق من ربك** كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك
واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت
انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى هو
الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون **فلا تكونن**
**من الممترين** الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن
الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه
ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ **ولكل وجهة** اى ولكل امة
قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة **هو موليها** احد
المفعولين محذوف اى هو موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرأ ابن عامر
مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** من امر القبلة وغيرها مما ينال به
سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة **اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا**
في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا





من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا
ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة **ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على الاماتة والاحياء و
الجمع **ومن حيث خرجت** ومن اي مكان خرجت للسفر **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اذا صليت
**وانه** وان هذا الامر **للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون** وقرأ ابو عمرو بالياء **ومن حيث**
**خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** كرر هذا الحكم لتعدد علله
فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي
كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن
بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شأن
والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى **لئلا يكون**
**للناس عليكم حجة** علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة يدفع احتجاج اليهود
بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي
ملة ابراهيم ويخالف قبلته **الا الذين ظلموا منهم** استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من
الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده
او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم
يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا
على انه استيناف بحرف التنبيه **فلا تخشوهم** فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم **واخشوني** فلا تخالفوا
ما امرتكم به **ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** علة محذوف اى امرتكم لاتمامي النعمة
عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي
عليكم او على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه الموت على الاسلام
**كما ارسلنا فيكم رسولا منكم** متصل بما قبله اى ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال
رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني بالطاعة **يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم**
يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل **ويعلمكم**
**الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي
وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر **فاذكروني** بالطاعة **اذكركم** بالثواب **واشكروا لي** ما انعمت عليكم

ولا تكفرون ولا تجحدون النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ
النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين
بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء
ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس من
الحيوانات وانما هي امر لا تدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء البدر كانوا اربعة عشر وفيها دليل على ان الارواح
جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
التابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا تخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من
الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على
البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة
الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به
معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس
والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص
من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله
اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول
الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب
الانسان من مكروه لقوله عليه الصلوة والسلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر
بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه
ليرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه
قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية
والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا

يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا القضاء الله تعالى
هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او
اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين
المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل
الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا
بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد
انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح
يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم
وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه الصلوة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي
ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او
طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار و
ايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله
يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون
كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد عليه الصلوة والسلام والهدى
وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في
التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعنة من الملائكة والثقلين الا الذين
تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما
بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم و
يقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول
التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى
مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين واستقر عليهم لعنة الله ومن يعتد
بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون
عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعل لفعل مقدر نحو
ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا
او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون او لا ينتظرون

إن الصفا والمروة

ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد
لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها
ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها
وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدأ
محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت
ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات
مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار
خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي ينفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه
على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ
بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين من الاولى للابتداء والثانية وما انزل الله من السماء من ماء
للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث
فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في
الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق و
تصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء و
الارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي بامر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه
في الجو بمشية الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه الصلوة والسلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها
اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول
شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء
مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها
وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض او على هذا الوجه
لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته و
تقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت
ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع المؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل

بلا مرجح

بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث
والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا
يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى يحبونهم
يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة و
الطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق من الحب لانه اصابها ورسخ فيها
ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله
في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة
الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم
الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم
هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل
مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى و
جواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل
هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا انداده لا ينفع لعلموا
ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي
اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر
وكذا وان الله شديد العذاب على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من
الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم
الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم
من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر
وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني
ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم
الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال
وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط

عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن
للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل عليه
الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع
وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ
بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه
لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك
سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز
عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء
ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء
باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد
فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم
الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك
الله هي بوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا
الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين
امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا
واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم
جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر
على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام
فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا
دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا
كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون



فيما تقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء و
لا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع
الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم
وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك
من باب التمثيل المركب صم بكم عمي بالرفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى
ما حرم عليهم امر المؤمنين ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم
واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تتم بالشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها
والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما
العرف عنها او استثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه
الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر
اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله
رؤية الهلال لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رئي سمي ذلك اهلالا ثم قيل
لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق
او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر
مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان
قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه
لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما
يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه اكل النار
كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون
يوم القيامة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال
مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين

اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض
الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة
مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر
او موصولة وما بعدها والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب
ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه
اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتاب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية
واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلافها ما انزل الله مكانه اي
حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين
لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر
كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة
ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه واتبعه
المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان
تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن
ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وآتى المال على
حبه اي على حب المال كما قال عليه الصلاة والسلام لما سئل اي الصدقة افضل قال ان
تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في
موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى
لان ايتاءهم اهم كما قال عليه الصلوة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وصدقتك على
ذوي رحمك صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون
كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل
الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه الصلوة و
السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى
او ابتياع الرقاب واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله
وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث

عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة
وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين
في البأساء والضراء نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء
في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا
في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة
للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة
اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين
وبقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع
لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى باعتبار معاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه
اشار بقوله عليه الصلوة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم
القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين
من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى
فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان
لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض
سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رحمهما الله قتل الحر بالعبد
سواء كان عبده او عبد غيره لما روى علي عليه السلام ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله
عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر
بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير و
للقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في
التورية فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف
اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس
نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن
فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو
كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء
بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال

عفا الله عنها فاداه اعدي به الى الذنب معديا الى الجاني بالسلام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي
له عن جناية من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام
ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به
وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان
لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداها على مطلق
العفو وللشافعي رحمه الله في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم
ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا
وخير هذه الامة بينها وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك
قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه
الصلوة والسلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس
من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين
ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فيثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم
الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة
الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا
خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص
اي فيما قصصت عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب ذوو العقول الكاملة ناداهم للتامل يا اولي الالباب
في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص
والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر
اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي ان مولى له اراد ان يوصي وله
سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله
عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة آلاف فقالت كم عيالك فقال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين
والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر
الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه وقيل مبتدا خبره للوالدين

والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات
الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه الصلوة والسلام ان الله
اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل
على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله
احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم او بايصاء المحتضر لهم
بتوفير ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين
مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعدما سمعه وصل اليه وتحقق
عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه هو الذي
خان وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم
من قولهم اخاف ان يرسل السماء جنفا ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم
بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق
بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من
جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم
في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه
الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه الصلوة و
السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداءه لاصالته وقدمه اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس
بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب
صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه
مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام كما روي ان رمضان
كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله
وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على
سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة
ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب

اى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر
او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا
بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع
المساكين وقرئ يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه
اى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة
لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول القراءة
المشهورة به اى يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير
خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج
تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء ان كنتم
تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اى اخترتموه
وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدا خبره
ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب
عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا شهر رمضان او على انه مفعول
ان تصوموا او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية
علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان فعلى حذف المضاف لا
من الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب
فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القران
اى ابتدى فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر وانزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض
او انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين
والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط
وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من

الهدى والفرقان حالان من القران اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي
الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه من حضر في الشهر
ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم
ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه
على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم
نسخه لما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر
فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمر
خص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص فيتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله
علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوف
على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى يريد
بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى
وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم
ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني فاني قريب اى فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه
بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان
تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم
اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة لعلهم يرشدون راجين
اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر
ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير
باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل و
الشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى
الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة

التي تصبح منها صايما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى
عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة
وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن
وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل
كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب
من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالان باشروهن لما نسخ
عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به
الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان
المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر
وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا و
اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض
في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله
من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز
ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال
الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان
قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى باشتهارهما في ذلك ثم صرح
بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة
صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فنفى صوم الوصال
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد
القربة والمراد بالمباشرة الوطي وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم
يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد
وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام
التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا



ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل
ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب
على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان و
الادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس
بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم
مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة
ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه ان
الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت
وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون
الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من
حق اخيه فانما اقضي له قطعة من النار يسالونك عن الاهلة سال معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا
قل هي مواقيت للناس والحج انهم سالوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله
ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات
الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع
ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من
مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه
ولكن يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما
البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه لما ذكر انها
مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق
بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكر جوابه ما سالوا عنه تنبيها على ان
اللائق بهم ان يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم

يحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى ليس البر ان تعكسوا مسايلكم ولكن البر
من ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من أبوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها
واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر
وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك
قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم
القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبانية والنساء او الكفرة كلهم
فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة
القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم او الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت
ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من
نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم
في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة و
لذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي
يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل
معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا
بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان
قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك
جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم
ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه
نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن
ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى
للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل

لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وكذلك في القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا
الشهر بهذا الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما
يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة
التقرير واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم و
يصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف
وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على
اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى
اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك
المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى
لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد وهي
مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم
انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين
واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على
وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة
مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما
مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان
وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وان تفرد
لكل منهما سفرا وان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي وان يكون النفقة حلالا فان احصرتم
منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو
عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر
العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه الصلوة والسلام من
كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلوة و
السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم
ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل

يذبح هدي يسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام
الحديبية بها وهي من الحل وعن ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء
اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا
ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي
محله على ذبحه حيث يحل فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب
والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية
كمطية ومطي فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة او قمل ففدية
اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي
انه عليه الصلوة والسلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق
وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصع فاذا امنتم
الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله
بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة
محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو
دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل
وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز
يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم و
فرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة
ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن و
ابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد
بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد
او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها
من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام
وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن
سكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة

على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم
العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات
وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة
كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن
فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح
الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل
واطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن
عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من
احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج من حدود
الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايام الحج
نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة
في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى
الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكون رفث
ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت
تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة
وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل
اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان
يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية
اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرأ
من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه
يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم
الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها
بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت

من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين
الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف
وهنا ليس كذلك ولان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع
الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة
تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت
لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت
او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك
وهي من الاسماء المرتجلة الا ان تجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة
لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر
غير واجب والامر به غير مطلق **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين
**عند المشعر الحرام** جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد
الاول ما روى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى
اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة
ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها
موقف الا وادي محسر **واذكروه كما هديكم** كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة
الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة **وان كنتم من قبله** اي الهدى **لمن الضالين** الجاهلين
بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله
وان نظنك لمن الكاذبين **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب
مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم
وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة
الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من
قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه **واستغفروا الله** من جاهليتكم
في تغيير المناسك ونحوه **ان الله غفور رحيم** يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه **فاذا قضيتم مناسككم**
فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها **فاذكروا الله كذكركم آباءكم** فاكثروا ذكره وبالغوا فيه
كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل

فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم **او اشد ذكرا** اما مجرور معطوف على الذكر ذاكرا على المجاز
والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم
اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد
مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم **فمن الناس**
**من يقول** تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين
والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه **ربنا آتنا في الدنيا** اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا
**وما له في الآخرة من خلاق** نصيب وحظ لانه همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق **ومنهم من يقول**
**ربنا آتنا في الدنيا حسنة** يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير **وفي الآخرة حسنة** يعني الثواب
والرحمة **وقنا عذاب النار** بالعفو والمغفرة وقول عليه السلام الحسنة في الدنيا المرأة
الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم
والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة
للمراد بها **اولئك** اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما **لهم نصيب مما كسبوا** اي من جنسه وهو جزاؤه
او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا
لانه من الاعمال **والله سريع الحساب** يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك
ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات **واذكروا الله في ايام**
**معدودات** كبروه في ادبار الصلوة وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق **فمن تعجل**
فمن استعجل النفر **في يومين** يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار
عندنا وقبل طلوع الفجر عنده **فلا اثم عليه** باستعجاله **ومن تاخر فلا اثم عليه** ومن تاخر في النفر
حتى رمى يوم الثالث بعد الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية
فان منهم من اثم المتاخر ومنهم من اثم المتعجل **لمن اتقى** اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى
لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما **واتقوا الله** في مجامع
اموركم ليعبا بكم **واعلموا انكم اليه تحشرون** للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الضم وجمع المتفرق
**ومن الناس من يعجبك قوله** يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب
التعجب منه متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها
مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة

ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام **ويشهد الله على ما في قلبه** يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه **وهو الد الخصام** شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم **واذا تولى** ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا **سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل** كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل **والله لا يحب الفساد** لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه **واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم** اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه **فحسبه جهنم** كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب **ولبئس المهاد** وهو في الاصل مرادف للفراش وقيل هو ما يوطا للجنب **ومن الناس من يشري نفسه** يبيعها اي يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل **ابتغاء مرضات الله** طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة **والله رؤف بالعباد** حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء **يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة** السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال الشاعر السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** بالتفرق والتفريق **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة **فان زللتم** عن الدخول في السلم **من بعد ما جاءتكم البينات** الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق **فاعلموا ا**

**ان الله عزيز** لا يعجزه الانتقام **حكيم** لا ينتقم الا بالحق **هل ينظرون** استفهام بمعنى النفي ولذلك جاء بعده **الا ان ياتيهم الله** اي ياتيهم امره وباسه كقوله او ياتي ربك فجاءهم باسنا او ياتيهم الله بباسه فحذف الماتي به للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز حكيم **في ظلل** جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال **من الغمام** السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير **والملائكة** فانهم الواسطة في اتيان امره او الاتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام **وقضي الامر** اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة **والى الله ترجع الامور** قراءة ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرا الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول **سل بني اسرائيل** امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم **كم اتيناهم من اية بينة** معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد ومن اية مميزها ومن للفصل **ومن يبدل نعمة الله** اي ايات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ **من بعد ما جاءته** من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوه ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل **فان الله شديد العقاب** فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة **زين للذين كفروا الحيوة الدنيا** حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض **ويسخرون من الذين امنوا** يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزءون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم **والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة** لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى **والله يرزق من يشاء** في الدارين **بغير حساب** بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا

اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او م

تارة وابتلاء بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين اى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه
وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة
عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس
ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا
يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس
اى الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم
وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي
عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم
البينات حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
اى للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره وارادته
ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به
النبي والمؤمنين بعدما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع
مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها
ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم
البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من
الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت
حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه
متى نصر الله استبطاء له لتأخيره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول فقيل لهم
ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة
عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان
عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين
نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق
فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا

في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط
فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه
فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة
او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كأنهم
اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وكتب عليكم القتال وهو كره لكم
وهو جميع ما كلفوا اليه فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان
النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان
الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش
ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه
فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى
الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون
هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر
وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على
حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم وصد مبتدأ حرفه منع عن سبيل الله اى
الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اى بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف
اى وصد المسجد الحرام كقول ابي داود اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا لا يحسن عطفه على سبيل
الله لان عطف قوله وكفر به على صد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة
ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد
وهم النبي والمؤمنين اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء
الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث و
والفتنة اكبر من القتل اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا

**يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم** اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة **ان استطاعوا**
وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم
لا يردونهم **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم** قيد الردة بالموت
عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت
بالفتح وهو لغة فيه **في الدنيا** لبطلان ما تخيلوه وفوات الاسلام من الفوائد الدنيوية **وفي
الآخرة** بسقوط الثواب **واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** كسائر الكفرة **ان الذين آمنوا**
نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر **والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله** كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء **اولئك يرجون
رحمت الله** ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما و
العبرة بالخواتيم **والله غفور** لما فعلوا خطأ وقلة احتياط **رحيم** باجزال الاجر والثواب **يسألونك
عن الخمر والميسر** روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ
المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر
فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعى عبد الرحمن بن
عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله
فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب
والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا
كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة رحمه الله نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه
ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر
او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله **قل فيهما** اي في تعاطيهما **اثم كبير** من حيث
انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور **ومنافع للناس** من كسب المال والطرب و
الالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة

واثمهما اكبر

**واثمهما اكبر من نفعهما** اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها
المحرمة لها فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر
**ويسألونك ماذا ينفقون** قيل ايضا سائله عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن
كيفية الانفاق **قل العفو** العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له
بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب روي
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة
فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه قال ياتي
احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى **كذلك يبين الله لكم
الآيات** اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع
النصب صفة المصدر المحذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب جمع على
تاويل القبيل والجمع **لعلكم تتفكرون** في الدلائل والاحكام **في الدنيا والآخرة** في امور
الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما
ينفعكم **ويسألونك عن اليتامى** لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى و
مخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **قل
اصلاح لهم خير** اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم **وان تخالطوهم فاخوانكم** حث على
المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة
**والله يعلم المفسد من المصلح** وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه
عليه **ولو شاء الله لاعنتكم** اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت
وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم **ان الله عزيز** غالب يقدر على الاعنات **حكيم** يحكم ما تقتضيه
الحكمة وتتسع له الطاقة **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من
المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن
الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه الصلوة والسلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها
اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام
حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اى ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان
الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين اولئك
اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر المودى الى النار فلا يليق
موالاتهم ومصاهرتهم والله اى واولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه تفخيما لشانهم يدعوا الى الجنة والمغفرة اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء
بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة
الهوى ويسألونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل
اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض
مصدر كالمجئ والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا لان السؤالات
الاول كانت فى اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع
قل هو اذى اى الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء فى المحيض فاجتنبوا
مجامعتهن لقوله عليه الصلوة والسلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن
ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن
حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة
حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عياش يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله
فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضى تاخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر
الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم ان الله يحب
التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض
والاتيان فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى
فى ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فاتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان
لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع



امراته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطى واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين
الكاملين بالايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ان ينصحهم ويبشر
من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
نزلت فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او فى عبد الله بن رواحة حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق
لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع
الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه الصلوة والسلام لابن سمرة اذا حلفت على
يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت بالذى هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها
واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة
اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم وعلى الثانى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى انهيكم
عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه
لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم
الله باللغو فى ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه
كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او
باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف
الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب
فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة
للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما
ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على
خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه
المدة فلا يطالب بفئ ولا طلاق ولذلك قال الشافعى رضى الله عنه لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر

ويوبخ فان فاؤا رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او
او ما توخى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده
فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها لا حكم له وحكمه
ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا بانت بعدها
بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها
المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر
في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد
ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن
تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص
ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله
عليه الصلوة والسلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها
من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض
كما قالت الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما
قوله عليه الصلوة والسلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان
في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك وان شاء
طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر
بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان
الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه
دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل
بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه وليس له ان يفعل وبعولتهن اي
ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية
التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة
جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم
مقام المضاف اليه المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك في زمان التربص

ان ارادوا

ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض
عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال
مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة
زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها
او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة
الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح
الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه الصلوة والسلام سئل اين الثالثة
فقال عليه الصلوة والسلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة
على التفريق ولذلك قال ابو حنيفة واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف
بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد معنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها
حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا او تخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان
تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت ابي بن سلول كانت تبغض زوجها
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه والله ما اعتب عليه
في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في
عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت واختلعت منه بحديقة اصدقها
والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب
الازواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان
وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب
الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال
وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم اي الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك
حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود
الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية
تدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد و
يؤيد ذلك ما روي عنه عليه الصلوة والسلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام

عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه الصلوة والسلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها
وازيد عليها فقال عليه السلام واما الزائد فلا والجمهور استكرهوا ولكن نفذوه فان المنع عن
العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ
الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه الخلع بعد ذكر
الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار
الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح
باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان
طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج
غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب و
اتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل
ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن
التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند
الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان
طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الاخر
بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق
الزوجية وتفسير الظن ههنا بالعلم غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه
لا يقال علمت ان يقوم زيد لان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله فبلغن
اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي
ينتهي به قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد
يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او
سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام ولا تمسكوهن ضرارا
ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها
لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى

اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم
يعلمون يفهمون ويعلمون
بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء

مضارين

مضارين لتعتدوا اي لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ
المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا
بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن
الهزؤ واراد الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه
عليه الصلوة والسلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله
عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من
الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله
واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
وعن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول
بالاستيناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت فيه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض
باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة
ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقهرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل
الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين
له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي
الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة
حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل
عن التزوج من غير كفوهن غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل
القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين
او للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه
امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به و
المنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام وما فيه من النفع و
الصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة
ومعناه الندب او الوجوب فيختص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد
عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين

والله يعلم

اكد بصيغة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام
الرضاعة وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان
اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له
يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع
ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة
ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا
وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك
لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل
منهما الاخر بما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار
بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء
للمفعول وعلى الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالد بالولد فيفرط في تعهده
ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا يضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره
يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود
له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن
المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا
وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب
ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة
الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا
عن التراضي بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الراي من شرت العسل
اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم
احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال
ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول
الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة
من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ

ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف
صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط
التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل مبالغة في المحافظة على ما شرع في
امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم
وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط
ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل
المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك في ثلثة اشهر ان كان ذكرا او اربعة ان كان انثى فاعتبر
اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ
يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن
القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم
عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن
فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من
خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل
كثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب
المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفات وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضي
ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله
انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن
سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او
جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان
المعنى بالمواعدة بالسر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى

واتقوا الله

منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء
منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل
على حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن
والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح
وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من
العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله
غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر
وقيل من وزر لانه لا بدعة فى الطلاق قبل المس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق
فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة
الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول فعيلة بمعنى المفعول
والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة
المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو
كانت غير ممسوسة وكان سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية نفى الوجوب فى الصورة الاولى
ومفهومها يقتضى الوجوب على الجملة فى الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده
قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه
ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها
متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها
من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج
والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة
والكسائى وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة
حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن
او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى ثم تبعة المهر مع التشطير لانه قسيمها



الا ان يعفون اى المطلقات فلا يأخذن شيئا والصيغة يحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو فى
الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان
ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفوا الذى بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود
اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير الزوج غير مشطر بنفسه
واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة
وهو قول قديم للشافعى وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر
وعلى الوجه الاخير عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر
الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه
وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا
الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم
واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف احكام
الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى
منها خصوصا وهى صلوة العصر لقوله عليه الصلوة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة
الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملئكة
وقيل صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم وكانت افضل لقوله عليه الصلوة
والسلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتى النهار والليل والواقعة فى الحد
المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها
بين جهريتين واقعتين طرفى النهار وعن عائشة انه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ والصلوة
الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ
بالنصب على الاختصاص وقوموا لله الى الصلوة قانتين ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه
وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا
فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة
حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة لا يصلى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف
فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما
علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتى الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة

ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير
والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين
يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون
بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم
وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من
قرأه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من
ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم
بان يتمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان
كان متقدما فى التلاوة فهو متاخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد
ثابتة خلافا لابى حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن
كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز
ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت
المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا
جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب
والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او
لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد
بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون
لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا فى التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم
يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر
الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل
سبعون وقيل متآلفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له

فقال لهم الله موتوا اى قال الله لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد
من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله
تعالى اليه ان ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة
تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على
الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لما بين ان
الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر
والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا او بدله وقرض
الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه قرضا حسنا فيضاعفه له اى فيضاعف جزاءه اخرجه
على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى
يقرض الله فى معنى ايقرض الله وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا
كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف نصب على الحال من الضمير
المنصوب او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه
للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه
بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائى والبزى وابو بكر بالصاد ومثله فى الاعراف
فى قوله تعالى فى الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل
الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته
ومن للابتداء اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى
سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب و
قرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف
لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع
جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا و
تثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
اى اى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن

الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب
عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد
على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود
وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم
اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون
ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة
وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من
اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في
اولاد يهودا وكان فيهم من الاسباط خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم
اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور
العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على
مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه
وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا انه واسع الفضل يوسع على
الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى
طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع
اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأ بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل
من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان من الشمشاد مموها بالذهب
نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم و
طمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه
فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة
وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا من آدم
الى محمد عليه الصلوة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه
مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون رضاض الالواح

وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل
لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان
بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله
طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان
يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله
فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط
الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم
نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني
فليس من اتباعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا
او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار
النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم
الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ
ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه
ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا
على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة
الاف وقيل الف روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه عليه
واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه
اي القليل الذي لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم
وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه
وعلموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذي ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير
المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتهديدا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة
او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة
والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا

أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا إلى الله بالدعاء. وفيه
ترتيب بليغ إذ سألوا أولا إفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الأمر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب
المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم بإذن الله فكسروهم بنصره أو مصاحبين
لنصره إياهم إجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان إيشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه
وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فأوحى الله إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه
فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة أحجار وقالت له إنك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله
ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك أي ملك بني إسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة
النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا أنه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر
المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وأفسدوا في الأرض أو لفسدت الأرض بشؤمهم وقرأ نا
فع هنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله إشارة إلى ما قص من حديث الألوف وتمليك طالوت وإتيان
التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك
فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ وإنك لمن المرسلين لما أخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل
إشارة إلى الجماعة المذكورة قصصها في السورة أو المعلومة للرسول أو جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له وهو
موسى وقيل موسى ومحمد عليهم السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان
قاب قوسين أو أدنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فإنه كلم الله كما أن الله كلمه
ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بأن فضله على غيره من وجوه متعددة
ومراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فإنه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات
المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والإبهام لتفخيم
شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل إبراهيم خصصه بالخلة التي هي أعلى
المراتب وقيل إدريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل أولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم
البينات وأيدناه بروح القدس خصه بالتعيين لإفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل
معجزاته سبب تفضيله لأنها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى
الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة

لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الأنبياء
تفضلا ومنهم من كفر لإعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله
يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على أن الأنبياء
متفاوتة الأقدام وأنه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لأن اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل
وأن الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان أو شرا إيمانا أو كفرا يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم
ما أوجبت عليكم إنفاقه من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل أن يأتي يوم
لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه إذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه أو تفتدون
به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحوكم به ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي
له قولا حتى تتكلوا على شفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذممكم وإنما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لأنها
في التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الأصل و
الكافرون هم الظالمون يريد والتاركون الزكاة هم الذين ظلموا أنفسهم أو وضعوا المال في غير موضعه
وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج
وإيذانا بأن ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الله
لا إله إلا هو مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في أنه هل يضمر للا خبر مثل
في الوجود أو يصح أن يوجد الحي الذي يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه
عن القوة والإمكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالأمر إذا حفظه
لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان أقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات
الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسا وتقديم السنة عليه
وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فإن من أخذه
نعاس أو نوم كان مؤوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي
الجمل التي بعده له ما في السماوات وما في الأرض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الألوهية و
المراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو أبلغ من
قوله له السماوات والأرض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء
شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا أن

يعاوقه عنادا او مناصبة **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس
لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه
وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم
العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء **ولا يحيطون بشيء من علمه** من معلوماته
**الا بما شاء** ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال
على وحدانيته **وسع كرسيه السموات والارض** تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في
الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم
بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات
السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك
الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا
ينفصل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد **ولا يؤده** ولا يثقله ماخوذ
من الأود وهو الاعوجاج **حفظهما** اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف
المصدر الى المفعول **وهو العلي** المتعالي عن الانداد والاشباه **العظيم** المستحقر بالاضافة اليه
كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد
في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره
منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح
مالك الملك والملكوت مبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا
من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان
يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم
ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب
من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة
مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها
اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله **لا اكراه في الدين**
اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا ولكن **قد تبين الرشد من الغي** تميز



الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر
غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة
والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام
منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان
له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله عليه السلام فنزلت **فمن يكفر بالطاغوت** بالشيطان او الاصنام او كل
ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه **ويؤمن بالله**
بالتوحيد وتصديق الرسل **فقد استمسك بالعروة الوثقى** طلب الامساك من نفسه بالعروة
الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك الحق من النظر الصحيح والراي القويم **لا انفصام**
**لها** لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته **والله سميع** بالاقوال **عليم** بالنيات ولعله
تهديد على النفاق **الله ولي الذين آمنوا** محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في
علمه انه يؤمن **يخرجهم** بهدايته وتوفيقه **من الظلمات** ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس
والشبه المؤدية الى الكفر **الى النور** الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر او حال من المستكن
في الخبر او من الموصول او منهما **والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت** اي الشياطين او المضلات من الهوى
والشيطان وغيرهما **يخرجونهم من النور الى الظلمات** من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد
الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل
نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يابى تعلق قدرته
تعالى وارادته به **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد
المؤمنين تعظيم لشانهم **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** تعجيب من محاجة نمرود وحماقته
**ان آتاه الله الملك** لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على
طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من
منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة **اذ قال ابراهيم** ظرف لحاج او بدل من ان آتاه على الوجه الثاني
**ربي الذي يحيي ويميت** بخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء **قال انا**
**احيي واميت** بالعفو عن القتل والقتل وقرا نافع انا بالالف **قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس**
**من المشرق فات بها من المغرب** اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى

الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهي في الحقيقة عدول عن مثال
خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود
زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله تعالى فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك
وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه فقال له من ربك
الذي تدعو اليه وحاج فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم
محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي مر على قرية تقديره او أرأيت مثل
الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته
اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج
او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من
كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله تعالى الذي مر وهو
عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين
خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو
الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد
موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل
مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال
بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه
بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث
او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه
مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية
منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك
لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر
لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت
النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد
قيل كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي

لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما
ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال وأوفق
لما بعده ولنجعلك آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره وقال
انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله
وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجبت من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها
او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها
محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر
بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان
الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه او هو
نفسه خاطبها على طريقة التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير
علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال
نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على
الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال
له ذلك وقد علم انه اعرق الناس بالايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى
الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر
النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات
والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف
بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان
واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن
اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن
بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه
على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره

او اجمعهن وضمهن من الصر وهو الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزئهن وفرق
اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر جزؤا بضم الزاء حيث
وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه
امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على
الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن
الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى
البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية
العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال
انه تعالى اراه ما اراد في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان
الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف
مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من
الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق
يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون
في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى
حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع
لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رضي الله عنه فانه جهز جيش
العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه
بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط
ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل
ومغفرة وتجاوز عن السائل لالحاحه او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل
بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة



لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق
ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد
رضاء الله ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال
ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه
كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من
التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي
ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي
القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار
ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من
انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت
بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من
اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة
بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر
عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين
مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله تعالى
من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل
اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها
وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت
تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على
الربوة ونفقاتهم القليلة او الكثيرة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون
بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له
جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع
ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات

ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع وأصابه
الكبر اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا
على المعنى فكانه قيل أيود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار
لا قدرة لهم على الكسب فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او يكون
باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى
تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف
اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه واشبههم به من
جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور
والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما
كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردى
منه اى من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرى ولا تاموا
ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير
للخبيث والجملة حالا منه ولستم بآخذيه باخذيه اى وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم
لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ
تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف
التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد
بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر فى الانفاق والوعد فى الاصل شائع فى الخير والشر
وقرى الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل و
العرب تسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصى والله يعدكم مغفرة منه اى يعدكم فى الانفاق
مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا او فى الآخرة والله واسع اى واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر
للاهتمام بالمفعول الثانى ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر
اى ومن يؤته الله فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثيرا اذ حيز له خير الدارين وما يذكر

وما يتعظ

وما يتعظ بما قص من الآيات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله فى قلبه من العلوم
بالقوة إلا أولوا الألباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى
وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط
او غير شرط فى طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون
فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم
من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة و
الكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون
العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
اى تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ولمن لم يعرف
بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفى التهمة عن ابن عباس صدقة السر فى التطوع تفضل
علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا و
يكفر عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى والله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة و
او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائى به مجزوما على
محل الفاء وما بعده وقرى بالتاء مجزوما ومرفوعا والفعل للصدقات والله بما تعملون
خبير ترغيب فى الاسرار ليس عليك هديهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك
الارشاد والحث على المحاسن والنهى عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدى
من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير
من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين
الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليس نفقتكم الا ابتغاء وجهه
فما لكم تمنون بها او تنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه
اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع
فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب اما الواجب

فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اى اعمدوا
للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله احصرهم
الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا
من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا
يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى
يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا
من ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه
كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب فى الانفاق وخصوصا
على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال
بالخير نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل فى على لم تملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم
نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف
اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربوا اى الاخذون له وانما
ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان يباع
مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او فى العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما
كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا
بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد
على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء
من المس اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل
وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون
نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه
من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا

البيع والربوا فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل
البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين
فبيع درهما من اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها
يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص
فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى كالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ
وتبع النهى فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما فى موضع الرفع بالظرف ان جعلت
من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله
يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شانه ولا اعتراض لكم عليه
ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به
يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف
ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احدكم
مهره وعنه صلى الله عليه وسلم ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته
للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله
وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما
على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من آت على فائت
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا
ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل
بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن بالشئ
اذا علم به وقرا حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع
فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفئ الى
امر الله كالباغى ولا يقتضى كفره روى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب من الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر
على التحليل مرتد وماله فئ وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان
الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهو الانظار وقرئ

فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظرة بمعنى منتظرة او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر
اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة
وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون
لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم
فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص
ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر اية نزل بها جبريل وقال ضعها
في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين
يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم
بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين
ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير
فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع
للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلف
وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر المتداينين
باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد
من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته
كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها
بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة
ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال
والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من
الحق او مما امل عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او
شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل
وليه بالعدل الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم



او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه
القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال
المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة يسمع شهادة
الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان
فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص
عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى
علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة
في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو
فادفعه وكأنه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة
ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع
وما مزيدة ولا تسئموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مدايناتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب
وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت
صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله
الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة
واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط
وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا
في جنس الدين وقدره واجله والشهود الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس
عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين
او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا
لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان
تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
والباقون على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع
او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب
ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ

ولا يضار بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او
عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة
مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم
واتقوا الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظ الله في الجمل الثلث لاستقلالها
فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم
من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق
به رهان او فعليكم رهان او فليوجد رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان
كما ظنه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين
صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر
الذي هو مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو
فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن
بعضكم بعضا اي بعض الداينين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد
الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن
بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطا لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها
فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار حقه وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او
المديون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه
ياثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن
زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه
واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون
عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعقاب يحاسبكم به الله
يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته
ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم
ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء
جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد

ويعلمكم الله



حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثلها فانه على كل شيء
قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص
من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله
وملئكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي
ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين في
باعتباره يصح وقوع كل بجمعه خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه
عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس
والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر
من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان
الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه
في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق
بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او
نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا
الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه
طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال
ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها
ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه
اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا من
تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان
تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب
وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به
استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي
الخطا والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا ياصر صاحبه اي يحبسه في مكانه
يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا

حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف
به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة
وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف
بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا
وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل
علينا انت مولينا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء
والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه
السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة
من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر
سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال
السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال
السحرة سورة آل عمران مدنية وهي مائتان بسم الله الرحمن الرحيم الم
الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها
ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم
واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ
بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل
الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله
الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي
القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة
انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل
جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما
اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان
والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يفتحها



بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون
بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة
بين الحق والباطل ذكره بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما
يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما و
اظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل
او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب
كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم
والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات
النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما
قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا
وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال
على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه ولعبادته
لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة
الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران
لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا
لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس
امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات
لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها
فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات
واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا
متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف
لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه

في معنى المعرف او اُخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه
منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلبا ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان ياولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان
يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل
وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن
وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد
كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به
استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من
المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر
واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها
من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن
تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله
فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء من نطفة اب وغيرها وبانه صوره في الرحم و
المصور لا يكون ابا المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا
عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع
الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ
هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه
بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما
ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم
وما فيه من الحشر والجزاء نبه به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف
الميعاد فان الالهية تنافيه والاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان
وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا
عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها



وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم
كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد بهم او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب
هؤلاء كداب هم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان
والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا حال باضمار قد او استيناف
باٰيتنا فاخذهم الله بذنوبهم
بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة و
زيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة
ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع
فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب
لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني
النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائي بالياء
فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او
استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش
او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الف او مثلي
عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا
عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او
يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي
وعدهم الله به في قوله وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وقرا نافع ويعقوب بالتاء و
قرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين
والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله
يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي في التقليل والتكثير وغلبة القليل
عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على
ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين
للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها
حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال

والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه
يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فانه الاية في معرض
الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة و
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات
والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملاء مسك ثور واختلف في انه فعلال او
فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة
وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم
ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على
استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير
من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير من ذلكم ويجوز ان يتعلق اللام
بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما
يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم في رواية ابي بكر في جميع القرآن بضم الراء
ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير
بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم
جنات وقد نبه بهذه الاية على نعم فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان
من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا
عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد
الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما
توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر
يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة
الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة
اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها
او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة ح



اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون
بالاسحار ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال
الايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك
في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه
على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا
له اسحاق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة
او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة
او حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتأكيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله العزيز الحكيم
فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل
من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها
يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة
للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان
او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على
الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين
اوتوا الكتب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه
حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلث النصارى و
قالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل النصارى اختلفوا في
امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالايات و
الحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله
فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت
الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم
الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء

الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ااسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم
بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد
اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اى فلم يضروك
اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم
هم اهل الكتاب الذين فى عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي
والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرا حمزة ويقاتلون الذين وقد منع
سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم فى
الدنيا والاخرة كقولك زيد فاعلم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم
من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية او جنس الكتب
السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله
ليحكم بينهم الداعي محمد عليه السلام وكتاب الله القرآن او التورية لما روى انه عليه السلام
دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال على دين ابراهيم
فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل
نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة
السمعية حجة فى الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم
معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة
ذلك اشارة الى التولى والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ كما قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات الواحدة وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل
او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده
الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم فى الاخرة وتكذيب
لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل

على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل دخولها
فاذن هى بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان قل
اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام
التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بالخير فخفف بحذف حرف النداء و
متعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء
ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
تعطى منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد
بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء فى الدنيا او الاخرة او فيهما
بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شىء قدير ذكر الخير وحده لانه
المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب
فى الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين
ذراعا فاخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين
لابتيها لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور
الحيرة كانها انياب الكلاب فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة على كلها
فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور
الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده
بقوله انك على كل شىء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت
وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان
قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك
قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار
ادخال احدهما فى الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء
الحيوانات من موادها وامانتها وانشاء الحيوان من النطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة قديمة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم

الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة
الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم
اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين
لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة
الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا
وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا او باطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار
الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى
الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر
بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما
يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية
الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلانيتكم
والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله
يحذركم الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها
وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع
عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف
اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا
او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت
من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن
الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتذكير
والتوكيد والله رؤوف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة
لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد
اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله
والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه

فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم
بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة
او المقابلة والله غفور رحيم لمن يتحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن
ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في قوم زعموا
على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من
العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان
الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد
العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله فان
محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو
عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان
مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق
واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران
بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان
بن ابيعازار بن ابي يوذ بن زرب بابل بن ساليان بن يوحنا بن اموذ بن منشكن بن حار
قيا بن احاز بن يونام بن عزريا بن يوارم بن ساقط بن ايشا بن ابيان بن راجعيم بن سليمان
بن داود بن ايشى بن عويد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عميناذب بن رام بن
حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة
ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي
انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين و
الذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت
همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم
فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها
اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني اذ منصوب به وقيل نصبه باضمار

اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هارون فظن انه المراد وزوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب انها كانت عاقرا عجوزا فبيناهي في ظل شجرة اذ رأت طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا **محررا** معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال **فتقبل مني** ما نذرته **انك انت السميع العليم** لقولي ونيتي **فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى** الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالت تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجوا ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره **والله اعلم بما وضعت** اي بالشيء الذي وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله لها **وليس الذكر كالانثى** بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس **واني سميتها مريم** عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة **واني اعيذها بك** اجيرها بحفظك **وذريتها من الشيطان الرجيم** المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عليه السلام ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمها ببركة هذه الاستعاذة **فتقبلها**



**ربها** فرضي بها في النذر مكان الذكر **بقبول حسن** بوجه حسن يقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر وتسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي ذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن **وانبتها نباتا حسنا** مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها **وكفلها زكريا** شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا **كلما دخل عليها زكريا المحراب** اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس **وجد عندها رزقا** جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس **قال يا مريم انى لك هذا** من اين لك هذا الرزق الاتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه **قالت هو من عند الله** فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة **ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل

بيته وبقي الطعام كما هو فما وسعته على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال من الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامر الله تعالى دون اب فشابه المبدعات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغة في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتريح مشقة الانتظار قال ايتك الا تكلم الناس



ثلثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال ايتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة على جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او لاقتران اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بالاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه

فان طريقة معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلومة لا شبهة فيه
عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم
متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم
يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ
قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام و
البشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه
اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق
واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من
المسيح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او
مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم
لما كانت صفة تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه
اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة
فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ
محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من
غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في
الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها
تذكير للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله
وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس
في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت
والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا
بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ومن
الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لى ولد
ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او
غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجبريل حكى لها قول الله تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء

مدرجا باسباب ومواد يعتد ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة
والتورية والانجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت
انها تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب
المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا الى بني اسرائيل
اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت
رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال
وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث
الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية
او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع اني بالكسر
فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله اي فيصير حيا
طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف
والهمزة وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان
يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء
واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من
جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم المغيبات من احوالكم
التي لا تشكون فيها ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان
فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي
من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي
وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف
على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في
شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على
ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن
بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان
وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قوله ان الله ربي وربكم فانه دعوة

الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر او هو جئتكم باية على ان الله
ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية
من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى
الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والايات
الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها
بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي
غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة
التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو
الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم فلما
احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري
الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري متضمنا معنى
الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري وقيل الى هنا بمعنى مع او في
او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمي بها اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء
سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون
يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا
مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء
الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اي
الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الناس احس منهم الكفر
من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من
قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند
الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم
على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر
مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما

اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه
رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته
الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل
كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من
آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم
ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير الحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم
بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره
وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه
حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة
مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام
شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه
ويجوز ان يكون ثم للتراخي الخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف
اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فمن حاجك من النصارى

فلا تكن من الممترين خطاب للنبي على طريق التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع

فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا
هلموا الى الراي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا و
انفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة و
يحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم
نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك

من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار ثم نجعل لعنة الله على الكاذبين عطف
فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وهو
وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا
رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها
وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو
سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية
الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى
الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص
من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسى
ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخله لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها
ان يدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على
النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساوي في القدرة التامة
والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع
المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد
المؤدي الى فساد النفس بل الى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل
يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل
والكتب وتفسيرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها
ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن
الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه
لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم
قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة

فاعترفوا

فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه
الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في
الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل
عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز
ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم
بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا
عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب
لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في
ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان
اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ و
هؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم
فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون
فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته
وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع
وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمز من غير الف بعد الهاء
والباقون بالمد والهمز والبزي بقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون
وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان
به ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة
الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به
عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم
به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا
لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم

لم تحاجون فيما ليس لكم به علم

ودت طائفة من اهل الكتب لو يضلونكم نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود
وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او وما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره
واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتب لم تكفرون بايات الله بما نطقت التورية
والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها ايات الله
او بالقران وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او بعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل
الكتب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التميز
بينهما وقرى تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله
كلابس ثوبى زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون عالمين بما يكتمون وقالت
طائفة من اهل الكتب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار اى اظهروا
الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم
يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة
وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا
فى آخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى ورد فى التورية لعل اصحابه
يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم
وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدى من يشاء
الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم
لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين
لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدى
بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع
يؤيد الوجه الاول اى لان يؤتى احد دبرتم وقرى ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى
ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على



ان يؤتى اى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو
ضمير احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء و
الله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال
لما زعموا لا بالحجة الواضحة ومن اهل الكتب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد
الله بن سلام استودعه قريشى الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا
يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب
فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة وقرا حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده
اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روى عن هشام والباقون باشباع الكسرة
الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى وبالترافع و
اقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله ذلك بانهم قالوا ليس بسبب قولهم علينا
فى الاميين سبيل اى ليس علينا فى شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عقاب وذم
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم
استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا
تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شى فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها
مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله
يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم
المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من
اداء الواجبات والاجتناب من المناهى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا
عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم اى بشى اصلا
وان الملائكة يسئلونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه
عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم
معه والالتفات به ونحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثنى عليهم
ولهم عذاب اليم على ما فعلوا قيل انها نزلت فى احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد

صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرها واخذوا على رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق
فحلف لقد اشتريها بما لم يشترها وقيل نزلت في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بير
وارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون
السنتهم بالكتب يفتلونها بقراته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب
وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لتحسبوه من الكتب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير
ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب
وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون بذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا
لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد
وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل
ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد
غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل رجل قال يا رسول
الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون
الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربنيين ولكن يقول كونوا ربانيين
والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
بما كنتم تعلمون الكتب بزيادة الالف والنون وبما كنتم تدرسون بسبب
كونكم معلمين الكتب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير
للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع وعمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون
من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة
ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة
والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة ويعقوب وعاصم عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة
لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب ثم يامر الناس بعبادة نفسه
ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس لبشر وما صح له ان يؤتى النبوة ثم
يترتب على ذلك الامر له ان يامر بعبادته وان لا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى حاله

وما هو من الكتاب

امرا من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال من ضمير ثم يقول وقرا ابو عمرو على
اصله في الاختلاس والكسر ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه
تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم وقيل اضافة الى النبيين اضافة الى الفاعل
والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف
وهم بنو اسراءيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب
والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية
اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن
ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين
اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما فالادغام فحذف احدى الميمات استثقالا وقرا نافع
اتيناكم بالنون والالف جميعا قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه
مما يوصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا
قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم
من الشهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى
بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفسقون المتمردون من الكفرة
افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة المتوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره
ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي
عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب بالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموت
والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق
الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرا حفص بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله
وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط

وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه
ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب
الى واحد من الجمع وقد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والانزال كما
يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على سائر الرسل
لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين أحد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون
منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن
الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي
فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل
دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق
بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة
المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن من الصالحين او حال باضمار
قد من كفروا وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من
جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون
على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم
فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او
العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا
ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم
يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسألوا
هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية

ثم ازدادوا

ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا
بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص به ريب المنون او نرجع اليه وننافقه بالتظاهر به لن تقبل توبتهم
لانهم لا يتوبون او لانهم لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم
وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم
ولذلك لم يدخل الفاء على الخبر فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان
الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت
على الكفر سبب الامتناع قبول الفدية ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على
التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء
الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة والمراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد
اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه
تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر
اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة
حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة
الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب
اموالي الي بيرحا فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها
في الاقارب وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من
شيء اي من اي شيء محبوب او غيره ومن للبيان فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل
الطعام اي المطعومات كلها والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به و
لذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل

يعقوب **على نفسه** كلحوم الابل والبانها قيل انه كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه
وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللما
نع ان يقول ذلك باذن الله فهو كتحريمه ابتداء **من قبل ان تنزل التورية** اي قبل انزالها مشتملة
على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعي
عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا وحرمنا كل ذي ظفر بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما
كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع
النسخ والطعن في دعوى الرسول موافقة ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها **قل فاتوا بالتورية فاتلوها**
**ان كنتم صادقين** ۝ امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه حرم بسبب ظلمهم ما لم يكن
محرما روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته
**فمن افترى على الله الكذب** ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل
ومن قبلهم **من بعد ذلك** من بعد ما لزمتهم الحجة **فاولئك هم الظالمون** ۝ الذين ينصفون
من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح **قل صدق الله** تعريض لكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما
انزل وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا** اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم
ومثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف لكتاب الله والمكابرة لتسوية الاغراض
الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه **وما كان من المشركين** ۝ فيه اشارة الى
ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض
بشرك اليهود **ان اول بيت وضع للناس** اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى
ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل **للذي ببكة** للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة
كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هو موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه
او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع
للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه
ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم فانطمس في الطوفان
ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط
ادم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات
وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان **مباركا** كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره

وهدى

واعتكف
دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف **وهدى للعالمين** ۝ لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان
فيه ايات عجيبة كما قال **فيه ايات بينات** كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان
ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل
والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابراهيم** مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل
من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها
فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع
كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة
قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيها قدماه **ومن دخله كان امنا** جملة
ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من
دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر
غيرهما كقوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة
لان فيهما غنية من غيرهما في الدارين من بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال
صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعند ابي حنيفة رحمه الله عليه
من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما فالتجا الى الحرم لم يتعرض له ولكن الجي الى الخروج **ولله على**
**الناس حج البيت** قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص
حج بالكسر وهو لغة نجد **من استطاع اليه سبيلا** ۝ بدل من الناس مخصص له وقد فسر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رح انها
بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن
فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رح عليه انها بمجموع الامرين والضمير
في اليه للبيت او الحج وكل ما اتي الى البيت فهو سبيله **ومن كفر فان الله غني عن العالمين** ۝
وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات
ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب
الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كالايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد
وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء وانه في هذا الموضع مما يدل على المقت

والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان
والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن
الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل
فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل
يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه
وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم
وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون ۝
والحال انه تعالى شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل
يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة
في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب
وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم
حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله وكانوا
يحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا من الواو باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس
وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما
او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها
ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله
بغافل عما تعملون ۝ وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد
ولما كان المنكر في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله
بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم
بعد ايمانكم كافرين ۝ نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس
بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث
وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا
وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع
به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا

وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر
الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا للجلالة واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم
وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب
لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك
بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم ۝ فقد اهتدى لا محالة
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في
القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو تنزيه الطاعة عن الالتفات اليها وعن
توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية قلبت واوها
المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون ۝ ولا تكونن على
حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات
نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه
الاسلام او بكتابه لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك
به سبب النجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد
عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق
ويزيل الالفة واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي
الى التآلف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين
لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام
والف بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفقين على الوقوع
في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحالة لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام
والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر و
شفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ۝ ارادة ثباتكم

الهدى وازدياد كم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية
ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام
ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم
على الله واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض
كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه
عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون ۝ المخصوصون بكمال الفلاح
روي انه صلى الله عليه وسلم سئل من خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر
واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه
تركه وانكاره فلا يسقط احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم
البينات الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق
في الاصول دون الفروع لقوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة ولقوله صلى الله عليه وسلم
من اجتهد واصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم ۝ وعيد
للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في قوله
تعالى لهم من معنى الفعل او باضمار اذكروا بياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة
الخوف وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه
واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة
القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم
او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او جزاء كفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمت الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر
عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حقها



الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك ايات الله
الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما
للعالمين ۝ اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه
المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور ۝
فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرء كقوله
وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس
اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين كونهم خير امة او خبر ثان
لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا
حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي
كونهم امرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على
خلاف ذلك ولو امن اهل الكتب ايمانا كما ينبغي لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفسقون ۝ المتمردون في الكفر وهذه الجملة
والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان
يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ۝ ثم لا
يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا
الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا
على ان ثم للتراخي في الرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الاية من المغيبات التي وافقها الواقع
اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال
والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله
او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءو بغضب من الله
رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب
على اهله اليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء

بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون ○ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يودي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ○ يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه صلى الله عليه وسلم اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين ○ اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين ○ بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل فان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغنى فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون ○ مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح البارد كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط الله

اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون ○ اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا اي لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع والنقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ○ ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما لكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور ○ فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه

بعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمايرهم إن تمسسكم
حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها لبيان تناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم
من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وإن تصبروا على عداوتهم
او مشاق التكليف وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين
والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة
الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره إن الله
بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ۝ اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما
يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه وإذ غدوت اي اذكر اذ غدوت من أهلك من حجرة عايشة
رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد
للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق
وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم ۝ بنياتكم روي ان المشركين نزلوا
باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول اصحابه ودعا عبد الله بن
ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا
منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا
بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
واشار بعضهم الى الخروج فقال صلى الله عليه وسلم رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا
ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد
اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع
يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح
بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم
وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا إذ همت متعلق بقوله
سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من
الاوس وكانا جناحي العسكر أن تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه صلى الله عليه وسلم خرج
في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثماية فقال علام نقتل

بموالاتهم او بما حرم الله عليكم



انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله والاسلام في نبيكم وانفسكم فقال
ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد
والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ اي فليتوكلوا عليه و
لا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افاده
التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة و
ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم
تشكرون ۝ ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سببه إذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من واذ غدوت على ان
قوله يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر
الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف
من الملائكة منزلين ۝ انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالايسين
من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا
ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن
اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال إن تصبروا
وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر
فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحالة التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم
في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير
مسومين ۝ معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله صلى الله عليه وسلم تسوموا
فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم و
يعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن
قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على
انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر
العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم ۝
الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا

متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعضهم واسر اخرين وهو
ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ
او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال
ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم او يتوب عليهم
ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من
امرهم شيء او توبة عليهم او من تعذيبهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتشتفي منهم وروي ان
عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعوا عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن فانهم
ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله
الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا يبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا
لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب
الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون
راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم
وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال
ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق
به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها
السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة
التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا
العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء
في حال الرخاء والشدة او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما
بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه

مع القدرة

مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا
وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا
مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا في
الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون
الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنى او ظلموا انفسهم بان اذنبوا
اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس
ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم
بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين
والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة
ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه الصلوة والسلام ما اصر
من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم
عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون
ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد
النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما
للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل
اياتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا
الى التخصيص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل
لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء
بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا
من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنين فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس
هدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين
فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت جملة

للحث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن
الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله
وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر
مما اصابوا منكم اليوم او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم
مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان
يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون
بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم
احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون
من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسيين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
الرسول صلى الله عليه وسلم وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء
تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال
داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها
اوقات النصرة والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوف اي نداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل
المعلل به محذوف وتقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد
في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان
وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة
يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على شدائده والله
لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه
على ان الله تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين و
ليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين
ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل
على ان فرض الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على
ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ

بالرفع

بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما يجاهد بعضكم صابرين ولقد كنتم تمنون الموت
اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا
ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة
فالحوا يوم احد بالخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه
وانتم تنظرون فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ
لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة
الكافرين وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او
القتل افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم
على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل
الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه
لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب
عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه
وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان
وقال اناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن
مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل
عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت و
من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين
على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
الا بمشيته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى
وقضائه لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه
تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتاخير الاجل كتابا
مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن
يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على
المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا عليه فهزموهم ومن يرد

ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم
شيء من الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها فصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس
وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيئن ثم حذفت
الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير
ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه
ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب كالكسر
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي صلى الله عليه وسلم
او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من
السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون
لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام
والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب
والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب
التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما
جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء الى الله
النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا
بفضله وانه المعتد به يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على
اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم
واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان وهو اكبرهم واشياعه وتستامنوهم
يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم
ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية
غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد

حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان
شئت فقال عليه الصلوة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا
وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي
ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به
سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب
بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان و
مأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر
للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان
كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم
بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه
حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب و
تنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا
وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون
للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز
للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم
ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها
ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين
يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون
متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم
في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما
اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا
بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه
وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا

في اخراكم

على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتاسفوا على
ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم
ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصرة ولا على ما اصابكم من الهزيمة
والله خبير بما تعملون ۝ باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة رضي الله عنه غشينا النعاس في
المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول و
نعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة
او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم
اي النعاس وقرا حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون
قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله و
غير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه و
هو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من
يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر قط وقيل اخبر ابن ابي
بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر
شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله
ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو
عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون
اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون
اي في انفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان
لنا من الامر شيء كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم
نبرح كما كان راي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل
لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
اي لخرج الذين قدر الله تعالى عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة
ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في



صدوركم ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي
وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على
قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم
بذات الصدور ۝ بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على ان الله غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك
لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان
طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة ومخالفة النبي
صلى الله عليه وسلم فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب
ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم
وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله
غفور للذنوب حليم ۝ لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كا
الذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب والمذهب
اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه
جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في
قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله تعالى انتفاء كونكم مثلهم
حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر
في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
والله بما تعملون بصير ۝ تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على
انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائي
بكسر الميم من مات يموت لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ۝ جواب القسم وهو ساد
مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل
الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن

لمتم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه
وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة
والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة
ان لينه لهم ما كان الا برحمة وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو
كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسية لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم
يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب
اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة
المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله
في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته
لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح
ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم
من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل
وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان
يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية
والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وسلم عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا
المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسميته حرمان
ان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات
بما غل يوم القيامة يات بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم
توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب
لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله
فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم



افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم
وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى وكذلك
المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات
والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من
الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان البعثة
عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله
في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه الصلوة والسلام كان
من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي
ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران
والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى
ان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم
مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على
محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم كذا ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة
وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز
فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي كرم الله وجهه
باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب
بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم
احد فباذن الله فهو كائن بقضائه او تخلية الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين
وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل
لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا
تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا
الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا
لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس

بقتال بل التقاء الانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوا دغلا او استهزاء هم
للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وقيلهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
ان كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمومنين يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه
تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه
مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم
او الوصف للذين نافقوا وجر به بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن
بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة
بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن
انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع
القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان
اسباب الموت كثيرة كما ان القتال يكون سببا للاهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون بالعكس
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء احد وقيل
في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى
ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا
جائز الحذف وعند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء
وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم
احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله
والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم
المومنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم
ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال
من تركوا خلفهم من المومنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع
محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته
لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون
النار يعرضون عليها بالاية وما روى ابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام قال ارواح الشهداء

في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر
ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او
احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد
لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمومنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد
وليتعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم
بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما
للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المومنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرا الكسائي
بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله
محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح
للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم صفة للمومنين او نصب على المدح او مبتدا خبره
ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم
محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه بالخروج في طلبه وقال لا يخرجن
معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء
الاسد وهو على ثلثة اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر
والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم
من عبد قيس او نعيم ابن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب
الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم
بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج من اهل مكة حتى
نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة
للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم
معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم
اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال
عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون

حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به وحده والبارز
للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم به واظهروا
حمية بالاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص كما قال نعم يزيد حتى
يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان
وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا
وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في
قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ◯ ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر
بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا
وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراح وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي
هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم ◯ قد تفضل عليهم
بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على
العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل
وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطن
يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفة
وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني
ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم اي يخوفكم اولياءه
الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني
وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين ◯ فان الايمان يقتضي
ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه
سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف
ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم
في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا
في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة
اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم
الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم ◯ مع الحرمان عن الثواب

ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ◯ تكرير
للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يحسب
والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل و
هو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل
ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير
لانفسهم وما مصدرية فكان حقها ان تنفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول
وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من
املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة
للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح بكسر ولا يحسبن بالياء
على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي
لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين
على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره
والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى
نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل
الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب
فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض
المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده
مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم
روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي
انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه
يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا

النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من
فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي ولا
تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء اذ جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب
وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخل
بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام
ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات
والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه
ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع و
الاعطاء خبير فمجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات
وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود
لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فقال روي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله
عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر
وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله
فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه واعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء
بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او
استهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه
وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول ذوقوا عذاب الحريق
اي ننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك
الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب
مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم
ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت
ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر
اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث



ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف
ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا
نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة
الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله
اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا
لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤوهم قبله كزكريا ويحيى
بمعجزات اخر واجترؤوا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات
والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود
والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القران
ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر
المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات
بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب
مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او
شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها
بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل
الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي
الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع
الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة واما من طلب بها الاخرة
فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق
وما يصيبها من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف
والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين

اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم
نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم
الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه امره وبالغ فيه و
العزم في الاصل ثبات الراي على الشيء نحو امضائه. واذ اخذ الله اي ذكر وقت اخذه ميثاق
الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه
قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله
نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واغراضها
فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله
الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله تعالى عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل
العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء
جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي
فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين
فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده كانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما
اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد الفعل وفاعله و
مفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سال اليهود عن شيء
مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت
في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم
يفرحون بنفاقهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم
وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي

العقول المخلصة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه
الثلاثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجميع انواعه فانه اما ان يكون
في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك
بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه
الصلوة والسلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات
الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران ابن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض يصلي مضطجعا
على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا
واعتبارا وهو افضل العبادات قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود
من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه الى السماء والنجوم فقال اشهد ان
لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله
ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه
او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا
ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه
ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك
سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر
فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض
حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك
مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه و
فيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع
المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها
ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان
اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس
المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم

القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى باللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم
فآمنا اي بان آمنوا فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا فانها
مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار ۝ مخصوصين بصحبتهم معدودين
في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما
امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة
او قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا
على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه
انك لا تخلف الميعاد ۝ باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث
بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي
الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من
اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر
على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما
من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او الاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها
شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في
الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الخ تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب
على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين واخرجوا من
ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا
حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون
ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه
فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب ۝ على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد ۝ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله
تعالى ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة
المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم

في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم وروي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين
عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل
خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته او في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال
عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم
جهنم وبئس المهاد ۝ اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب
وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه
على الحال من جنات والعامل فيها وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته
ودوامه خير للابرار ۝ مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وخمسين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط
وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان في الظرف وما انزل اليكم من القران
وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص
من الاجر ووعده في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ۝ ان الله سريع الحساب لعلمه
بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود
سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات
وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في
الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في
الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعات كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار
الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه الصلاة والسلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل
صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم
تفلحون ۝ واتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات
الثلاث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على

من السراري لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او
التسري أدنى ألا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار
وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسميات وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم
اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر
عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى
تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة
في ظلمة نحلة عطية يقال نحله نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها
بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء
او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا
منه عليهن فيكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم
كانوا ياخذون مهور موليتهم فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى
او يجري مجرى الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا
تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصدقات عن طيب نفس لكن جعل العمدة
طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب
فكلوه هنيئا مريئا فخذوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ
من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء
ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا يتأثمون ان يقبل احدهم من الزوجة شيئا مما
ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء أموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم
فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة
والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى
ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي
جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول تؤول بانها التي من جنس ما جعل الله
لكم قياما وسمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به
وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها

ما يحتاجون

ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب نفوسهم والمعروف ما عرفه
الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى واختبروهم قبل البلوغ بتتبع
احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد
وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى إذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد
البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة عشر
سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة رح وبلوغ النكاح كناية
عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فإن آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم
بمعنى احسستم فادفعوا إليهم أموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب
اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير
الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد ولا تأكلوها
إسرافا وبدارا أن يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان
غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته
واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه
الصلوة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق
مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا
على انفسهم اموال اليتامى فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه
انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه
الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك رضي الله عنه خلافا لابي حنيفة رضي الله عنه وكفى
بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما
ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه أو كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا
نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا وعلى
الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه

لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابناء
عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء
والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما
لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يتبين فنزل يوصيكم الله
فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت
الخطاب وإذا حضر القسمة أولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل
امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى
فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض ويشفقوا
عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من
حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا
خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية
ولو بما في حيز صلة للذين على المعنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا
ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث
على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله
وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدا
والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة
وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة
وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا وان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي
الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين
او على وجه الظلم انما ياكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابن
رضي الله عنه انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل منهم



فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عباس عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ
به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم
في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث
اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان
فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى
للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث
الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة
لنساء اي نساء زائدة على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل
عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع
على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى
جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ
الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد
النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة
لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من
الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل
واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدة التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل
بعد الاجمال تاكيد السدس مما ترك ان كان له ولد للميت ذكر او انثى غير ان الاب ياخذ السدس
مع الانثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه
ابواه فلامه الثلث مما ترك وان لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط
وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث
معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله
عنهما فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع
فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان

كان لم يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضي الله عنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على
ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن
عباس رضي الله عنه لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا
حمزة والكسائي فلامه بالكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين
متعلق بما تقدم من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال
باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين
ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة
مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا
فيهم ما وصيكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة
من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم
للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية
فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان
عليما حكيما ◯ فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن
لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب
بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة وهكذا
قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي
الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث
صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا
ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الولد والوالد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث
من اورث وكلالة من ليست بوالد ولا والد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل
المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول فيه وهي في الاصل
مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقي محمدا فاستعيرت

بالمصالح والرتب

للقرابة بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك
فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف
على تشاركهما فيه اخ او اخت من ولد الام وانه ذكر اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو
لا يليق باولاد الام وان ما قدر هاهنا فرض الام فناسب بان يكون لاولادها فلكل واحد
منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر و
الانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون
مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير
مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه
وهو حال من فاعل يوصي في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن
كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به
ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة
او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم
لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت من امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود
الله شرايعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنت
تجري من تحتها الانهر خلدين فيها وذلك الفوز العظيم ◯ ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خلدا فيها وله عذاب مهين ◯
توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا و
الا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له والتي ياتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها
يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين
تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها
سجنا عليهن حتى يتوفهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك
عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان
يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله

الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا ۝ كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن
السفاح واللذان ياتيانها منكم يعني الزنا والزانية فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل
بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا بالاغماض و
الستر ان الله كان توابا رحيما ۝ علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة على
الاولى نزولا وكان عقوبة الزنى الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين
والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب
يسند عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفيها فان ارتكاب
الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون من
قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه
السلام ان الله يقبل التوبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله قل متاع الدنيا
قليل وقيل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون
في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يرين السوء فاولئك يتوب
الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو
يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما ۝ والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين
يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضر الموت من الفسقة والكفار
وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة
هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون
السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم
عذابا اليما ۝ تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعد لهم لا يعجزهم متى شاء
والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعدة فابدلت الدال الاولى يا ايها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته
وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء
عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث
فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما



لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما
آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل
التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير
حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج و
نهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء
من اعم عام الظرف والمفعول له تقديره ولا تعضلوهن لعلة الا لان ياتين بفاحشة وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو
بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه
والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج تطليق امراة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه
اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا اي من القنطار اتاخذونه بهتانا
واثما مبينا ۝ استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما
في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم الماثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد
جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة
فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك
فسر هاهنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر
والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا ۝
عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان اخذتموهن بامانة او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة
المفعول من المفعول من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم
النهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة
في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا

حلائل ابنائكم الا ما قد سلف فان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف
فانه لا مواخذة لانه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي نكاحهن كان فاحشة عند الله
ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي
وساء سبيلا ۝ سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن
لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما
قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم يتناول
من ولدتها او ولدت ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة
كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ والاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة
نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا فامرها على قياس النسب
باعتبار المرضعة وولد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه الصلوة والسلام يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب واستثنا اخت ابن الرجل وام اخته من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح
فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاع لان لحمه كلحمة النسب ثم
محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة
من اخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما
واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها
بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل
وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على المعنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا
جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل
بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء الا انه روي عن
علي كرم الله وجهه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما
مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن



في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجراهم
لا لتقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه انه جعل شرطا والامهات
والربائب سنا ولان القربة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن
الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كوطئ بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة رحمه الله لمس المنكوحة و
نحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعاره دفعا
للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين
من اصلابكم احتراز عن المتبني لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على
المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في
النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية
عنيا بهذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول الجمهور لان اية التحليل
مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد
سلف استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان
غفورا رحيما ۝ والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج
وقرا الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم
من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي
سعيد رضي الله عنه اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل
للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم
تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم
عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول
عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين
مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن
في حال كونكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر

لابدان يكون مالا والحجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس من اللوم والعقاب والسفاح
الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات
او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة
الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او
مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه
بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او من مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلثة ايام
حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه الصلوة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت
امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم
سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضي الله عنه ثم
رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما ◯ فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم
طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا
او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى
يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم يعني الاماء
المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعي رضي الله عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق
حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رضي الله عنه طول المحصنات بان يملك
فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله
المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية
دون المؤمنة حذرا من مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من
المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل
ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم
متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم
مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى تحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن
اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم
بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رضي الله عنه المهر للامة ذهابا

الى الظاهر

الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات
بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج فان اتين بفاحشة
زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك
اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد
الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم باقبح القبائح وقيل المراد به
الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم على نكاح الاماء متعففين خير لكم
قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم ◯ بان
رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عليكم من مصالحكم
ومحاسن اعمالكم وان يبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة
كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول
محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج
من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما
يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم ◯
في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون
الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع
في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت
ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ميلا عظيما ◯ بالاضافة
الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع
الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان
ضعيفا ◯ لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنه
ثمان ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل
سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم
يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع

اي ولكن كونوا تجارة التعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير
لانه اغلب واوفق لذوي المروة ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع
عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون بالنصب على كان
الناقصة واضمار الاسم اي الا ان يكون التجارة او الجهة تجارة **ولا تقتلوا انفسكم** بالبخع كما
يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم
لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف
ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان
المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه
سبب قوامها استبقاء لهم ريثما يستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار
اليه بقوله **ان الله كان بكم رحيما** ۝ اي امر ما امر ونهى ما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان
بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهى عنه **ومن يفعل ذلك** اشارة الى القتل
او ما سبق من المحرمات **عدوانا وظلما** افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد
بالتعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب **فسوف نصليه نارا** ندخله اياها
وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء
والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلى **وكان ذلك على الله يسيرا** ۝ لا عسر فيه ولا صارف عنه
**ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله وقرئ كبير على ارادة
الجنس **نكفر عنكم سيئاتكم** نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والقريب ان
الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم و
الربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه الكبائر الى سبعمائة اقرب
منها الى سبع وقيل اراد بها ههنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر
حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما
بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا
مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال اذ يرى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد



على غيره خطيئة فضلا ان يواخذه عليها **وندخلكم مدخلا كريما** ۝ الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا
مع الكرامة وقرا نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر **ولا تتمنوا ما فضل الله به**
**بعضكم على بعض** من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع
كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضاء بما قسم الله له وانه يشتهي حصول
الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له
بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال **للرجال نصيب مما**
**اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل و
نصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلوة
والسلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه و
جعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له **واسألوا**
**الله من فضله** اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي
هو الحسد ولا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم **ان الله كان بكل شيء**
**عليما** ۝ فهو يعلم ما يستحقه كل انسان ويفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت
يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت **ولكل جعلنا موالي**
**مما ترك الوالدان والاقربون** اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك
بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها مما ترك على ان من صلة موالي
لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج
الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا
وخبر **والذين عقدت ايمانكم** موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رضي الله عنه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان
يتعاقلا ويتوارثا صح وورث الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن الشرط وخبره
**فآتوهم نصيبهم** او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين
وقوله فآتوهم جملة مسببة على الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرا الكوفيون عقدت
بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف

في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء
يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم
على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال و
الطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والامارة واقامة الشعاير والشهادة في مجامع القضايا
ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما
انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه
امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى
فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات
مطيعات لله قايمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما
يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك و
اذا غبت حفظتك في نفسها ومالها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله لهن عليهم من المهر
والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو
كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ الله او طاعته وهو التعفف والشفقة
على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن و
اهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع
وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شاين والامور الثلثة مترتبة
ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا
عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او على انه على علو شانه يتجاوز
عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه
وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة
الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صايم
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر
واصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف
ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب



للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر
ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجد الصلاح فيه ان
يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح وزوال
الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه
ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا
بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب
جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما
لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة
حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق
واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف
وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت
ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه
ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من
كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما
منحوا به ويامرون الناس به ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم فهم احقاء بكل ملامة
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر
لنعمة الله ومن كان كافرا للنعمة فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في
طايفة من اليهود كانوا يقولون للانصار لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل
في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على
الذين يبخلون او الكافرين بما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق
لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق
مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان

الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم
الشياطين في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما
الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم
بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف
اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص هنا
والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا
يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال
من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة
وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة
وقرا ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا
على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد
يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر
وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على هؤلاء شهداء لعلمك بعقائدهم
واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة
والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم و
الارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا
يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على قلوبهم فتشهد
عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى
على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال

سويته

سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا
ما تقولون في صلاتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع مادبة ودعى نفرا من الصحابة
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاءت وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم
فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه في السكر
من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى
كحبلى على انه صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب
الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري
سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي ولا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال
الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء ويتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي
جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري
سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز
له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة
وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يحترز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه
وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن
الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج
من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم
بشرتكم وبه استدل الشافعي رحمه الله على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة و
الكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
يريد فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص
بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره
اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض
واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا
مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك

فامسحوا بوجوهكم وايديكم

قالت الحنفية لو ضرب المتيمم على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من
التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية
تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق
ان الله كان عفوا غفورا ⊙ فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا
من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب
حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او
يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكارهم نبوة محمد عليه السلام وقيل ياخذون
الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد
اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا ⊙
يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال
الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او
بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته
يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه
الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهونه فيميلونه
عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى
ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون
مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا
انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما
ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به
وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان
خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة
ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم

فلا يؤمنون الا قليلا ⊙ اي ايمانا قليلا لا يعبا به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز
ان يراد بالقلة العدم كقوله قليلا ما تشكرون او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنوا يا ايها
الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها
فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء
او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في
ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها في الدنيا او في الاخرة
فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات
الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها
بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى
الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او
نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات
او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة
في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم
ايمانهم وقد امن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا ⊙
نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود
عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون
الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة الفعلين على معنى ان الله
تعالى لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا
دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي
وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا
ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ⊙ ارتكب
ما يستحقر دونه الاثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق
على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل

وفي معناه من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته تعالى هي
المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى
المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او
العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب
به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده
وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة
الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في حيي ابن اخطب وكعب بن الاشرف
في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة محمد عليه السلام فقالوا انتم اهل الكتاب
وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت
في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت
سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء
اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين
لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب بشفاعة او غيرها ام لهم
نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت
اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك
فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم
بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا
نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك
مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل ايحسدون
رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كما
لهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا
على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم
فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم
ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما

ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم
من آمن به ومنهم من كفر به ولم يكن في ذلك توهين امره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم
سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير
جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت
الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب ليدوم
لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها
فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم
فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس
وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس
وليل أليل ويوم أيوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين و
الامانات وان نزلت في يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح
ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح فدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضي الله عنه ان يعطيه المفتاح
ويجمع له السقاية والسدانة فامر الله ان يرده اليه فامر عليا رضي الله عنه بان يرده ويعتذر اليه
وصار ذلك سبب اسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان
تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى
بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به
او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص
بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا
بصيرا باقوالكم واحكامكم وبما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم
الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب

طاعتهم لان ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو
يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي
الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة
الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون
القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت
بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم
بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله عنه ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى النبي عليه السلام ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فحكم لليهود فلم يرض بقضائه
وخاصم اليك فقال عمر للمنافق كذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم
خرج فضرب عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال
جبرئيل عليه السلام ان عمر رضي الله عنه فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق رضي الله عنه
والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط
طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه
كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم
اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي
هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موقع الحال
فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم
من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاءوك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم
وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك

الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين
بدمه وقالوا ما اردنا التحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم
عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا
يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك
مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف
لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله
المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره
المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا
مستوجب القتل وتقديره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه
لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق
والتحاكم الى الطاغوت جاءوك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة
والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن
الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه
ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه
قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او
حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون
لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم
فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره
ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتلوا بنو اسرائيل وان مصدرية
او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ
ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه

الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقرأ عاصم وحمزة بكسرها على الاصل والباقون بضمها اجراء لها
مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا ناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم
لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل
عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته ورغبة لكان خيرا لهم
في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب
اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها
نزلت في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال
عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه
السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واحقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا
اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا
لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس
ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة
اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه
او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة
التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية
والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين
ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا
بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان
القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم
بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات
تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او
الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي

ان ثوبان

ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله
فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم
ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في
منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من
الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفة
من الله خبر والفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من
اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء
والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات
جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبيتة اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على
ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي
اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن
الخطاب لعسكر رسول الله المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا
عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا
من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله
ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن
اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كأن لم تكن بينكم
وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما
للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان
يكون معكم لمجرد المال او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه
من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم
يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا
يفصل بعض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشأن
وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة

والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب
التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل
الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها والمعنى ان بطأ هؤلاء
عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها
على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم
قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت
في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل
بل الى اعلاء كلمة الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل
فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو
تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين
ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي
الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم
المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان
مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت
بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد
به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان
يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه
وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها
والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى
على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى
الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء
الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي كيد للمؤمنين بالاضافة الى



كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا
بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون
الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ
منهم صفته ويخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او
الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف
عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن
من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض
اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله
او خشية اشد خشية من خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوا في انفسهم
فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا
ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من
يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا يظلمون ولو كنتم في
بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت
المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة
من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة و
المعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها
الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود
منذ دخل محمد عليه السلام المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله
يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به
وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم
لا افهام لهم او حادثا في صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان القابض والباسط هو الله

تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحي اليك لنطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه تسهل و مطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون



بعض على ما دل عليه الاستقراء لانقصان القوة البشرية ولعل ذكره هاهنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس للتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم الى رايه وراي كبراء اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل على اي وجه يذكر كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلووا على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلف الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها

ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها
في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا ● مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر عليه قال
وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت
فانه يقوي البدن ويحفظه وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها الجمهور
على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منها وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان
قاله المسلم زاده وبركاته وهي النهاية واما برد مثله كما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله و
بركاته وقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك
فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع
وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب
على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القران وفي الحمام وعند قضاء الحاجة
ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم
قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول
قديم للشافعي رح إن الله كان على كل شيء حسيبا ● يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله
الا هو مبتدا وخبر او الله مبتدا والخبر ليجمعنكم إلى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من
قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة
كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو
حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا ● انكار ان يكون احد اكثر
صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله تع محال فما لكم
في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فريقين ولم تتفقوا على كفرهم
وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء
المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمين في اسلامهم
وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا الاسلام وقعدوا معتلين باجتواء
المدينة والاشتياق الى الوطن او في قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها
ما لكم كقولك ما لك قائما في المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي



فما لكم تفترقون فيهم معنى الافتراق مستفاد من فئتين وقراءة حمزة والكسائي باشمام الصاد الزاي
والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان جرهم للنار واصل الركس رد الشيء
مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا ● الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون
سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا
تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم
بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وفي سبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة
الهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كساير الكفرة ولا تتخذوا
منهم وليا ولا نصيرا ● اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون
وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه
السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه و
من لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاءوكم عطف على الصلة
اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك
المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول صلى الله عليه وسلم وكف عن قتال الفريقين او على صفة
قوم فكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وهم بنو مدلج
جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما
جعل الله لكم عليهم سبيلا ● فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين
يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة
واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر

او الى قتال المسلمين أركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم و
يلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض وأولئكم جعلنا
لكم عليهم سلطانا مبينا ۝ حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح
كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه
أن يقتل مؤمنا بغير حق إلا خطأ فانه على عرضة ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء
من الاحوال الا حال الخطأ ولا يقتله لعلة الا الخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ
وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي ولكن ان قتل خطأ وقيل فجزاؤه ما يذكر والخطأ
ما لا يضامه القصد الى الفعل والشخص او ما يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور
كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا
بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق
وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه
تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به
لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم بالاسلام وان كانت
صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان
الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي
على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية
سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة وهو
متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو
في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او على الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم
ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير
رقبة مؤمنة اي وان كان من قوم كفرة معاهدين واهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب
الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد

رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب
عليه كما عليه صيام شهرين ذا توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل
توبته او على المصدر اي تاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف فعليه صيام شهرين من الله
صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ۝ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما ۝ لما فيه من
التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي
عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزلت في مقيس
بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد
بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا أيها
الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر
وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت في الموضعين هنا وفي الحجرات
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم
بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك
تعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله
الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا وهو مشعر بما هو الحامل لهم على
العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل
اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم ان يعلم
مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا
فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعله الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء
وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر و
ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا ۝ عالما به وبالغرض
منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت
اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل
وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم

فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال
لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ
وان خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين
او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او
بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال والاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة
للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم
وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي ثم وقعت فخذه على فخذي
حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي
الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم لا مساواة بينهم وبين من قعد
عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته
وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض
اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي
درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم
وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على
القاعدين اجرا عظيما ۝ نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه
معنى الاعطاء كانه قيل اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا
على الحال منها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل
المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خوله لهم في الدنيا
من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع
منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم
الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون
من جاهد نفسه وفيه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله
غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما ۝ بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي و

الضارع

الضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيستوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة
فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم
فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا
مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا
لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة
والحبشة فاولئك ماواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء
فيه لتضمين الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد
محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا ۝
مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن
النبي عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب
له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليه السلام الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان
ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب
الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى
امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ۝ صفة للمستضعفين اذ لا توقيت
فيه او حال عنه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه
السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق
بها وكان الله عفوا غفورا ۝ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على
رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع
اجره على الله وكان الله غفورا رحيما ۝ الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره

عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ
التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما
بايع عليه رسولك فمات حميدا واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان
تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده
انه عليه السلام اتم في السفر وان عايشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة
رحمه الله لقول عمر رضه اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر
ظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة
فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان
فسمي الاتيان بها قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد
عندنا وستة عند ابي حنيفة رح وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف
اي شيئا من الصلوة عند سيبويه رح ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ۝ شرطية باعتبار
الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم
وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة
الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول
كيفيتها ليأتم به الايمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طايفة منهم
معك فاجعلهم طايفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطايفة الاخرى تجاه العدو
وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطايفة الاخرى وذكر الطايفة الاولى
يدل عليه فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني
النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طايفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم
بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طايفة مرة كما فعله عليه
السلام ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي
بالاولى ركعة وينتظر قايما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وياتي الاخرى فيتم

بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذات الرقاع قال ابو حنيفة رح يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو
وتاتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة
الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تعود وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر الة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة
في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم
فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان
كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في
وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا ۝ وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا
ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ
والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها
كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم
سكنت من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها
من اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حالة
المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة رح
لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال داير بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله
بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب
واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة

النهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما ۞ فيما
يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني
ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد
بن السمين اليهودي والتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا
اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر
انطلقوا بنا الى رسول الله فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم يفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي
فهم رسول الله ان يفعل بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى
ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما
هممت به من عقاب اليهودي ان الله كان غفورا رحيما ۞ لمن استغفره ولا تجادل عن
الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما
جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته
وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما ۞ منهمكا فيه
روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله
يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه
وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه
ويواخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف
الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا ۞ لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء
مبتدا وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ۞ محاميا يحميهم من
عذاب الله تعالى ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل
المراد بالسوء ما دون الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه
الذنوب رحيما ۞ متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن
يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله تعالى وان اساتم فلها و
كان الله عليما حكيما ۞ عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة
او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او

فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ۞ بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى
بينهما وان كان مقترف احدهما دون الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي لهمت
طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا
وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك
عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا
منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر و
انزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من
امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما ۞ اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في
كثير من نجويهم من متناجيهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر
بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة
ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة
الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن
يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ۞ بنى الكلام على الامر
ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة و
الغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله
لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم
تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا وقرا حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء ومن يشاقق
الرسول يخالفه فان كلا من المخالفين في شق غير شق اخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق
بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى
نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ
بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا ۞ جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى
رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما
او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث
لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم
ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء
شيخ الى رسول الله وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم
اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب
فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان
الشرك اعظم انواع الضلال وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الاية الاولى فقد افترى
لانها متصلة بقصة اهل الكتب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى إن
يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه
انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يعمهن فانثى شديد اللازم ليس له
ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر يسمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات
يؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون
ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على
تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ
انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد
واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة وإن يدعون وان يعبدون بعبادتها إلا شيطانا
مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد
الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها
لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على
اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه
وتعالى اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل لانه ما يشركون به ينفعل ولا يفعل
فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله تعالى ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل
ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال
لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا
يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاككم وموالاة
من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من
قولهم فرض له في العطاء ولأضلنهم عن الحق ولأمنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث

ولا عقاب

ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب
تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او بالقوة ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء
العبيد والوشم والوشر واللواطة والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي
هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب من الله زلفى وعموم
اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره
الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه
على ما امره الله تعالى ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس
ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم
الشيطان إلا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ولا
مهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل
مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول
مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب
الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا
انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية
معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في
توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب اي ليس ما وعد
الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل
ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال
اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا
خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه
تقدم ذكرهم اي ليس الامر بامانيكم ايها المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم
هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من

كان هود او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك فقال ومن يعمل سوءا
يجز به عاجلا او اجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رض فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه
السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاوا قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له
من دون الله وليا ولا نصيرا ۝ ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه
وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل واحد منها
لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان
او من الصالحات كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استحقاق
الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون
نقيرا ۝ لا ينقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي
لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر
يدخلون الجنة ههنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه
له تعالى في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية
وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق
على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم
خليلا ۝ اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم
يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها
وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما
يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف
جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية في كمال البشر وروي ان
ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله
لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز
غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه
فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حواري واختبزت به فاستيقظ ابراهيم فاشتم
رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقال من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل



فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء
وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته
على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا ۝ احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم
على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين
اتى النبي عليه السلام قال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث
من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال النبي عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم
فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضمير
المستكن في يفتيكم فيهن وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن
من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره
اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ
وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى او يخفض
على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله
لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في
شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى
النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى بعض
جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي
فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء
اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا
في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ الطلب
من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على
يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى
بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى
صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينتصب
وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا
حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ۝

وعدل عن الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة
فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها
او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ان يتصالحا
بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من
يوقعا الصلح من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما
ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا
من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان
يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله
واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني
لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه
فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم
بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض
ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا ۞ عليما به
وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالكم مقام اثابته اياكم عليها الذي هو في الحقيقة
جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه فيعدل فيقول هذه قسمتي فيما املك فلا تأخذني فيما تملك ولا املك
ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب
عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا
مطلقة وعن النبي عليه السلام من كان له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد
شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله
كان غفورا رحيما ۞ يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا
اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلوا من سعته من غناه
وقدرته وكان الله واسعا حكيما ۞ مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما
في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا

الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا
ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون
ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة
القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع
بشكركم وتقويكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم
حميدا ۞ في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض كرره ثالثا للدلالة على كونه
غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص
والكمالات على كونه وكفى بالله وكيلا ۞ راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما
وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه
الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك
من الاعدام والايجاد قديرا ۞ بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته
وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر
سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه
كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما اراده عالما بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها
الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله
بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم اي ولو كانت
الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين
والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا
او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير
او بالنظر اليهما فلو لم يكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لهما لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه
والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد
عليه ان قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان
تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرأ نافع وابن كثير وابو

كقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وكان الله سميعا بصيرا

عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام وبعدها واوان الاول مضمومة والثاني ساكنة وقرأ حمزة
وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما
تعملون خبيرا ◉ فيجازيكم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني
اهل الكتب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه
او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان
والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح النون و
الهمزة والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه و
رسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا ◉ من المقصد
بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى صلوات الله عليه وسلم
ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا
بمحمد عليه السلام او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ◉ اذ يستبعد ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان
فان قلوبهم ضريت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم
وخبر كان في امثال ذلك محذوف تتعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم
عذابا اليما ◉ يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى
ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم
الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى
اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة اي يتعززون بموالاتهم فان العزة
لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
ولا يؤبه لعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ غير عاصم
نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها
ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم
حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير

مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما انزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في
آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم
في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان
الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر
ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع
وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون جميعا ◉ الذين يتربصون
بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او
ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا
الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ
الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل للدلالة على الاصل
ونمنعكم من المؤمنين ◉ بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه
مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين سبيلا ◉ حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد
شرى الكافر المسلم والحنفية رحمهم الله على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه
لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
سبق الكلام فيه في اول البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره
على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة
بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا
يذكرون الله الا قليلا ◉ اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه وهو اقل احواله او لان ذكرهم
باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم
لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله
ولا يذكرون الله اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم

والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشي مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد
وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل
وقرئ بالدال غير معجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله
له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك
لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام
ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وان صلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة
متتابعة بعضها فوق بعض وقرا الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك
اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق و
اصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به وتمسكوا
بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن
عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضررا
او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعال عن النفع والضرر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء
مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر
لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان
الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب
الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم او التظلم منه روي
ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم



عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم
المواخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله
كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك
وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا
برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة
اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا
او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة
لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم
ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق
النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد
والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرا حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسئلك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا
فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التورية
او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سالوا موسى اكبر
من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر منه وهذا
السوال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهم والمعنى
ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا
الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت
من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسوالهم لما يستحيل في تلك الحال
التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الروية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم

البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية
اذ لم يأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ⊙ تسلطا ظاهرا عليهم
حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم
ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم وقلنا لهم
لا تعدوا في السبت على لسان داود عليه السلام ويحتمل ان يراد على موسى عليه السلام حين
ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام و
قرء ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال وقرء قالون باختلاس حركة
العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ⊙ على ذلك وهو
قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم
وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون
التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم
مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل
في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا
غلف اوعية العلوم او في اكنة مما تدعونا بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها
ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظة فلا يؤمنون الا قليلا ⊙ منهم كابن
سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب
الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله
ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما ⊙ يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم
الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم
يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه
فاخذ وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله تعالى عليه شبهه فاخذ وقتل

دخل طيطايوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى
فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى
بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به
لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم
التشبيه بين عيسى والمقتول او الى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع
بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه
في شأن عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا
فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع
الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما
يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر
الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء
وما قتلوه يقينا ⊙ قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما
علموه يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت
الشيء علما ونحرته علما اذا بالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه
وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما ⊙ فيما دبر لعيسى عليه السلام وان
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله
ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما
من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين
يزهق روحه لا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون
لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه
لم ينفعهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه
ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب

مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون
ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا ۝ فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى
بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبت احلت
لهم يعني ما ذكر في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا
كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على
دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا
للكفرين منهم عذابا اليما ۝ دون من تاب وامن لكن الرسخون في العلم منهم كعبد الله بن
سلام واصحابه والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا و
المقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على انزل اليك والمراد
بهم الانبيا اي يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون
او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الوجوه المذكورة والمؤمنون
بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود
بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما ۝ على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرا حمزة
سيؤتيهم بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل
الكتب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبياء
واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب و
يونس وهرون وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي العزم
منهم وعيسى اخرهم والباقين اشرف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا ۝ وقرا حمزة زبورا
بالضم وهو جمع زبر بمعنى مذبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كما ارسلنا او فسره قد
قصصنهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم
الله موسى تكليما ۝ وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا
صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب
على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطيا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا
ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورية لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح

والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان
وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة
وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما ۝ فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من
الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال
كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن
الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال
على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله
ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة
ويستاهل نزول الكتب عليه او بعلمه الذي يحتاج الناس اليه في معاشهم ومعادهم فالجار
والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبله
والملئكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى
النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خصايص الملك ولا سبيل للانسان
الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها
كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا ۝ وكفى بما اقام من الحجج على صحة
نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا
ضللا بعيدا ۝ لانهم جمعوا بين الاضلال والضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال
وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم
عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والاية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ
المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ۝ الا طريق
جهنم خلدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد
في النار وخلدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا ۝ لا يصعب عليه ولا يستعظمه
يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق
الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة
والوعيد على الرد فامنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره
يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه

يؤدي الى خلاف الشرط وجزائه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا
فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض و
هو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالكم حكيما فيما دبر لهم
يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه
ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى فانه اوفق لقوله ولا تقولوا
على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول
الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر
منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب
فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اي الالهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد قوله تعالى
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة
اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة
انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما
سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن كان له مثل
ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه
ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه
والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف
المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله
من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره
روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه
السلام قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا
بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا
عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح
عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم
استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه
ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير كقولك

اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكثير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة و
هم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح وذلك لا يستلزم
فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث
لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين
استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه
قال فسيحشرهم جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم
تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم
نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل
ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القرآن فاما الذين آمنوا بالله
واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه
لا قضاء لحق واجب عليه وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود
صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدين وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك
اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان مريضا
فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل في
الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له
ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له
او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل العطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين
والاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت و
ان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضه لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي
المرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها
جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد
لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله والله

يفتيكم في الكلالة ان شرط بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن
يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفايدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم
باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر
مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا
وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد
في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة
ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

## رب يسر سورة المايدة مكية وهي مائة وعشرون آية مدنية وتمم بالخير

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العقد وكذلك الايفاء والعقد
العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله
الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على
عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها
مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة
الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان
كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل
هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة
الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه
غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد
يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله
يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك
الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وسمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج
واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده
ولا الشهر الحرام بالقتال او بالنسي ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جدية السرج



ولا القلائد اي ذوات القلايد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي و
نظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلايد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل ولحاء شجر
او غيرهما ليعلم به هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين
وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض
من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ
روي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان
فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ
تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام
ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا و
قرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم
ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف
الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو
ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن
المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه
شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه
يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي
الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد
حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي
الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند
ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب وحجر حتى تموت
من وقذته اذا ضربته والمتردية التي ترددت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي
نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات

هو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته
وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والزكوة في الشرع لقطع
الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وهي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها
بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام
اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على
احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي
تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم
يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل
وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد
ذلك طريقا اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم والميسر المحرم
والى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة
وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر جمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم
اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا
تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم
بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول الشرايع وقوانين
الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار
الجاهلية ورضيت لكم الاسلام دينا اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير
فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول
شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا
او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه باكله
يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا
وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شايع في
امثاله والمسؤول ما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم يستقبحه الطباع السليمة ولم ينفر عنه



ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح
عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع
والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من
الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن
حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله تعالى
او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال
صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما
امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل
انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير
لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير
لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا
الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم
الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها ويعم الذين اوتوا
الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على
النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير
على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبايحهم
وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات
من المؤمنات الحرائر العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رض لا يحل الحربيات اذا آتيتموهن
اجورهن مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها
التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين
به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو
في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر انكاره والامتناع عنه يا ايها
الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام لقوله تعالى واذا قرات القرآن فاستعذ

باﷲ عز عن ارادة الفعل بالمسبب عنها للايجاب والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر
اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء القيام اليه
قصد له فظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه
لما روي انه عليه الصلوة والسلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رض صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين
وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة
من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليه
ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك رض وايديكم الى المرافق للجمهور على دخول المرفقين في المغسول
ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقه محذوف تقديره وايديكم
مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان المطلق ليشتمل
عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم وخروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما
يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها
تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم يكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى
الليل لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها
تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي
الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء
في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رح مسح ربع الرأس
لانه عليه الصلوة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رض مسح كله اخذا
بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب عطفا
على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد
وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم محيط وحور عين
في الجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم حجر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه
ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخوته
ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغسلوا

وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم
لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر
بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل
عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر
بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته
عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون ۞ نعمه والاية مشتملة
على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب باعتبار الفعل غسل
ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتيهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح
للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا
نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه من المسلمين حين بايعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة
العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات
الصدور ۞ اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا
تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم
فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما
في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين
انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل
مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ۞ فيجازيكم
به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات

لهم مغفرة وأجر عظيم ۝ إنما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فإنه استيناف
بينه وقيل الجملة في موضع المفعول فإن الوعد ضرب من القول فكأنه قال وعدهم هذا القول والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ۝ هذا عادته تعالى أن يتبع حال أحد الفريقين
حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان
قاموا إلى الظهر معا فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر
فرد الله كيدهم بأن أنزل صلوة الخوف وفي الآية إشارة إلى ذلك وقيل إشارة إلى ما روي أنه
عليه السلام أتى قريظة ومعه الخلفاء الأربعة رض يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية
الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا
بقتله فعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده فنزل منزلا وعلق سلاحه
بشجرة وتفرق الناس عنه فجاءه أعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فأسقط جبريل
من يده وأخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
فنزلت إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم بالقتل والإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش
به وبسط إليه لسانه إذا شتمه فكف أيديهم عنكم فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر ولقد أخذ
الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ۝ شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال
قومه ويفتش عنها أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به روي أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون و
استقروا بمصر أمرهم الله بالمسير إلى أريحا أرض مقدسة وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون و
قال إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها فإني ناصركم وأمر موسى أن يأخذ
من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما أمروا به فأخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم
فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الأخبار ونهاهم أن يحدثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة
وبأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من
سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط أفرايم بن يوسف وقال الله إني معكم بالنصرة لئن أقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم أي نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير
وأقرضتم الله قرضا حسنا بالإنفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لأكفرن عنكم
سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولأدخلنكم جنات

[Margin:] ... عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون



تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء
السبيل ۝ ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك إذ قد يمكن أن يكون له شبهة
ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم
الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية
وهي إما مبالغة قاسية أو بمعنى ردية من قولهم درهم قسي إذا كان مغشوشا وهو أيضا من
القسوة فإن المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية بإتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن
مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله والافتراء
عليه ويجوز أن يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب إذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا
وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية أو من اتباع محمد عليه الصلوة والسلام و
المعنى أنهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه أنهم حرفوها فزلت
بشومهم أشياء منها عن حفظهم لما روي ابن مسعود رض قال قد ينسى المرء بالمعصية وتلا هذه
الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة أو فرقة خائنة أو خائن منهم والتاء للمبالغة والمعنى أن
الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم إلا قليلا منهم لم يخونوا وهم
الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح إن تابوا وآمنوا
وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف إن الله يحب المحسنين ۝ تعليل
للأمر بالصفح وحث عليه وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلا عن العفو عن غيره
ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم أي وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم
وقيل تقديره ومن الذين قالوا إنا نصارى قوم أخذنا وإنما قال قالوا إنا نصارى ليدل على أنهم
سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله تعالى فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا فألزمنا من
غري بالشيء إذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكائية أو بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ۝
بالجزاء والعقاب يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لأنه للجنس قد
جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد
صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ويعفو عن كثير
مما تخفونه لا يخبر به إذا لم يضطر إليه أمر ديني أو عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله

نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح
الاعجاز وقيل يريد بالنور محمد عليه الصلوة والسلام يهدي به الله وحد الضمير لان المراد
بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام
طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى
الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى
الله ومودي اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد
منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا الله واحد لزمهم ان يكون
هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله
شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض
جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات
ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما
يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى
قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل
ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات او من اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحوا او من انثى
وحدها كعيسى او منهما كساير الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من
والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان
صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد
عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن
خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه
يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء
في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم
ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم
رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع

من الوحي او حال من الضمير في يبين ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك
وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله
على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى صلى الله عليه
وسلم اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد
عليه السلام اذ كان بينهما ستمائة وخمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من
بني اسراءيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم
حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث
في بني اسراءيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك
تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط
فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من
العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاكم وقيل
المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت
بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق و
فلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ
انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم
ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء
بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا
في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز
في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
متغلبين لا يتأتى لنا مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر
الناس على ما يريد وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه
وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فعلى هذا الواو لبني اسراءيل
والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسراءيل ويشهد له ان قرئ الذين

يخافون بالضم المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاضافة اي من الذين يخوفون من الله
بالتذكير او يخوفهم الوعيد أنعم الله عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض
ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار
فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم
اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما
علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها
ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت
وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما
وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه
وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام
والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي
من يواخيني في الدين فيدخل الرجلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا
على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او
بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة
عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض
عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد
ذلك ما روي ان موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام
فيها ما شاء الله تعالى ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي
وان الله تعالى امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل
واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم
يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم
روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث
ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان

طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في
التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى
بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا
تاس على القوم الفاسقين خاطب موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة
الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما
قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم
يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل
بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي
ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل على
حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة
او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ
قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع
وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في
قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه
ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى
لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد
في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان
الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك
لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم
له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا
الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد
ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن
المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك

ببسطك يدك الي وبخوف المستعان الذي يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال
اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا
الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي والمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون
لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقوبة العاصي جائزة فطوعت له
نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل
بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين ۝ دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا
محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد
الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه
روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني ادم فبعث الله
غرابين فتقاتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله تعالى
او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه
جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتا كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم
والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا
الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون
وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون وعلى معنى فانا اواري
او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين ۝ على قتله لما كابد فيه من التحير
في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ
روي انه لما قتله اسود جسده فساله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله
لاجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسبب قضينا عليهم واجل في الاصل
مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولك من جراك فعلته اي من ان
جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا
اي ابتداء الكتب ونشاه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس
يوجب القصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما

قتل الناس جميعا من حيث تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب
الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحياءها في القلوب
ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان
كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون ۝ اي بعد ما كتبنا عليهم هذا
التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة
تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون و
بهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما
تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان
كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر
لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا
من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال
وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان
اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من
القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رحمه الله النفي بالحبس واو في
الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق
ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم ۝ لعظم ذنوبهم
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى
ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم ۝ اما القتل قصاصا فالى الاولياء
ويسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه ويقتيد التوبة بالتقدم على القدرة على انها بعد القدرة
لا يسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك
تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي
من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في

من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ
الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء
في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم
ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا

سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون ۝ بالوصول الى الله والفوز بكرامته
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا
به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه
لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيآن اما
لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى بين ذلك او لان الواو في مثله بمعنى مع ما تقبل
منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص
منه ولهم عذاب اليم ۝ تصريح بالمقصود منه وكذا قوله يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ۝ وقرئ يخرجوا من خرج
وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما
وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي
سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل
والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار
او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع الدينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك
لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح فمن شاء فليطلب
منه والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع
موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم
تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ
لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا
نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز
حكيم ۝ فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن
التبعات والعزم ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ۝
يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق
المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي عليه السلام
او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ۝ قدم

التعذيب

التعذيب على المغفرة اما على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم على المغفرة او
لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين
قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا
بامنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون
للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان
يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في الكذب اما مزيدة
للتاكيد او لتضمن السماع معنى القبول اي قد يقبلون ما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول
محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم اخرين لم ياتوك
اي لجمع اخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى
على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم
ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا
لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه
الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وصفه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة
صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه ولذلك يقولون ان اوتيتم
هذا فخذوه اي ان اوتيتم المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا
اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا
رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و
قالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا
حكما بينه وبينهم فقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى صلى الله تعالى
عليه وسلم ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والذي انزل كتابه حلاله وحرامه
هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا
العذاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله
فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة

لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف على المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم ۝ وهو
الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون
للكذب كرره للتأكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت
البركة وقرأه ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب في الثلاثة المواضع بضمتين وهما لغتان
كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض
ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي رحمه الله والاصح
وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست
في اهل الذمة وعند ابي حنيفة رح يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك
لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين ۝ فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك و
عندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم
منصوص عليه في الكتاب الذي عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق و
اقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها
حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه
وتأنيثها لكونها نظير المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم
التعجب وما اولئك بالمؤمنين ۝ بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعنك ثانيا او بك
وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام
يحكم بها النبيون الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن
المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا
متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون
والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما
استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع
والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس

رقباء لا يتركون ان يغيروا او يبينون
ما يخفى منه وكانوا عليه شهداء

واخشون

---

واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنون فيها خشية ظالم او مراقبة
كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا وهو الرشوة والجاه
ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون ۝ لاستهانتهم
به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره
وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث
باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين
لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم فيها
ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن
بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه
قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول
او جمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف
والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع فيها معطوف على
المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال
مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع والجروح قصاص اي ذات
قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال
للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو
فالتصدق كفارة له للمتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه الرمة وقرئ
فهو كفارة له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم
يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون ۝ وقفينا على آثارهم
اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين
بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من
التوراة وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال
ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين
ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف

اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ۝ عن حكمه او عن الايمان
ان كان مستهينا به والاية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة
ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله
فيه ومن ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن
مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس
ومهيمنا عليه ورقيبا على ساير الكتب يحفظه عن التغير ويشهد لها بالصحة والثبات
وقرئ على بنيه المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله او الحافظ في
كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من
الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى الانحراف او حال من
فاعله اي لا تتبع اهواءهم مايلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة
شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية و
قرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به
على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة
متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف
دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون
بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق
وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل
السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق
ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ۝
بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل
الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على اي انزلناه وبان احكم
ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان
يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلة

بدل منهم

بدل منهم بدل الاشتمال اي واحذرهم فتنتهم او مفعول له اي واحذرهم مخافة ان يفتنوك روي
ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت ان احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي
لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله عليه الصلوة والسلام فنزلت
فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه
واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط
بعض النفوس حمامها ۝ وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه
افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية التي هي متابعة
الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما
كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون
خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف
ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم
وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون ۝ اي عندهم واللام للبيان كما في قوله تعالى هيت لك اي هذا
الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم
فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض
ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم
على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا
التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما او لان الموالين
لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين ۝ اي الذين ظلموا انفسهم
بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي و
اضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون
بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار

روي ان عبادة بن الصامت رض قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود
كثيرا عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني
رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح الرسول على
اعدايه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء او الامر
باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقين على ما اسروا في
انفسهم نادمين ◎ اي فاستبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا مما
اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي
انه كلام مبتدا ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول
فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار
المعنى وكانه قيل عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا ويجعل بدلا من اسم الله داخلا
في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح
ويقول المؤمنين بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما
من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله
عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال
على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك
ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين
اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط
فما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن
عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله تعالى عنها
قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق
بنو مدلج رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله
فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول في
تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة
تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما



بعد فان الارض نصفها لك ونصفها لي واجاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فحاربه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بجند من المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد
قوم طليحة ابن عبادة والعاقبة ابن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى خالدا فهرب بعد
القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر رض سبع فزارة قوم عيينة
بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع
قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة
قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة
عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الروم فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه وقيل هم اليمن لما روي انه اشار الى ابي موسى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس
لانه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان رضي الله تعالى عنه وقال
هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة
وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم
مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة
العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين
لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او
للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة
على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون
في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم
عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او
حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خا
ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة
من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل
الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم ◎ بمن هو اهله
انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفار ذكر عقيبه

من حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياءكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فانه
جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون ۝ متخشعون
في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم
في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله
سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل به الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي
المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع لترغيب الناس في
مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها و
ان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء
فان حزب الله هم الغالبون ۝ اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر
تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وهم الغالبون وتنويها
بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء فانه حزب
الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا و
كان رجال من المسلمين يوادونهما فقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينكم هزوا
ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد من الموالاة جدير بالمعاداة و
فصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي و
يعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن
نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء كان
ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين و
اتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين ۝ لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل
ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا
اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا
بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخل خادمه

خادم

---

ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحترق واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون
فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا الا ان هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ
تنقمون بفتح القاف وهو لغة آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب
المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون ۝ عطف على امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة
اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان
اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان
اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع
على الابتداء والخبر محذوف اي فسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم
من الانصاف والآية خطاب اليهود سالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمن يؤمن
به فقال او من بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر
عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم
مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت
ههنا موضعها على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اي بشر
من اهل ذلك من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله
من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة
وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب
السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة
من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا
فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا عابد الطاغوت او عبد على انه نعت
كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت
للاضافة عطفه على القردة ومن قرا وعبد الطاغوت بالجر عطفه وقرا حمزة وعبد
الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اي الملعونون شر
مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل

عن سواء السبيل ۝ قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد
من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاءوكم
قالوا امنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان
حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت
ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم
بما كانوا يكتمون ۝ اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين
يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة
الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام
خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون ۝ لبئس شيء عملوه لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل
الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ۝
ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو و
تحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ
بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة
اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد
وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت
نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير كقوله لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم
بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ومسحبين
الى النار في الاخرة فيكون المطابقة من حيث ملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره
بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية
ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج
وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع
تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات

يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا
ضمير لهما فيه ولا من ضمير حال لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما
كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
واشترك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من
ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من
القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفأها الله كلما ارادوا حرب الرسول الله واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم
منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط
الله اليد عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس المسلمين وللحرب صلة او
قدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد
واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين ۝ فلا يجازيهم الا شرا
ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد صلى الله تعالى وسلم وما جاء به واتقوا ما عددنا من
معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
جنات النعيم ۝ ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم
وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم
من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان كالمنزل اليهم او
القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم
بركات من السماء والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة
يجتنون ثمارها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين ذلك ان ما كف عنهم بشؤم
كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع الله عليهم و
جعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين اسلموا
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون
اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوا عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض

عنادا او اقراطا في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب
احدا او لخايف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت
شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض
الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر
وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة
روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين ⊙ لا يمكنهم
مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا
فاوحى الله تعالى الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضي
الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة
ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل و
لعل المراد تبليغ به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم
افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل
حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان
بمحمد عليه السلام والاذعان لحكمه فان كتب الالهية باسرها امرة بالايمان بمن صدقه المعجزة
ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم
وفي المؤمنين مندوحة لك ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون و
النصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم
كذا والصابئون كذلك لقوله واني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة
ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم
وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم
اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر

دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ولا يجوز عطفه على محل
ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا
فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون
الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع بالابتداء وقيل والصابئون منصوب
بالفتحة وذلك كما جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء و
خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ⊙ والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف
اي من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر
والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت
لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل و
ارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم بما يخالف اهواءهم من الشرائع ومشاق التكاليف جواب فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون ⊙ جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب
محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على
رءوس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على
ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي
للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه
فعموا عن الدين والدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل
ثم تاب الله عليهم ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما
على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم
كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف
اي العمى والصم في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون ⊙ فجازاهم وفق اعمالهم لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله

في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما
يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين
من انصار ۝ وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم
ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من كلام الله تنبيه على انهم قالوا ذلك
تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا
ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة وهي حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القايلون بالاقانيم
الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القايلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات
واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية
متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ۝ اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين
كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب
على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه
عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم ۝ يغفر لهم ويمنحهم من
فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل ۝ اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله تعالى بايات كما خصهم
بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلق
من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة ۝ كساير النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن
الانبياء كانا ياكلان الطعام ۝ ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما
لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه
على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من اعداد المركبات الكائنة الفاسدة
ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم
الايات ثم انظر انى يؤفكون ۝ كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت
ما بين العجبين اي ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون
الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله تعالى اياه



لا يملك من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة و
انما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطية لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس
ومن كان له حقيقة يقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه
اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم ۝ بالاقوال والعقايد فيجازي عليها ان خيرا فخير
وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا
عيسى الى ان تدعوا له الالوهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد
صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا من شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا
عن سواء السبيل ۝ الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول
اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله
في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت دعا داود فمسخهم الله تعالى
قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۝ اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم
واعتدائهم ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه او عن مثل فعلوه او
من منكر ارادوا فعله وتهيؤا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع
لبئس ما كانوا يفعلون ۝ تعجب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم
من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه
يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ۝ هو المخصوص بالذم
والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس
شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني
نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا صلوات الله وسلامه عليه وما انزل اليه
ما اتخذوهم اولياء ۝ اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون ۝
خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا

اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم
الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم
مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على
الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم
لا يستكبرون ○ عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه
دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون
وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تابيهم عنه والفيض
انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية للتبيين ما عرفوا او للتبعيض
فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا امنا
بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين ○ من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته
الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع
ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ○ استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع
قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب سائل قال لم امنتم
ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين
بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة
وذكره توطية وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن
نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او لا نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد
من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين ○ الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور و
الايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر
ان يقرأ عليهم القران فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلثين او سبعين رجلا
من قومه وفدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وامنوا والذين

كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ○ عطف التكذيب بايات الله على الكفر و
هو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين
الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب
ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات
عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين ○ ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى
ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة على اصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا
واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين وان لا يناموا على
الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح
ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم اني لم اومر بذلك ان
لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وا
اكل اللحم والدسم واتي النساء والطيب فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا وكلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول
كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول
او العائد المحذوف او صفة للمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن
لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ○ لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه
ذهب الشافعي رح وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى لكن يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو فاعل بمعنى فعل فكفارته
فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال
قبل الحنث وهو عندنا خلافا لابي حنيفة بقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها
فليكفر عن يمينه وليات بالذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون

اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية
ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط
ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على
لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي والاراضي في جمع ارض وقيل جمع
اهلاة او كسوتهم عطف على الطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب يغطي العورة وقيل
ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما
تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف
في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي
رحمه الله تعالى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا
وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدة منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام
ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات و
الشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترد سنة ذلك اي المذكور كفارة
ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا
تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم
كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرايعه لعلكم تشكرون
نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها
الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة و
الازلام سبق ذكره في اول السورة رجس قذر يعاف عنه العقول وافراده لانه خبر
للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر رجس
من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله فاجتنبوه الضمير او لما ذكر او للتعاطي لعلكم
تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية
بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها
على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح
ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنياوية والدينية المقتضية للتحريم فقال
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر



ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصصهما باعادة الذكر وشرح ما
فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصودان بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما
مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد
للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارقة بينه
وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف
وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار
قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او
مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم
تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم بقوله اذا ما اتقوا
وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم
اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي
واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة
رضوان الله عليهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون
الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات
الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين
الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام في تفسيره
او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن
الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يواخذهم بشيء وفيه
ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله تعالى محبوبا يا ايها الذين امنوا
ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها
اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في شيء للتنبيه على انه
ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده

كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب
منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم
وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم
فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما يكون
النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون
جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل
لحمه لان الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرام الحداة والغراب
والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه
على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح
الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لا
حرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف
العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد
اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحشي فطعنه ابو اليسير برمحه فقتله فنزلت فجزاء
مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه
جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر
كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفة وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى
المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل بنصبهما على
فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل فجزاء مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة
والهيئة عند مالك والشافعي رحمه الله والقيمة عند ابي حنيفة رضي الله عنه وقال يقوم الصيد
فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين
نصف يوما وان لم يبلغ تخير بين الطعام والصوم واللفظ بالاول اوفق يحكم به
ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته
ووصفته بخبر مقيد دليل ولما كان التقويم يحتاج الى النظر واجتهاد ويحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة
اليهما فان الانواع يتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من
الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدلا عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصب

رابع

بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق
به ثمة وقال ابو حنيفة رحمه الله يذبح بالحرم ويتصدق به حيث يشاء او كفارة عطف على
جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر
محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك
خاتم فضة والمعنى عند الشافعي رضه وان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي
من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم
فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر
العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز
للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق
ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل
الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل
التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس
فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام
ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله
لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يحل
منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه
وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة
اي وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد
فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له مدخل والجمهور على
حله لقوله عليه الصلوة والسلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم
ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه
تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت الكعبة لتكعبه البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم
في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه
اليه الحجاج والعمار او ما يقوم امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل

كالشبع اعل عينه كما اعلت في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي
والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه
لناسبته لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام و
غيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل
وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم
تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على
الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتي بما امر به من التبليغ ولم
يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل
وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من
الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث
فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير
والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري
الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي
انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين
يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان
لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان
تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه
مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء
وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيء كهين او شيء كصديق فخفف وقيل افعال
جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله
عنها ولم يكلف بها اذ روي انها لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك
اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجب
ولو وجب لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفا الله عما سلف من



مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو
عن كثير وعن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة
ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين انا فقال في النار
وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي
دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها
وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها
ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم ياتمروا بما سألوا او جحدوا ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو
انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب
ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما
وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره
ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك
تعدى الى مفعول واحد وهي البحيرة من مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم
او الامر لكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم
حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى
الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد
وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال
والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم
ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف
الا بالحجة فلا يكتفي بالتقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا صلاحها
والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان
ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره

بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون
يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت
ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او
النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ
لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ
بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة
الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم
اذا حضر احدكم الموت
اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه
على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل الشهادة ويجوز ان
يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان
للاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا
فان شهادته على المسلمين لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم
مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران
والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على
انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف
نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة النهار وقيل اي صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث
منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب و
المعنى لا نستبدل بالقسم او بالله تعالى عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع
ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري
به ثمنا ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة
ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم والتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه
بغير مد على قولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين ۝ اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا



ما اوجب اثما كتحريف فشاهدان آخران فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق
عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وروى حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان
الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او
خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر
عن عاصم الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان
فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان يقبل و
ما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين ۝ الواضعين الباطل
موضع الحق والظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية
ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان
لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق
ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة او مظنة حلف آخران من
اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض
يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري
وعدي بن بدي خرجا الى الشام للتجارة وكانا نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن
العاص وكان مسلما فلما قدموا الى الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها
في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه
اناء من فضة فيه ثلث مائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما
بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية
فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلا سبيلهما ثم وجد
الاناء في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة
فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو
بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص
الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على
وجهها على ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم

اذ يرد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع
الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي
القوم الفاسقين ۝ اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين
لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول
واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب
باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر
او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءدة لتوبيخ الوائد ولذلك
قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب ۝ فنعلم ما تعلم مما اجابونا و
اظهروا لنا وما لا نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم
وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب
على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك انت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب
على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله
يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة و
نادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد
ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب
باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ ايدتك بروح القدس
بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين والنفس حيوة ابدية وتطهر من الاثام و
يؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكليمهم في الطفولية و
الكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه
استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة
والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون
طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني
سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ
كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال
الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ۝ اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة

والكسائي

والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على
السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة
قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون ۝ مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن
مريم منصوب باضمار اذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد تحقيق واستحكام معرفة
وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل
يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك
اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام
من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة
مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين ۝ بكمال قدرته وصحة
نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما
دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم
الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون
عليها من الشاهدين ۝ اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر
نشهد عليها عند من لم يحضرها او لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها قال عيسى
ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم بالحجة
بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم
نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن
على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا
روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا وقرئ
لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اي آية كائنة
منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا اي المائدة او الشكر عليها وانت خير
الرازقين ۝ اي خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني
منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل به مفعولا به على

السعة لَا أُعَذِّبُهُ الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر أَحَدًا
مِنَ الْعَالَمِينَ ○ اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم
يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى
الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
او من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم
من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله
فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا
وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا ويجتمع عليها الفقراء والاغنياء والضعفاء والكبار
يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره
ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى
دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثلثون رجلا وقيل لما وعدها
الله ان انزلها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل
ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها
غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا
للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع
عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله
سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله
لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون
الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة
الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه قد عبدهما ولم يعبده او القصور

فانهم

فانهم لم يعتقدوا انهما يستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى
عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قَالَ سُبْحَانَكَ اي
انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ما ينبغي لي
ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِكَ تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك
وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ○ تقرير
للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ تصريح بنفي المستفهم
عنه بعد تقديم ما يدل عليه أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ عطف بيان للضمير
في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول
بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان
المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى
وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة يحكى بعده الا ان يؤول القول
بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ
اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان
فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا
والموت نوع منه قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كُنْتَ
أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى
الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ○
مطلع عليه مراقب له إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك
ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم
عبادك وقد عبدوا غيرك وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ○ فلا
عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا
عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل
وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق قَالَ
اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا

محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه
خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق
الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكلف لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ۝ بيان للنفع
لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ۝ تنبيه
على كذب النصارى وفساد دعويهم في المسيح وامه عليهما السلام وانما لم يقل ومن فيهن
تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية
والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق
متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي عليه السلام من قرا سورة المائدة اعطي من
الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام غير ست ايات او ثلاث من قوله قل تعالوا [illegible] وتم بالخير

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق
له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون
الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة في الآثار والحركات وقدمها لشرفها
وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل
الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التصيير ولذلك عبر عن احداث
النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات
لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى
واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض
يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق
به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ۝ عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون ثم
تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر

على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لم يقدر على شيء
منه ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة
يعدلون محذوفة وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به
هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم من طين فانه المادة الاولى وان آدم عليه
السلام هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت
واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت و
البعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول
لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغني عن تقديم
الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل
التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه
ثم انتم تمترون ۝ استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم
الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية
دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله
والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا
غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر
ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد
في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بانه تعالى لكمال علمه بما
فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم
ما تكسبون ۝ من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما
يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تاتيهم من آية من آيات ربهم
من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او
معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين ۝ تاركين للنظر فيه
غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه
قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالحق لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما
اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك

رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون ⊙ اي سيظهر لهم ما كانوا
به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا او في الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع
امره ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار
الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم
قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الأرض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم
فيها واعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم
ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال و
الاستظهار بالعدد والاسباب وأرسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب والمظلة
فان مبدأ المطر منها مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فعاشوا بالخصب والريف
بين الانهار والثمار من بعدهم قرنا آخرين ⊙ بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان
يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده فقدر ان يفعل ذلك بكم
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بأيديهم فمسوه و
تخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه
يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لرفع التجوز فانه قد يتجوز للفحص
لقوله تعالى وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ⊙ تعنتا وعنادا
وقالوا لولا أنزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع
مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان
سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول
فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا
لانزل ملائكة والمعنى لو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما
مثل جبريل عليه السلام في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك
في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف
اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم

وقرئ لبسنا بلام واحد ولبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزءون ⊙ فاحاط بهم الذي كانوا به يستهزءون حيث اهلكوا لاجله او فحاق
وبال استهزائهم قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين
كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في
الارض فانظروا ان السير ثم لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير
للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والأرض خلقا وملكا
وهو سؤال تبكيت تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم
ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم
الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال
على الكفر ليجمعنكم إلى يوم القيمة استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي
ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في القيمة والى بمعنى في
وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه
في اليوم او الجمع الذين خسروا أنفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل
السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر
فهم لا يؤمنون ⊙ والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال
العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على
الكفر والامتناع من الايمان وله عطف على الله ما سكن في الليل والنهار من السكنى و
تعديته بفي كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه
او من السكون اي ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع
لكل مسموع العليم ⊙ بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين
على اقوالهم وافعالهم قل أغير الله أتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك
قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعا الى الشرك فاطر السموات و
الأرض صفة لله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان
يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي

ولذلك قرئ بالرفع والنصب على المدح **وهو يطعم ولا يطعم** يرزق ولا يرزق وتخصيص
الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله
والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموت والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناهما
للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم ولا يطعم اخرى كقوله
يقبض ويبسط **قل اني امرت ان اكون اول من اسلم** لان النبي سابق امته في الدين **ولا تكونن**
**من المشركين** ۝ وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل **قل اني اخاف ان عصيت**
**ربي عذاب يوم عظيم** ۝ اي من يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب و
ابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقرئ باظهاره والمفعول به محذوف او
يومئذ بحذف المضاف **فقد رحمه** نجاه وانعم عليه **وذلك الفوز المبين** ۝ اي الصرف
او الرحمة **وان يمسسك الله بضر** ببلية كمرض وفقر **فلا كاشف له** فلا قادر على كشفه
**الا هو وان يمسسك بخير** بنعمة كصحة وغنى **فهو على كل شيء قدير** ۝ فكان
قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله **وهو القاهر فوق**
**عباده** تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة **وهو الحكيم** في امره وتدبيره **الخبير**
بالعباد وخفايا احوالهم **قل اي شيء اكبر شهادة** نزل حين قالت قريش يا محمد لقد
سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد
لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة **قل الله**
اي الله اكبر شهادة ثم ابتدا **شهيد بيني وبينكم** اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله
شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شهادة **واوحي الي هذا القران**
**لانذركم به** اي بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة **ومن بلغ** عطف
على ضمير المخاطبين اي لانذركم به اهل مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر او من
الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم يبلغه **ائنكم**
**لتشهدون ان مع الله الهة اخرى** تقرير لهم مع انكار واستبعاد **قل لا اشهد**
بما تشهدون **قل انما هو اله واحد** اي بل اشهد ان لا اله الا هو **وانني بريء مما تشركون**
يعني الاصنام **الذين اتيناهم الكتب يعرفونه** يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في

التورية

التورية والانجيل **كما يعرفون ابناءهم** بحلاهم **الذين خسروا انفسهم** من اهل الكتاب و
المشركين **فهم لا يؤمنون** ۝ لتضييعهم ما به يكتسب الايمان **ومن اظلم ممن افترى**
**على الله كذبا** كقولهم الملئكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله **او كذب**
**باياته** كان كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين
تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس **انه** الضمير للشان
**لا يفلح الظلمون** ۝ فضلا عمن لا احد اظلم منه **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب بمضمر
تهويلا للامر **ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم** اي الهتكم التي جعلتموها
شركاء الله وقرا يعقوب يوم يحشر ويقول بالياء **الذين كنتم تزعمون** ۝
اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد بالاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين
الهتهم ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما
لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم **ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا** اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل
معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما
سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن
بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو بكر وابو عمرو بالتاء والنصب على ان الاسم
ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب **والله ربنا ما**
**كنا مشركين** ۝ يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة
والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه وما كنا
مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله **انظر كيف كذبوا على انفسهم** عنها وحمله على كذبهم
اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظيره قوله يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح
**وضل عنهم ما كانوا يفترون** ۝ من الشركاء **ومنهم من يستمع اليك** حين تتلو
القران والمراد ابو سفيان والوليد وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما
ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم **وجعلنا**
**على قلوبهم اكنة** اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء **ان يفقهوه** كراهة ان يفقهوه **وفي**

وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في أول البقرة وإن يروا كل آية لا
يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى إذا جاءوك يجادلونك أي بلغ تكذيبهم
الآيات إلى أنهم جاءوك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة إذا وجوابه وهو
يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين فإنه جعل أصدق الحديث
خرافات الأولين غاية التكذيب ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والأساطير الأباطيل
جمع أسطورة أو إسطارة أو أسطار جمع سطر وأصل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه
أي ينهون الناس عن القرآن أو الرسول أو الإيمان به وينأون عنه بأنفسهم أو ينهون
عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي طالب وإن يهلكون وما يهلكون
بذلك إلا أنفسهم وما يشعرون أن ضرره لا يتعداهم إلى غيرهم ولو ترى إذ وقفوا
على النار جوابه محذوف أي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها أو يطلعون
عليها أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء
للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع إلى الدنيا ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الإثبات كقولهم
دعني ولا أعود أي تاركا لا أعود تركتني أو لم تتركني أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه
فيكون في حكم التمني وقوله إنهم لكاذبون راجع إلى ما تضمنه والتمني من الوعد ونصبهما
حمزة ويعقوب وحفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو إجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر
برفع الأول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
الإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أو قبائح
أعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على أنهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا أي إلى الدنيا بعد الوقوف
والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وإنهم لكاذبون فيما وعدوا من أنفسهم
وقالوا عطف على لعادوا أو على إنهم لكاذبون أو على نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا
إن هي إلا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى إذ وقفوا
على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه
أو عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ
والهمزة للتقريع على التكذيب والإشارة إلى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا

بلى وربنا إقرار مؤكد باليمين لانجلاء الأمر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم أو ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله إذ فاتهم النعيم
واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى إذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر
لأن خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها على الحال أو المصدر فإنه نوع من المجيء قالوا
يا حسرتنا أي تعالي فهذا أوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحياة الدنيا أضمرت وإن لم
يجر ذكرها للعلم بها أو في الساعة يعني في شأنها والإيمان بها وهم يحملون أوزارهم
على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام ألا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون
وزرهم وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو أي وما أعمالها إلا لعب ولهو تلهي الناس و
تشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا
وللدار الآخرة خير للذين يتقون تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين لهو ولعب
وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة أفلا تعقلون أي الأمرين خير وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
وحفص عن عاصم بالتاء على خطاب المخاطبين به أو تغليب الحاضرين على الغائبين قد
نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد
يهلك المال نائله والهاء في إنه للشأن وقرئ ليحزنك من أحزن فإنهم لا يكذبونك
في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من أكذبه إذا وجده كاذبا أو نسبه
إلى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون آيات الله
ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم أو جحدوا لتمرنهم
على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك و
إنك عندنا لصادق وإنما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل
من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن قوله لا يكذبونك
ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وإيذائهم فتأس
بهم واصبر حتى أتاهم نصرنا فيه إيماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله
لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبإ
المرسلين أي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وإن كان كبر عليك عظم
وشق إعراضهم عنك وعن الإيمان بما جئت به فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض

او سلما في السماء فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا
تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز
ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب شرط الثاني محذوف تقديره
فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان
ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشية
فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن
لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين ۝ بالحرص على ما لا يكون والجزع في
مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون اي يستجيب يسمعون
بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى
يبعثهم الله فيعلمهم الله حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون ۝ للجزاء وقالوا لولا
نزل عليه اية من ربه اي اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة
لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم
الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝
ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة
عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب
على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها و
قرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها
واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره
ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب
من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه
امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا
او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد
عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون ۝ يعني الامم
كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضي الله عنهما

حشرها

حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته
وكمال علمه وعظم قدرته سماعا يتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات
خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز
ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشا الله يضلله من يشا الله اضلاله يضلله
وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشا يجعله على صراط مستقيم ۝ بان يرشده
الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام وتعجيب والكاف حرف خطاب اكد به
الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه ولو جعلت الكاف
مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم
بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم او تدعونها وقرا
نافع ارايتكم وارايت وارايتم واشباهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة
التي بعد الراء والكسائي يسقطها اصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا وقف وافق
نافعا ان اتيكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه
اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ۝ ان الاصنام الهة وجوابه
محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم
المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء
ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الاخرة وتنسون ما تشركون ۝ وتتركون الهتكم في ذلك
الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او وتنسون من شدة
الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك من زائدة فاخذناهم اي فكفروا
وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات وهما
صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون ۝ يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
اليه ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ۝
استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم
واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء
ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم استدراجا

بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما
روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في
جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا
من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون ۝ متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم
بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين
على اهلاكهم فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم
واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليه قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير
الله يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف
نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب و
الترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون ۝ يعرضون
عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب
الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدم امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ
بغتة وجهرة هل يهلك الا القوم الظالمون ۝ ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ
يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما
شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون ۝ بفوات الثواب والذين كذبوا
بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه
عن التوصيف بما كانوا يفسقون ۝ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا
اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم
يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك من
اي جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ من دعوى
الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه و
جزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي



او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية او الملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا
تتفكرون ۝ فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي
مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان
الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في موضع الحال من ان يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم
يتقون ۝ لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما
امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية
لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب
وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم
عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون
فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل
صلوة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من
يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك
الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل
ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك
اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره
المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا
يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين و
المعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه
فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين ۝ جواب النهي ويجوز
عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا
بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق في الدنيا

ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا هؤلاء من أنعم الله تعالى عليهم بالهداية والتوفيق لما
يسعدهم دوننا ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو إنكار لأن يخص
هؤلاء من بينهم بإصابة الحق والسبق إلى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه واللام
للعاقبة أو للتعليل على أن فتنّا متضمن معنى خذلنا أليس الله بأعلم بالشاكرين ⊙ بمن
يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله وإذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين
يدعون ربهم وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة
وأمره بأن يبدأهم بالتسليم أو يبلغ سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد
النهي عن طردهم إيذانا بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب
ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل
إن قوما جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم
شيئا فانصرفوا فنزلت أنه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال أي من عمل ذنبا
جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رض فيما أشار إليه أو ملتبسا بفعل
الجهلة فإن ارتكاب ما يؤدي إلى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل ثم تاب من بعده
بعد العمل أو السوء وأصلح بالتدارك والعزم على أن لا يعود إليه فأنه غفور رحيم ⊙ فتح
من فتح الأول غير نافع على إضمار مبتدأ أو خبر أي فأمره أو فله غفرانه وكذلك مثل ذلك
التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم
والأوابين ولتستبين سبيل المجرمين ⊙ قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى
ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير
وابن عامر ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتستبين سبيلهم والباقون
بالياء والرفع على تذكير السبيل فإنه يذكر ويؤنث ويجوز أن يعطف على علة مقدرة
أي لنفصل الآيات ليظهر ولتستبين قل إني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة
وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد أن أعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة
ما تعبدون من دون الله أو ما تدعونها آلهة أي تسمونها قل لا أتبع أهواءكم



تأكيد لقطع أطماعهم وإشارة إلى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان
لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع الحجة
ولا يقلد قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ⊙ أي في شيء من الهدى حتى أكون من
عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك قل إني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما
لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن
والوحي والحجج العقلية أو ما يعمها من ربي من معرفته وأنه لا معبود سواه ويجوز أن
يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي أي كذبتم به حيث أشركتم به غيره أو للبينة
باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم إن الحكم إلا لله في تعجيل العذاب وتأخيره يقص
الحق أي القضاء الحق أو يصنع ويدبره من قولهم قضى الدرع إذا صنعها فيما يقضي من
تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر وأصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ
ابن كثير ونافع وعاصم يقص الحق من قص الأثر أو قص الخبر وهو خير الفاصلين ⊙ القاضين
قل لو أن عندي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم
لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين ⊙
في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الأمر إلى الله وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي
أن يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى
المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ
مفاتيح والمعنى أنه المتوصل إلى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها إلا هو فيعلم أوقاتها وما
في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به وفيه دليل
على أنه يعلم الأشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للإخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات
على الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به تعالى وما تسقط من ورقة إلا يعلمها
مبالغة في إحاطة علمه تعالى بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس
معطوفات على ورقة وقوله إلا في كتاب مبين ⊙ بدل من الاستثناء الأول بدل
الكل على أن الكتاب المبين علم الله أو بدل الاشتمال إن أريد به اللوح وقرئ بالرفع للعطف
على محل من ورقة أو على الابتداء والخبر إلا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل

يبعثكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس
والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم
والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار
ليقضى اجل مسمى ليبلغ المستيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى
انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار
ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
ملئكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه و
تعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد
على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم
الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا
يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة
او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق الذي لا يحكم
الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع
الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة ولا يشغله حساب قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما
في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف
في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا
وخفية اي معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرأ ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية
بالكسر لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون
لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة
قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب
غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما

تشركون

تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط
واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم
اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا
متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت
لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد
والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران وهو
الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من
التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد انباء العذاب او
الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها
فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى
الايات لانها القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي
وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم
الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب
والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من يتقون
قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء شيء مما يحاسبون عليه
ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم من الخوض وغيره من القبائح
ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا
يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد
في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير
للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين
قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت
وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم
بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه

لعبا ولهوا وحيث سخروا به وجعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى
فاعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني
ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك
التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت
مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد
باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك
اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل
وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدر
لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله لا يؤخذ منها عدل فانه
المفدي به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة
وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل
لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم
قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على
اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي
استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي
هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل
نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض
حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان
يهدوه الصراط المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول
بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده
وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى
الله واللام تعليل للامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة
وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة
او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلوة روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر
رضي الله عنهما دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول



اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه
تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول
كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسماوات والارضين وقوله الحق نافذ
في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف
دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله
الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يوم
القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم
الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه ازر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ
ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وازر وصف له
معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر
او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب
به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد ازر ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا و
تقريرا ويدل عليه انه قرئ ازرا تتخذ اصناما بفتح الهمزة وكسرها وهو اسم
صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اريك وقومك في ضلال
مبين عن الحق ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره
وهو حكاية حال ماضية وقرئ تري بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل
الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت
اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون
او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه اليل راى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك
وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام
والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال
وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي

على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قوله يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه
بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه
فلما افل اي غاب قال لا احب الآفلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب
بالاستار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في
الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا
لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها
فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة
للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت
قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث
يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها
الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين واحتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكواكب الذي يعبدونه في وسط
السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله
في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر رحمه الله بتخفيف النون وقد هدان الى التوحيد
ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها و
لا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم
اياه من الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء
اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم
ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف
لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الصانع ما لم
ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي
الفريقين احق بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا او انا ام انتم احترازا



من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من
الله تعالى بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الآية لما نزلت شق
ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عم ليس ما تظنون وانما هو ما قال لقمن
لابنه لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع
الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج
به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني في الله
اليه حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياه على قومه متعلق بحجتنا ان
جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات
من نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم
في رفعه وحفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق و
يعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عد هداه
نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير
لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم
فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون
في الآية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمن وايوب ايوب بن اموص من اسباط
عيص بن اسحاق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين
اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجته وكثرة اولاده والنبوة فيهم
وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية يتناول اولاد البنت
والياس من قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل
هو من اسباط هرون اخي موسى عليه السلام كل من الصالحين الكاملين
في الصلاح والاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب
وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم عجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد
في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس ابن
متى ولوطا هو ابن هاران ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة و

فيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا
او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء و بعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم
من لم يكن نبيا و لا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا
به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا
اي لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون
لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به
الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان
يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا
بها بكافرين وهم المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي او كل من
آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم
فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد
واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي
بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها
في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذفها
في الوصل خاصة حمزة والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر
وكسرها بغير اشباع برواية هشام قل لا اسألكم عليه على التبليغ او القرآن اجرا جعلا
من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ
او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره
وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار
وشدة البطش بهم حين جرؤا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود وقالوا ذلك مبالغة في
انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء
به موسى نورا وهدى للناس وقرأ الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون
كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك



توبيخهم على سوء جهلهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة
واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك ابن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله
انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين
وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك
كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد عليه السلام
ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم
الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا
بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم
في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف
صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل
بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية
او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات و
لتنذر او علة لمحذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل
القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان
اول بيت وضع للناس وقرئ ابو بكر عن عاصم بالياء اي ولينذر الكتاب ومن حولها
اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من
صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب
والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله
بن سعد ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله
احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت
فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا

لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو
ترى إذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أي ولو ترى الظالمين في غمرات
الموت شدائده من غمرة الماء إذا غشيته والملائكة باسطوا أيديهم بقبض أرواحهم كالمتقاضي
المسلط أو بالعذاب أخرجوا أنفسكم أي يقولون لهم أخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظا
وتعنيفا أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا اليوم يريد به وقت الإماتة أو
الوقت الممتد من الإماتة إلى ما لا نهاية تجزون عذاب الهون أي الهوان يريدون أي يريد
العذاب المتضمن لشدة وإهانة وإضافته إلى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون
على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له تعالى ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم
عن آياته تستكبرون ⊙ فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب
والجزاء فرادى منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أو عن الأعوان
والأوثان التي زعمتم أنها شفعاؤكم وهو جمع فرد والألف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا
كرخال بالتنوين وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم أول مرة بدل منه أو حال
الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال ثانية إن جوز التعدد فيها أو حال من الضمير في
فرادى أي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا أي مجيئا
كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم
ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا منه نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء
أي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم أي تقطع وصلكم
وتشتت جمعكم والبين من الأضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف أسند إليه
الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن
عاصم بالنصب على إضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه أو أقيم مقام موصوفه وأصله
لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون ⊙ أنها
شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء إن الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد
به الشقاق الذي هو في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات
ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطفة والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان
والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب والنوى فإن قوله يخرج الحي واقع موقع البيان

ذلكم الله

ذلكم الله أي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فأنى تؤفكون ⊙ تصرفون عنه
إلى غيره فالق الإصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة
الإصباح وهو الغبش الذي يليه والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصبح سمي
به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا
يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن إليه إذا اطمأن إليه استئناسا به أو
يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فإنه في معنى الماضي
ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فإن فالقا بمعنى
فلق ولذلك قرئ به أو على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وعلى هذا يجوز
أن يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والأحسن نصبهما
بجعل مقدر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي مجعولان حسبانا أي على أدوار
مختلفة يحسب بها الأوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح
كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل حساب كشهاب وشهبان ذلك إشارة
إلى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما
وسيرهما على المخصوص العليم ⊙ بتدبيرهما والأنفع من التداوير الممكنة لهما
وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
في ظلمات الليل في البر والبحر وإضافتها إليهما للملابسة أو في مشتبهات الطرق وسماها
ظلمات على الاستعارة وهو إفراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله لكم
قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون ⊙ فإنهم المنتفعون به
وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام فمستقر
ومستودع أي فلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو تحت
الأرض أو موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريون بكسر القاف على أنه
اسم فاعل والمستودع مفعول أي فمنكم قار ومنكم مستودع لأن الاستقرار منا دون
الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ⊙ ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لأن
أمرها ظاهر ومع تخليق بني آدم يفقهون لأن إنشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين
أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي أنزل من

السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل
شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفتنة بماء واحد
كما في قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات
او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة
المتشعبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها
قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان و
يجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل
قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذيب وذوبان و
بفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة
بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها
وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات
او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون
والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه
غير متشابه في الهيئة والقدرة واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك
وقرا حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب
اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى نضيجه والى نضجه كيف
يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر
وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون ۞ اي لايات
على وجود الصانع الحكيم القادر وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من
اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح
ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده
ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن
اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم
او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم

او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية و
مفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال
منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم
حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ
وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه اليه وخرقوا له اختلقوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد
الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم بغير ان يعلموا حقيقة ما قالوا
ويروا عليه دليلا وهو في موضع من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما
يصفون ۞ وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت العذر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه
المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد
اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء
للفصل او لان الاسم ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ۞ لا يخفى
عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد
من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف
بالولادة مبرأة عنها لاستقرارها واستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او
ان ولد الشيء نظيره فلا ولد والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين
والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له من الوجهين الاول
ان كل ما عداه مخلوقة فلا يكافيه والثاني انه تعالى لذاته عالم بكل المعلومات ولا غيره بالاجماع
ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض
خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة
وهو على كل شيء وكيل ۞ اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه و
توسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم لا تدركه الابصار لا تحيط به
مع بصره وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع

الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك الرؤية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله
مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة لا كل بصير يدركه مع ان النفي لا يوجب
الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير ۝ فيدرك ما لا تدركه
الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا يدركه الابصار لانه اللطيف
وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف وهو يدركه الابصار لانه الخبير فيكون
اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم
بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي
لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن
عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ ۝ وانما انا منذر و
الله هو الحفيظ يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا الكلام ورد على لسان الرسول عليه
وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني
المتعاقبة الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا
صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعليم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست
اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات
وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست
على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا
وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرس اي عفون ودرس محمد ودارسات
اي قديمات او ذوات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين
مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما
او للمصدر لقوم يعلمون ۝ فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك
بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا
في الالوهية واعرض عن المشركين ۝ ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى
ارائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم
وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافرين وان مراده واجب
الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل ۝ تقوم بامورهم



ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا الهتهم التي يعبدونها بما فيها
من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب
ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا وروي
انه عليه كان يطعن في الهتهم فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت
وقيل دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى
الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه
ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم
والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا
يعملون ۝ بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موضع
الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه في طلب الايات
واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات
عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما
يشعركم ۝ وما يدريكم استفهام انكار انها اي الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون
اي لا يدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه
تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل انها
بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها با
لكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين
فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة
لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم يكن مطبوعة كما كانت
عند نزول القران وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم
عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه
وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي انزل من الايات اول
مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ۝ وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية
المؤمنين وقرئ يقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد
الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا

كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملئكة فاتوا بآبائنا او تاتي بالله والملئكة قبيلا او قبيلا جمع
قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به او انذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات
او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما
جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء
من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال مشية الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة
واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون ۞ انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون
بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل
يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزوله طمعا في ايمانهم
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا
وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله تعالى وخلقه شياطين الانس و
الجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني و
لكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من
زخرفه اذا زينه غرورا ۞ مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم
ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير
للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون ۞
وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل
علة او متعلقة بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا
فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر
وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير في اليه لما له الضمير في فعلوه وليرضوه
لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون ۞ من الآثام افغير الله ابتغي
حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم و
يفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما
ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب
القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس ففيه



تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق ما يدل دلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل
من عند الله يعلم اهل الكتاب لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس
كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم
فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن
عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين ۞ في انهم يعلمون ذلك او في
انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ولا تكونن من
المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان
الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمت ربك
بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا
في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته
لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا
ذائعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله تعالى
بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او الكتاب بعدها بنسخها ويبدل احكامها وقرأ
الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم
بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد
الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل الله
عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراءهم الفاسدة
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون ۞ يكذبون على الله فيما ينسبون
اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون
انهم على شيء وحقيقته الخرص ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن
سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۞ اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب
بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او
استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ

من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة ايضا بفعل مقدر او مجرورة باضافة اعلم
اليه اي اعلم الضالين من قوله من يضلل او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في
العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام و
المعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته
مؤمنين ۝ فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا
تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل
لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر رحمهم الله فصل على بناء المفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما
اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل
الحرام وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم
من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين ۝ المتجاوزين الحق الى الباطل
والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب
وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما
كانوا يقترفون ۝ يكتسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك
والشافعي رض بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة
رحمه بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر اسم غير الله عليه لقوله تعالى وانه لفسق
فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا
وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم
بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان
اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون ۝ فان من ترك طاعة الله الى طاعة
غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي اومن
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله تعالى
وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل



والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره
في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل
وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين
للكافرين ما كانوا يعملون ۝ والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي
جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في
مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى
صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها
بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف
جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى
على الاستتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما
يشعرون ۝ واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي
رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله
اعلم حيث يجعل رسالته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب ولا بالمال
وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح
لها وهو تعالى اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل
تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ۝ بسبب مكرهم او جزاء
على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره
للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله
فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله
تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان
وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون

بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصّعّد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه
الصعود الى السماء وقيل معناه كأنما يصعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل
يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد
كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون
يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى
البيان الذي جاء به القرآن او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي
ارتضاه او عادته او طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا
مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة
قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله عالم باحوال
العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه
تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه
او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار
اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب
بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم
او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال
اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس
بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم و
حصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند
المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا
الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى
وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم
خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل
مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما

الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم
باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض
او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل
منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم
قالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله
تعالى ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم
بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات
المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على
انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك
اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة
اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب
ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك
ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما
ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب
وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما
سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله
تعالى ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف
من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم
ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم

به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن
ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة
وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على
كفركم وعداوتكم اني عامل على ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد
بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد به يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما
يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان
يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان من استفهامية بمعنى
اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق
عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة
وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه
محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون
وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركو العرب لله مما
ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى
شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيا من حرث ونتاج لله تعالى ويصرفونه الى الضيفان
والمساكين وشيا منها لالهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما
عينوا لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله
تعالى مما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شي ثم
رجحوه عليه بان جعلوا الزكى له وفي بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم
الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء
ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسم القربان زين
لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او من
السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب
الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في
العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرى



بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم
بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه
السلام او ما وجب عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام او ما وجب عليهم
ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من
السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او
الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك
وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح
يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرى حجر بالضم وحرج اي مضيق
لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة
وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على
ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله تعالى والجار متعلق
بقالوا او بمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما
في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان
يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى
فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء و
خالفه ابن كثير في ميتة فنصب كغيره او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو
مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرى بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذي هو في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم
على العامل المعنوي وعلى صاحب المجرور وقرى خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع
والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في
فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكور والاناث فغلب الذكر سيجزيهم جزاء وصفهم الكذب
على الله تعالى في التحريم والتحليل من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم

مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة
عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرّموا
ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراءً على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله
قد ضلوا وما كانوا مهتدين ۝ الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنّٰت
من الكروم معروشٰت ملقيات وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه
وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره
الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع
داخل في حكمه لانه معطوف عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما حال
مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشٰبها وغير
متشٰبه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره
من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك وان لم يينع بعد وقيل فائدته رخصة
للمالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وءاتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان
يتصدق به يوم الحصاد ولان يهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب
بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه
ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين ۝ لا يرتضي
فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل
الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار
الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم
الله كلوا ما احل لكم ولا تتبعوا خطوٰت الشيطٰن في التحليل والتحريم من عند انفسكم
انه لكم عدو مبين ۝ ظاهر العداوة ثمٰنية ازوٰج بدل من حمولة وفرشا او مفعول
كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة
والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن
اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو
لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب



بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ ومعزى قل آلذكرين
ذكر الضأن وذكر المعز حرّم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرّم امّا
اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبّئوني بعلم
بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان كنتم صٰدقين ۝ في دعوى
التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرّم ام الانثيين
امّا اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله تعالى حرم من
الاجناس الاربعة ذكرا وانثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور
الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله تعالى حرمها ام كنتم
شهداء بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ وصّٰكم الله بهٰذا حين وصاكم بهذا التحريم
اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي
القوم الظٰلمين ۝ قل لا اجد في ما اوحي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه
تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما على طاعم يطعمه الا ان
يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر
بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله تعالى او دما مسفوحا عطف على
ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق
لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل
النجاسة او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل
لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق و
يجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع
الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء
من ذلك غير باغ على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم
لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غيره وذلك
لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد

ولا على حل الاشياء غيرها الا مع استصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ماله
اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المناسب
عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة
الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء
كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط
بعظم وهو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم و
انا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو
رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين
حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه
لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين
اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
ولا حرمنا من شيء اي لو شاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لقوله فلو شاء لهداكم اجمعين
لما فعلنا نحن ولا اباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب
هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله
تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك و
لم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل
بلا حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر
معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون
في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع
الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة
الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج
بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق
لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال اخرين قل هلم شهداءكم احضروهم
وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين
ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين

ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما
في الاية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم
فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم و
لذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد
معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على
ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا
يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا
امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل
ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية
منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لان التلاوة من القول اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل الا تشركوا
به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار
الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او
بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو
ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا به شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا
بهما احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما
غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشية املاق نحن نرزقكم
واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر
الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه و
لا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم
اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال
العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي
هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة
كنعم ونعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كانك واوفوا الكيل والميزان بالقسط
بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب

١٧٩٧

الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرا حمزة والكسائي وحفص تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات بيان التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم اتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القران انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اي اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انا لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي ولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم

بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت والعذاب وقرا حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل اياته يعني ايات القيمة والهلاك الكلي لقوله تعالى او ياتي بعض ايات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضي الله عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن امنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتزلة تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقرا حمزة والكسائي رحمهما الله ههنا وفي الروم فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي في السؤال عنهم وعن تفرقهم او عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعماية وبغير حساب ولذلك

قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا
يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هدىني ربي الى صراط مستقيم بالوحي
والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا لقوله تعالى ويهديكم
صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ
من القائم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على
انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل للاعلال كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا
حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي
كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حيوتي واموت عليه من الايمان والطاعة
والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرا نافع محياي باسكان الياء
اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العلمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول
والاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي
ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار
والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في
ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من
الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في
ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم
فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتيكم من الجاه والمال ان ربك سريع
العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه
الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى
غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية الا ثمان آيات من قوله تعالى واسألهم ... بالخير

بسم الله الرحمن الرحيم
المص الكلام في مثلها كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به
السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك
حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه
النهي اليه للمبالغة كقولك لا ارينك هيهنا والفاء يحتمل العطف والجواب كانه قيل اذا انزل اليك
لتنذر به فلا تحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل اليك او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله
جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل
النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر
والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة
لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء
يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله
دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون
حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم
ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن
عامر يتذكرون بالياء على ان الخطاب بعد مع النبي وكم من قرية وكثير من اهل القرى اهلكناها
اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها جاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم
لوط عليه السلام مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار
كقوم شعيب عليه وانما حذفت واو الحال استثقالا لا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت
للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير عن مجالفة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك
خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اي
دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا
ظالمين لاعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل
اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا
السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول
في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا

انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظاهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم
وما كنا غائبين ۝ عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال
وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق
اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم
ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسع وتسعون سجلات كل سجل مد البصر
فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات و
ثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه الصلوة انه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيمة
لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتداء الذي هو الوزن الحق صفته او خبر مبتداء
ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار
اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون ۝ الفائزون
بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة
السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون ۝ فيكذبون
بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها
وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزة تشبيها بما
الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون ۝ فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم
صورناكم اي خلقنا اباكم آدم عليه طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق
الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم وقيل ثم لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ۝ ممن سجد لآدم
قال تعالى ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم موكدة معنى الفعل
الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ به ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه
فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال
انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا لان تكون مثله مامورا بالسجدة
لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر
به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين
تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون



باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست
لغيرهم والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين
والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح
ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه
تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ۝ ممن اهانه الله تعالى لتكبره قال
عليه من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون ۝ امهلني الى
يوم القيمة فلا تمتني ولا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين ۝ يقتضي الاجابة الى ما ساله
ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله تعالى الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت
يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني
اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية
او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام
تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم
طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم
ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن
شمائلهم من جميع الجهات مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي جهة يمكنه باتيان
العدو من الجهات الاربعة ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان
الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم
من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جميع جهة حسناتهم و
سيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا
ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء
لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم
ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين ۝ مطيعين وانما قاله ظنا لقوله

تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه
من الملائكة قال اخرج منها مذءوما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او
كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم و
جوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن
بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم
محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره
على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا
يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما
وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية
وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته
ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة
وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوءاتهما ما غطي عنهما
من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة
في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء
حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون
في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق لا
تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء
عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه
بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه
به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من
الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او
ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل

منها اخذتهما

منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما فظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة
كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان
ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من
اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان وناداهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا
ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغاير معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز
المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير
من السيآت واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما
ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موقع
الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين
الى تقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرأ حمزة
والكسائي وابن ذكوان ومنها تخرجون وفي الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء يا بني
آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره
قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري سوءاتكم التي قصد الشيطان ابداءها
ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف
في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة
اول سوء اصاب الانسان من الشيطان انه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا
تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب
وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه
بالابتداء وخبره ذلك خير وخبره وذلك صفة كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع
وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على ريشا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله
الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون
عن القبايح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم

كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن
اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج
واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير
من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم
وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والاية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا
فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول
لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان المراد
بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مرتبين
كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله
امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله
ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو
الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته
مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او
مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم كما انشاكم
ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة
عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه كما بداكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بداكم
من التراب تعودون وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا
حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم
ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم
وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل

مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب
ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون
دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او
بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رض كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر
ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف و
المعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على
ان الاصل في المطاعم والمشارب والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار
قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة
يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر
كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم
قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها
وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده
بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب
بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر
والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي
شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل جائز غير واجب كما ظنه اهل التعظيم وضمت
اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين
كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب
ما قاله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما
اثبت لهم فيه حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل
وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا أين ما كنتم تدعون من دون الله
اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة
قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم
كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملئكة في أمم
قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والإنس يعني كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت أمة اي في النار لعنت أختها التي ضلت
بالاقتداء بها حتى إذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت أخراهم اي
دخولا او منزلة وهم الاتباع لأولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء
أضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا
تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم برواية ابي بكر بالياء على الانفصال وقالت أولاهم
لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوا عليه
اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين او من قول
الله للفريقين إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح
لهم أبواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة
والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي
وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء
على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو
ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالقفل والجمل كالنصب
والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم



الخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين
لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال
عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف
الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه
اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا
نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه
طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من
قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رض اني لارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الأنهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر
ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون
ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا
أن تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات أورثتموها بما
كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة
او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول
ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم
كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعدا بهم كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي حيث وقع بكسر العين وهما لغتان فأذن مؤذن قيل هو
صاحب الصور بينهم بين الفريقين أن لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي
وابن عامر وحمزة والكسائي أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او
اجراء الاذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او

منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان مالم يكن
منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون ۝ وبينهما حجاب اي بين
الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف
وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف
الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين
قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء
والشهداء وخيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة
والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في
المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا
اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون ۝
حال من الواو على الوجه الاول او من اصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ۝ اي في النار ونادى اصحاب
الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم
كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون ۝ عن الحق او على الخلق وقرئ
تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال
الى الضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون في الدنيا ان الله لا يدخلهم
الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ۝ اي فالتفتوا الى اصحاب
الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله
بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا
ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة هؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا
ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم
الله من ساير الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله
حرمهما على الكافرين ۝ منعهما عنهم منع المحرم من المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا

يحسن

يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسي فنتركهم في النار
كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون ۝
وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقايد و
الاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم
بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على ساير الكتب عالمين بانه
حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون ۝ حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون
الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم
يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق
بالحق اي قد تبين انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل
نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد
الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف
اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝ بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات لقوله ومن يولهم
يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم
يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار
للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا
ان الاستواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط
بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه و
قيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك
قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن
عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب
له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل
بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره بقضائه
وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع

على الابتداء والخبر ألا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله تعالى اعلم ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه
تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله
فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة و
الهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق الارض
في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها
ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات و
الارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه
لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه
متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل
الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي
ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في
الدعاء والاسهاب وفيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون اقوام قوم يعتدون في الدعاء و
حسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما
قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه
خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوصل به الى الاجابة
وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي
بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره
وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى
ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه



مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم
بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى
بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا
ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ
لبلد ميت اي لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب
او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء
للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها
كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث
القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس
الى موادها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك
قدر على هذا والبلد الطيب والارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به
عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث كالحرة والسبخة لا
يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته
الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه
البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك
نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون
بها والآية مثل لمن تدبر في الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا
نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان
المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي
بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اعبدوه وحده لقوله
ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التي تخفض
وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد
للداعي الى عبادة واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف
فانهم يملؤن العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم

ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني
رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى لانه قال
ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا
تعلمون استيناف وساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف
وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي
اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي
اعلم من الله تقريرا لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه بالوحي اشيا لا علم لكم بها
اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم
ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم
فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في
آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
بالتقوى وفايدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان
المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن عذاب فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من
امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن
به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مبصرين واصله عميين مخفف وقرئ
عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف
بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود
بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن ابن عم ابي عاد
وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره استيناف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك
جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين
كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في
خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم
ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم



ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم سبق تفسيره في اجابة الانبياء الكفرة من كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله
وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو ابلغكم في موضعين في هذه السورة
وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم من رمل
عالج الى شحر عمان او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض خوفهم من
عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة من ستين الى مائة فاذكروا آلاء
الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون كي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح
قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص
الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا
اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب
يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من
الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على
ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة
انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء
سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت
كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حججهم وسندهم ان الاصنام
تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك لم يتوجه
الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفه ظاهر فانتظروا لما وضح
الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين
معه برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم
وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من
هلك هو الايمان روي انهم كانوا عبدة الاصنام فبعث الله تعالى اليهم هودا عليه السلام
فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ
مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل ابن

عن ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن
سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله
واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا
له اهمه ذلك فاستحيى واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل
ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى
غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم
فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة
فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت
على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ
مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى
اخاهم صالحا بن عبيد بن اسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله
هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم
بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة
الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت
آية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة
بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم ○ جواب
للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر
تتخذون من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها
كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا
على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا
آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ○ قال الملأ الذين استكبروا اي من



الايمان من قومه للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم
بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين و
قرئ وقال الملأ بالواو اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل
به مؤمنون ○ عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من
ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال
الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون ○ على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم
به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل
بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما
بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ○ فاخذتهم
الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين ○ خامدين ميتين روي انهم بعد عاد
عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال و
كانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم
فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن
استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة
يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم
نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد
الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاءوا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو
ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت
المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا
الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال
لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما

رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا و
تكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ۝ ظاهره ان توليه عنهم
كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل
التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتأتون
الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ۝
ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض
والجملة استيناف مقررة للانكار كان وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء انكم لتأتون
الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ
وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد
بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء
النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون ۝ اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت
بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او
عن محذوف مثل ءاعذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا النصح بالامر
باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون ۝ اي من
الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امرأته واهله فانها كانت تسر الكفر كانت من
الغابرين ۝ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا
اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين ۝ روي ان لوط بن هاران بن تارخ عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل
بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها
فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين
اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم

بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا
موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها الدرع خاصة وكانت الموعودة له يحتمل ان يكون كرامة
لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال
كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان
يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما
قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير و
قيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف
بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع واصلحوا فيها والاضافة
اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ۝ اشارة
الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة
وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من الدين كالشيطان وصراط
الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام فكانوا اذا رأوا احدا يسعى
في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا
يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن
سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على
عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط
على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم
وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا
عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين
من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به
وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر
المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين ۝ اذ لا معقب
لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية

او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكنهم غلبوا
الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال اولو كنا
كارهين ۝ اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا
على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه
محذوف دليله قد افترينا الان ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه تبين
لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا
وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته
وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط
علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا
من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت
خير الفاتحين ۝ على المعنيين وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم
دينكم انكم اذا لخاسرون ۝ لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطئ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي
سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين ۝ في مدينتهم
الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى
المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ۝ دينا ودنيا لا الذين صدقوه و
اتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف
بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى
على قوم كافرين ۝ ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا
عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق
فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف اسى عليكم بامالتين وما ارسلنا في قرية
من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون ۝
كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه



من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفى النبات
اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره
واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما
مسنا فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون ۝ بنزول العذاب ولو ان اهل القرى
يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا
واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم
الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا
الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون ۝ من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى
عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى
ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى
البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون ۝ حال من ضميرهم البارز
او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد
ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون ۝
يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى
ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا
القوم الخاسرون ۝ الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام
لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرا بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف
على ما دل عليه او لم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه
على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا
يسمعون ۝ سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك
من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة
ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا

من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم
بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر قط فيهم دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام
لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ۝ فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا
لأكثرهم لأكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان
اكثرهم نقضوا ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين ۝ من وجدت زيدا ذا الحفاظ
لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليها
وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله
ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا
بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون
لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۝ وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب
العالمين ۝ اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه
اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله
حقيق على ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب لأمن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه واجب على القول الحق ان
اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء
لافادة ربيت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول
قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل ۝ فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض
المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت
جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت
من الصادقين ۝ في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ۝ ظاهر امره لا
يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون



فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى
انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع
يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين ۝ اي بيضاء بياضا خارجا عن
العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها اذ كان موسى
آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب
شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ۝ قيل قاله هو
واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم هاهنا في ان
نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ۝ كانه
اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ
ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن
عامر على الاصل في الضمير او ارجه من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي
واما قراءة قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص ارجه
بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه ككبد في اسكان وسطه واما قراءة
ابن عامر في رواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر
الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها
وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة
فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ۝
استأنف به كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم
ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم
ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين ۝ عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم
قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ۝ خيروا موسى مراعاة
للادب واظهار الجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو
ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا
كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها
ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤوا

يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون ۝ تشيرون
صح

بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات الوادي وركب بعضها
بعضا وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فالقاها فصارت حية فإذا هي تلقف ما يأفكون
اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهو
مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها على الحاضرين
فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان
هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص تلقف هنا وفي طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور
امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا
اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه وألقي السحرة ساجدين
جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او
ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه
او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون
ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به اي بالله او بموسى
والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام
بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار وهذا قبل أن آذن لكم إن هذا
لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في
مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها أهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف
تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف
من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من
سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله محاربة الله ورسوله ولكن على
التعاقب لفرط رحمته قالوا إنا إلى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او
انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا
ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير
الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا
ربنا أفرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو
الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم

بهم وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون
أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض بتغيير الناس عليك ودعوتهم
الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم أك
جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك
وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا
ويذرك كقوله فأصدق وأكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع
لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي
عبادتك قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا
عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا
على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وإنا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون
تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا
منه تسكينا لهم إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة
بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من
اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان و
اللام في الارض يحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل أوذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة
بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الأرض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه
بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام
فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب
ما يوجد منكم ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة
غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم
ومعاصيهم فيتعظوا وترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فإذا
جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وإن تصبهم
سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا

بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك
وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في
الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات
ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع **الا انما طائرهم عند**
**الله** اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة
فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع **ولكن اكثرهم لا يعلمون**
ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم **وقالوا مهما** اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم
قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع
على الابتداء او النصب بفعل يفسره **تأتنا به** اي اي شيء تحضرنا تأتنا به **من آية** بيان لمهما وانما سموها آية على
زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا **لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين** اي لتسحر بها اعيننا
وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى
**فارسلنا عليهم الطوفان** ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل
الموتان وقيل الطاعون **والجراد والقمل** قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها
**والضفادع والدم** روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل
الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم تدخل فيها قطرة
ماء وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى
ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد
مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب و
السقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق و
المغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد
وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد
تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت
فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم
ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل
عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه

تعالى

دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف
**آيات** نصب على الحال **مفصلات** مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان
احوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعدما
غلب السحرة عشرين سنة يريهم الله هذه الآيات على مهل **فاستكبروا** عن الايمان **وكانوا قوما مجرمين**
**ولما وقع عليهم الرجز** يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك **قالوا يا موسى ادع**
**لنا ربك بما عهد عندك** بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك
كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد
عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك
او قسم مجاب بقوله **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل**
**فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه** الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون
فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى الاجل عينوه لايمانهم **اذا هم ينكثون**
جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتامل فيه **فانتقمنا منهم** فاردنا الانتقام منهم
**فاغرقناهم في اليم** اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته **بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا**
**عنها غافلين** اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين
عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا **واورثنا القوم الذين كانوا**
**يستضعفون** بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم **مشارق الارض ومغاربها**
يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها **التي باركنا**
**فيها** بالخصب وسعة العيش **وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل** ومضت عليهم واتصلت
بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ
كلمات ربك لتعدد المواعيد **بما صبروا** بسبب صبرهم على الشدائد **ودمرنا** وخربنا **ما كان**
**يصنع فرعون وقومه** من القصور والعمارات **وما كانوا يعرشون** من الجنات او
ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم
وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** وما بعده ذكر ما احدثه
بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم

وعاقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون
وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها
قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل
من لخم وقرا حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يموسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم
الهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده
لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر
مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا
الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين
في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي
لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا
وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء
مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان
يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من ال فرعون واذكروا صنيعه معكم في
هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف لبيان ما انجاهم او حال
من المخاطبين او من ال فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين
وقرا نافع يقتلون بفتح الياء واسكان القاف وضم التاء مخففا وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا
القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين
ليلة بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون
بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم
انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك
فامر الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه
التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم
واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع

سبيل

سبيل من سلك سبيل الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه و
اللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي
ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من
جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رويتك او تتجلى
لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رويته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من
الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعالى ولذلك رده بقوله لن تراني دون
لن اري ولن اراك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويته لتوقفها على معد في الرائي لم
يوجد فيه بعد وجعل السوال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الروية
ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها كما قال لاخيه ولا
تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن
عدم رويته اياه على ان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة
فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الروية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الروية بالاستقرار ايضا
دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له
عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطي له حيوة وروية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك
والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة
دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا جمع داك وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول
ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك من الجراة والاقدام على السوال بغير اذن وانا
اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من امن بانك لا ترى في الدنيا قال يموسى
اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهارون وان كان نبيا
وبكلامي
ماموا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك
اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة روي ان سوال الروية كان يوم
عرفة واعطاء التورية في يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من
امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ
وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت

احمرا او صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى عليه السلام فقطعها بيده او شققها باصابعه وفيها التورية
او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح
او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او الرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا باحسنها
اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريق الندب
والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فان
الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به
كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على
عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او داركم في الاخرة وهي جهنم وقرئ
ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وقرئ سأورثكم ويؤيده قوله تعالى واورثنا القوم
سأصرف عن آياتي المصوبة في الافاق وفي الانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على
قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون
فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او
حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب
انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد
وثلثها لغات كالسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بتكذيبهم وعدم تدبرهم للايات
ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء
الآخرة ولقائهم الدار الاخرة او ما وعد الله تعالى في الاخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل
يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه
للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها
كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر
بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من
الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا
من اثر فرس جبريل عليه السلام فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما



نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح
ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى
الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلامهم ولا على ارشادهم سبيلا كآحاد البشر حتى حسبوا انه
خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء
في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم
فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع
العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأ حمزة والكسائي
بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي
حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين
معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من
التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن
عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم
بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية
للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة
اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه
بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا
ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء
بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها
بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه
والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء
فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة
او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي واخي ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار

بابطال التورية وبغيرها
رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا

ترضية له ودفعا للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين
فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك
نجزي المفترين على الله تعالى ولا فرية أعظم من فريتهم هذا إلهكم وإله موسى ولعله
لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها
من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحات إن ربك من
بعدها لغفور رحيم أي من التوبة وإن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني إسرائيل
ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هارون أو بتوبتهم وفي الكلام مبالغة
وبلاغة من حيث إنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سكت وأسكت على أن المسكت هو الله تعالى أو أخوه أو الذين تابوا أخذ الألواح التي ألقاها
وفي نسختها وفيما نسخ فيها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أي من الألواح المنكسرة
هدى بيان للحق ورحمة إرشاد إلى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول
لضعف الفعل بالتأخير أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله تعالى لربهم
واختار موسى قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما
أخذتهم الرجفة روي أن الله تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع
الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تكلم موسى
يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة
أو رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه
قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر أو عنى به أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم
وبإغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالإنقاذ منها فإن ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم إحسانك
أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل
المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى عليه السلام لميقات التوبة عنها
فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم
فبكى ودعا فكشفها الله تعالى عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا



في الرؤية أو أوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالته بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل
وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها إيمانه أنت ولينا القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا
وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بالكسر
من هاد يهيد إذا أماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا أنفسنا أو أملنا
إليك ويجوز أن يكون المضموم أيضا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي
أصيب به من أشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره
فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة أو فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يتقون الكفر و
المعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون
فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم أو خبر مبتدأ تقديره هم
الذين أو بدل من الذين يتقون بدل البعض من الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه
وآله وسلم وإنما سماه رسولا بالإضافة إلى الله تعالى ونبيا بالإضافة إلى العباد الأمي الذي لا يكتب
ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والإنجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير أو
كالربا والرشوة ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما
كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع
النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم
فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير
ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته يعني القرآن وإنما سماه نورا لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر
غيره أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا أي واتبعوا النور
المنزل مع اتباع النبي فيكون إشارة إلى اتباع والسنة أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة
الأبدية ومضمون جواب دعاء موسى عليه السلام قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم
الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى كافة الثقلين وسائر الرسل إلى
أقوامهم جميعا حال من إليكم الذي له ملك السماوات والأرض صفة لله تعالى وإن حيل بينهما

وهو على الوجه الاول بيان لما قبله
فان من ملك العالم كان هو الاله
لا غيره يحيي ويميت

ما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا
هو مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى ساير الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس
او القرآن او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل
من التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط
الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او
بكلمة الحق وبه بالحق يعدلون في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القايمون بالحق من اهل
زمانه وتبع ذكرهم اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم النبي صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة
مفعول ثان لقطع فانه يتضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا
بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة
قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى
الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه اي في التيه ان اضرب
بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام
لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة
عينا قد علم كل اناس مشربهم كل سبط وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس
وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار
اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا
مثل ما في سورة البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم
يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على ادخلوا فلا اثر له
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطف بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين
وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل

ليس في مقابلة

ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالرفع
والجمع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي
قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى
تفسيره في سورة البقرة واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من
علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي
كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل
مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف
لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف
ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي
يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم
تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم
والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول انه قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون
لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في
السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء الارض من شرع علينا اذا دنا واشرف
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم
وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء فيما متعلق بيعدون واذ قالت
عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في عظتهم
حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخزيهم او معذبهم عذابا شديدا
في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ
ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد
طايفة من الفرقة الهالكة اجابوا به واعظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى
ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله تعالى حتى لا ننسب الى تفريط في النهي
عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم
معذرة ولعلهم يتقون اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي
ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين

ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من باس يبوس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو
عمرو وبئيس على فيعل كضيغم وابن عامر بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ فخفف
عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل
الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيّس كريّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين
وبايس بما كانوا يفسقون ۝ بسبب فسقهم فلما عتوا عن ما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا
عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ۝ كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تبارك وتعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز ان تكون الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين
كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين
فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم
وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن
ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه
بفعله او اراد لان الارادة على الشيء ايذان بفعله واجري مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك
اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى اذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود
من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية فبعث الله عليهم بعد سليمان بخت نصر فخرب ديارهم
وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل بهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر
ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا والاخرة وانه لغفور رحيم ۝ لمن تاب وآمن و
قطعناهم في الارض امما فرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم
شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة
ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره منهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم
وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ۝ ينتبهون فيرجعون
عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك
يقع على الواحد والجمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول
الله عليه الصلوة والسلام ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها

يأخذون

يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا
يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا
الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر
يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب
عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على
الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم
التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ
من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ
هؤلاء افلا تعقلون ۝ فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم
المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب
واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدا خبره انا لا نضيع
اجر المصلحين ۝ على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح
كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع
التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كأنه
ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل
لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا
احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم
خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم
تتقون ۝ قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذرياتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن من ظهورهم بدل من بني
آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها
حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة
الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم

القيامة اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين ۝ لم تنبه عليه بدليل او تقولوا عطف على
ان يقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام الغيبة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا
ذرية من بعدهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا
بما فعل المبطلون ۝ يعني اباءهم المبطلين بتأسيس الشرك لما خلق الله تعالى ادم عليه
السلام اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث
رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرح الكتاب المصابيح والمقصود من ايراد
هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم
والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما
قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ۝ اي عن التقليد واتباع الباطل و
اتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت
فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون
هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم
بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان
حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين ۝ فصار من الضالين روي ان قومه سألوه
ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا
عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات
وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا
واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك
منه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه
دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما
نشاهده من الآيات وسايط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك
وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة
وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في
الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي يلهث دائما في الحالين سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر



الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال
والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة
للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل
يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة
على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون ۝ تفكرا يؤدي بهم الى الايقاظ ساء
مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص
بالذم بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون ۝ اما ان يكون
داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم
او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم
المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ۝
تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هدايته تعالى تختص ببعض دون بعض
وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه
على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله
تعالى بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء او تنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم
لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا
لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى وتقدس لهم قلوب لا
يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون
بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله تعالى نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات و
المواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع
للتدبر وفي مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل
فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية
جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد
بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما توهم معنى

معنى فاسد كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او على لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما
نعرف الا رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات
من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله تعالى مجازيهم كما قال
سيجزون ما كانوا يعملون ۝ وقرا حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن
القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ۝ ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار
طايفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل
به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طايفة بهذه الصفات لقوله عليه الصلوة
والسلام لا يزال من امتي طايفة على الحق الى ان ياتي امر الله تعالى اذ لو اختص بعهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة
بعد درجة من حيث لا يعلمون ۝ ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها
لطف الله تعالى بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم
وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ۝ ان اخذي شديد وانما
سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روي انه عليه الصلوة والسلام علا الصفا فدعاهم فخذا
فخذا يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت
ان هو الا نذير مبين ۝ موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في
ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن
حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم
صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او
مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب اجالهم
وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب
فباي حديث بعده بعد القران يؤمنون ۝ اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه
اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله
عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقران وماذا ينتظرون



بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به بعد قوله من يضلل
الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرا
ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم
عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهديه احد غيره ويذرهم يعمهون ۝ حال منهم يسئلونك
عن الساعة اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة
او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي
اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى السفينة واشتقاق
ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها عند ربي
استاثر به ولم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في
وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتوقيت
كاللام في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على
اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تاتيكم الا بغتة
فجاة على غفلة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح
حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
يسئلونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سال عنه فان من بالغ
في السوال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسئلونك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا
متى الساعة والمعنى يسئلونك كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل
معناه كانك حفي بالسوال عنها تحبه من حفي بالشيء اذا فرح بالسوال عنه الا انك تكره السوال
عنها لانه من الغيب الذي استاثر الله تعالى بعلمه قل انما علمها عند الله كرر لتكرير يسئلونك
لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ ان علمها عند
الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع
ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني
اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم
لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني السوء ان انا

نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون ۝ فانهم المنتفعون
بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة
هو آدم عليه السلام وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله تعالى جعل لكم
من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه
وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم
تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت وقامت
وقعدت وقرئ بالتخفيف فمرت فاستمرت وفارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل
وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول
اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين
لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء
فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ۝ ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس لعنه الله تعالى في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في
بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم عليهما السلام
فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله تعالى ان يجعله خلقا مثلك
ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته
عبد الحارث ومثل ذلك لا يليق بالانبياء عليهم السلام ويحتمل ان يكون الخطاب خلقكم لآل قصي
من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله
الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون
الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا
فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء بهم على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون
لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون ۝ فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم
اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب
للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يرشدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ۝ وانما لم يقل ام صمتم



للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات من دعائهم ان الذين
تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ۝ انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور
الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد اليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام
لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها
وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عباد على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله و
يبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم
في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون
فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب
القرآن وهو يتولى الصالحين ۝ اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من
عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم
ولا انفسهم ينصرون ۝ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا
يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ۝ يشبهون الناظر اليك لانهم
صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل
ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين والفضل
وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال
واعرض عن الجاهلين ۝ فلا تمارهم ولا تكافهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم
الاخلاق آمرة للرسول صلى الله عليه وسلم باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ
ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وتفكر والنزغ والنسغ
والنخس الغرز شبه وسوسة الناس اغراءهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ
بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم ۝ يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع
باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت
بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو

والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس
ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله تعالى به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء
ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله تعالى
واخوانهم يمدونهم
اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم
من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال
ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي
لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى
الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له واذا لم تاتهم باية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا
اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤا وهلا طلبتها من الله تعالى قل انما
اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا
القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون
نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ
يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من
لا يرى القراءة على الماموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة و
الدعاء وغيرهما او امر للماموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رحمة
الله عليه تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق
السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدو و
العشيات وقرئ والايصال وهو مصدر اصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن
من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن
عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون
به غيره وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويلتاه امر هذا بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الاعراف جعل الله
يوم القيمة بينه وبين ابليس لعنه الله سترا وكان ادم عليه السلام شفيعا له يوم القيمة

## سورة الانفال مدنية وهي خمس وسبعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله
تعالى وفضل كما سمي به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله
والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يامر الله به وسبب
نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفل فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين
واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند
الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمة الله عليه و
عن سعد ابي وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن
العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال
ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ
سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسئلونك الانفال اي يسالك الشبان
ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم
بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتسليم امره الى الله تعالى والرسول واطيعوا الله
ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان
فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين
بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل

بوجها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه
وعلى ربهم يتوكلون ۝ يفوضون اليه امرهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ۝ اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم
بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل على الله تعالى وتقدس
ومحاسن اعمال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله تعالى حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل
درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم ۝ اعد لهم
في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف
تقديره هذا الحال في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت
لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجرة ومسكنه او
بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك
ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن
العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق
الكعبة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه وسلم لم تفلحوا بعدها
ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم
حلق بها فلم يبق بيت بمكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى رجالهم ان
يتنبؤا حتى تنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم
يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل جبريل عليه السلام بالوعد باحدى
الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب
له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله
عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف
عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول
لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب

انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها
الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه
حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ
وقال فكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به
الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فو
الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف رجل وما نكره ان تلقى بنا
عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به عينيك فسر بنا على
بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله قد وعدني احدى
الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من بدر
قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاق لا يصلح فقال له لم فقال ان الله تعالى وعدك
احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم يجادلونك في الحق ايثارك الجهاد باظهار
الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه
الصلوة والسلام كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون ۝ اي يكرهون القتال
كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي
انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم
بدل اشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها
الا اربعون فارسا يتمنونها ويكرهون ملاقات النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة
مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحاة بهذا
في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمة ويقطع دابر الكافرين ۝ ويستأصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق و
ما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات
الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ۝ ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم
او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال

اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه
انه عليه الصلوة والسلام نظر الى المشركين وهم الوف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة
ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك سينجز لك ما وعدك
فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو
بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملئكة
مردفين ۝ متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم
بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرا نافع مردفين بفتح الدال اي متبعين
بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين
بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم
على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد
بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم
وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولـ
تطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان
الله عزيز حكيم ۝ وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تاثير لها
فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع
يغشيكم النعاس بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى
وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله تعالى وهو مفعول له
باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل
لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس
على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه
حصلت له امنة من الله تعالى لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك
فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته



وتخويفه اياهم من العطش روي انهم لما نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم
اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل
المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا
وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على
قلوبكم بالوثوق على لطف الله تعالى ويثبت به الاقدام ۝ اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل
او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة
اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول واجراء الوحي
مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سألقي
في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم
قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقي الى
قوله بنان تلقين للملائكة ما يثبتون كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها
التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان ۝ اي اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم
ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا
الله ورسوله بسبب مشاقتهم واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق
الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان
الله شديد العقاب ۝ تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في
الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم
واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة
وان للكافرين عذاب النار ۝ عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما
عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب
الآجل او الجمع بينهما وقرئ ان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا
قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار ۝ بالانهزام فضلا
ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين

المؤمنين الاية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون
اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين
تولوا وهم اثنا عشر الفا **ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال** يريد الكر بعد الفر وتغرير
العدو فانه من مكايد الحرب **او متحيزا الى فئة** او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب
ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ان ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون
وانا فئتكم وانتصاب متحرفا او متحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا
متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز **فقد باء بغضب**
**من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الا
ان خفف الله عنكم وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب **فلم تقتلوهم** بقوتكم
**ولكن الله قتلهم** بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش
من العقنقل قال عليه الصلوة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق
مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فلما انصرفوا اقبلوا
على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم **وما رميت** يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليهم **اذ رميت**
اذ رميت بصورة الرمي **ولكن الله رمى** اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا
وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه
وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصى ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في
طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين
نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين **وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا** ولينعم عليهم
نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات **ان الله سميع** لاستغاثتهم ودعائهم **عليم**
بنياتهم واحوالهم **ذلكم** اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر



ذلكم وقوله **وان الله موهن كيد الكافرين** معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد
وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف **ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** خطاب لاهل مكة
على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر ا
على الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين **وان تنتهوا** عن الكفر ومعاداة الرسول صلى الله
عليه وسلم **فهو خير لكم** لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين **وان تعودوا** لمحاربته **نعد**
لنصرته **ولن تغني** ولن تدفع **عنكم فئتكم** جماعتكم **شيئا** من الاغناء والمضار **ولو**
**كثرت** فئتكم **وان الله مع المؤمنين** بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص ان
بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول صلى الله عليه
وسلم فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم
اذا لم يغنكم الله بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك **يا ايها الذين آمنوا اطيعوا**
**الله ورسوله ولا تولوا عنه** اي ولا تتولوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم فان المراد من
الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في
طاعة رسول صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير في عنه للجهاد او
للامر الذي دل عليه الطاعة **وانتم تسمعون** القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق **ولا**
**تكونوا كالذين قالوا سمعنا** كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع **وهم لا يسمعون**
سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا **ان شر الدواب عند الله** شر ما يدب على الارض
او شر البهائم **الصم** عن الحق **البكم الذين لا يعقلون** اياه عدهم من البهائم ثم
جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله **ولو علم الله فيهم خيرا** سعادة كتبت لهم او
انتفاعا بالآيات **لاسمعهم** سماع تفهم **ولو اسمعهم** وقد علم ان لا خير فيهم **لتولوا** ولم ينتفعوا
به او ارتدوا بعد التصديق والقبول **وهم معرضون** لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي
صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى
لاسمعهم كلام قصي **يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول** بالطاعة **اذا دعاكم**
وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه الصلوة والسلام

مر على أبي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم
تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان
الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر
الحديث يناسب الاول **لما يحييكم** من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال
لا تعجبن الجهول حلته فذلك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقايد
والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى
بل احياء عند ربهم **واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه** تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله و
نحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى ان يغفل عنه
صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه
بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير مقاصده ويحول بينه
وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه **وانه**
**اليه تحشرون** ◉ فيجازيكم باعمالكم **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم**
**خاصة** اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى
معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه
شذوذ لان النون لا يدخل النفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط
جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا
في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم
خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته
التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم **واعلموا ان الله شديد العقاب** ◉ **واذكروا اذ انتم**
**قليل مستضعفون في الارض** مكة يستضعفكم قريش الخطاب للمهاجرين وقيل للعرب
كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم **تخافون ان يتخطفكم الناس** كفار قريش او من
عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم **فآواكم** الى المدينة او جعل لكم مأوى



تحصنون به من اعدائكم **وايدكم بنصره** على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم
بدر **ورزقكم من الطيبات** من الغنائم **لعلكم تشكرون** ◉ هذه النعم **يا ايها الذين**
**امنوا لا تخونوا الله والرسول** بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما
تظهرون او بالغلول في المغانم روي انه عليه الصلوة والسلام حاصر بني قريظة احدى
وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد
فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله
فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك
فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه
فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص
كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه **وتخونوا اماناتكم** فيما بينكم
وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو **وانتم تعلمون** ◉
انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح **واعلموا انما اموالكم واولادكم**
**فتنة** لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم
على الخيانة ومثله كابي لبابة **وان الله عنده اجر عظيم** ◉ لمن اثر رضاء الله عليهم وراعى
حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه **يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم**
**فرقانا** هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل
باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات ونجاة مما تحذرون في الدارين
او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح **و**
**يكفر عنكم سيئاتكم** ويسترها **ويغفر لكم** بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر
والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم
**والله ذو الفضل العظيم** ◉ تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان

والله ليس مما يوجب تقدمهم عليه كالسيد اذا وعد عبيده انعاما على عمل ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾
تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم
والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ﴿ليثبتوك﴾ بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته
لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبّتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك ﴿أو يقتلوك﴾
بسيوفهم ﴿أو يخرجوك﴾ من مكة وذلك لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا واجتمعوا في دار
الندوة متشاورين في امره عليه الصلوة والسلام فدخل عليهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ وقال انا
من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه
في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي
يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا
فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على قريش كلهم فاذا طلبوا العقل
عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة
فبيت عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ﴿ويمكرون ويمكر
الله﴾ برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين
في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا ﴿والله خير الماكرين﴾ ۝ اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال
هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا
قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ هذا قول نضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد
فعل رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وقيل هذا قول الذين ائتمروا في امره وهذا غاية مكابرتهم وفرط
عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاءوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم
قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان
﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ ۝ ما سطره الاولون من القصص ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان
هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ ۝
هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين
قال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا
منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار
اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه



الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق
مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ ۝ بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف
في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذابا استئصال والنبي صلى الله
عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار
من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ وما لهم ما يمنع تعذيبهم
متى زال ذلك وكيف لا يعذبون ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿وما كانوا
أولياءه﴾ مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد
من نشاء وندخل من نشاء ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ من الشرك الذي لا يعبدون فيه غيره وقيل
الضميران لله ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ۝ ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم
من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم ﴿وما كان صلاتهم عند البيت﴾ اي دعاؤهم او ما يسمونه
صلوة او ما يضعونه موضعها ﴿إلا مكاء﴾ صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا
﴿وتصدية﴾ تصفيقا تفعلة من الصدى او الصد على ابدال الحرف في التضعيف بالياء وقرئ
صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد
فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي
يخلطوا عليه ويرون انهم يصلون ايضا ﴿فذوقوا العذاب﴾ يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل
عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب ﴿بما كنتم تكفرون﴾ ۝
اعتقادا وعملا ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ نزلت في
المطعمين يوم بدر وكانوا اثنا عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي
سفيان استاجر يوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين
اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد صلى الله عليه

وسلم لعله تدرك منه ثارها فيفعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل
وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني
لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها
تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون ۝ اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل
ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون
ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بقوله تعالى
ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا فيضم بعضه على بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر
ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق
الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون ۝ الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم
قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين ۝ للذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل
بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين
كله لله وتضمحل فيهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير ۝
فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من
الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه
بانتهائهم دلالة كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم
ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا
يضيع من تولاه ونعم النصير ۝ لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه
من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف
اي فثابت ان لله تعالى خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله تعالى وتقدس للتعظيم
كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول



ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الا
خصين به تعالى وحكم بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه
اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة رحمه الله سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة
الباقية وعن مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية
الى ظاهر الاية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله تعالى الى الكعبة لما روي انه عليه الصلوة
والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما هؤلاء اخوتك
بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم
ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم و
العطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة
ايام من النصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل
عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة
الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل
وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين
يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على
كل شيء قدير ۝ فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من
يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه
قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على
الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم بالمقاتلة وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن
المسلمين والتباث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة
تسوخ فيها الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله و
لو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ۝ اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم

لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا
من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي
الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله تعالى ليهلك من
هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا
والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة و
معذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة
على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او
من هذا حاله في علم الله تعالى وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير برواية البزي ونافع وابو بكر ويعقوب
من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من
آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله
في منامك قليلا في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر في امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا
حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم
سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم
في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم
ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك
الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما
يتصور ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرط ليقضي
الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي
وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما
غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي



ان لا يشغله شيء من ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال
واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من حال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآ
راء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا فتجبنوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب
ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها و
نفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا يكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصرة ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا
ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول ابي
سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور
وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت
عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى و
اخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان
جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون
محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول صلى
الله تعالى وسلم وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم
وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى
الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا
زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل
كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم بسبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله
تعالى المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من
الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم
اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام
فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع صدر الحارث وانطلق

وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني
هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه من الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه
ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم
ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه و
ان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان
بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غرّ
هؤلاء دينهم يعني المؤمنين حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف
ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل
بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا
عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو
ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون
الفاعل ضمير الله تعالى وهو مبتدا خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني
فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم
ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب
الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك
الضرب والعقاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله
ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن
ان يعذبهم بغير ذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي
الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون اي دأب هؤلاء مثل دأب
آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون
كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد
العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله تعالى
لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من
من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات ومعاداة الرسول صلى الله

عليه وسلم ومن اتبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك
مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو
المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة
للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع عليم
بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم
بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد والاخذ به والثاني للتشبيه التغيير
في النعم بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا
ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر
ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين
على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على تحقق المعطوف عليه يستدعي
تحقق المعطوف عليه الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا
ومالئوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمن المعاهدة
معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة والمحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا
يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم
في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك اي نكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم وقرئ فشرذ بالذال المعجمة
وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء
لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة
نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد
في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على طريق سوي او منه او من المنبوذ
اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن
مناجزة القتال المدلول عليه بالحال مقام على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص
بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا ومفعوله الاول انفسهم فحذف للتكرار

او تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على
انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والا
ظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا
عن ادراكهم وكذا ان كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من
نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لنا
قضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله عليه الصلوة
والسلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال
بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورابط رباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط
كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف
جبرئيل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد
والضمير في به لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين
من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم
لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم
جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل ونقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى
باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل
السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع و
قرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله تعالى يعصمك من
مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب
لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله
فان حسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب و
تشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية
والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة
وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على



الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز
تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية
في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك
والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك
من المؤمنين ما فيه محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا فحسبك
والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي
كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن
عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ
في حثهم عليه واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة
يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان
صبروا غلبوا بعون الله تعالى وتاييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الاثنين
ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم قوم
جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا
او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان
يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة
العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم
قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة
على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا
متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله
مع الصابرين بالنصرة والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد
ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه
حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله

الحالة وقرئ يُثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذ الفداء والله
يريد الآخرة والله يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ
بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز
يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه كما امر بالاثخان ومنع عن
الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روي انه عليه الصلوة والسلام اتي يوما بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل
ابن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله
يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى بها اصحابك فقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر و
ان الله تعالى اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما
فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى
تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر
مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا
تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء
بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه
لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله تعالى سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب
المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي
اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه الصلوة
والسلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان
فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت و
الفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا ونحوه تشبث من زعم ان الامر
الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة من المصدر اي اكلا حلالا وفايدته ازاحة
ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا
واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن

في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا
يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا
ما بقيت فقال اين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني
في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك
قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله والله لم
يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي
الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان
يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه
المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكن منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة
فيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم وهم المهاجرون هاجروا
اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج
وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا
المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان
المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر
تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم
وبين المسلمين الا تفعلوه ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث و
قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان
وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لانهم المؤمنون
بثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة و
الجهاد وبذل الاموال ونصرة الحق ووعد لهم موعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم
لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القرآن واستدل
به على توريث الاسلام ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة
الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال و
براءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة
وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

رب يسر سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون ايات وتمم بالخير

وقيل الا ايتين من اخرها وتسمى الفاضحة والمبعثرة والمقشقشة والبحوث والمثيرة والحافرة
والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم
ويشرد بهم ويدمدم عليهم وايها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها
نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها
وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر
العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انها سورة واحدة هي سابعة السبع
الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن
ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصيصها
بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله
ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين
للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول صلى
الله عليه وسلم فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة

فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في
الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي
عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما
روي انها نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على
اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا
يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي رضي الله عنه سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب
ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه يوم النحر عند جمرة
العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤدي عني الا رجل مني ليس على الموعظ
فانه عليه الصلوة والسلام بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود
فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات
لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان
امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة واذان من
الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع
براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام
كان فيه ولما روي انه عليه الصلوة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا
يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه الصلوة والسلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة
تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك
الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين
وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على
المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا
على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار
بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر
فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او تبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا
انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب

اليم ۝ في الاخرة إلا الذين عاهدتم من المشركين ۝ استثناء من المشركين
او استدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم
ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط
ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي الى تمام مدتهم ولا
تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين ۝ تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى
فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح
للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف بالاجماع
فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين
حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك كل مرصد
بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور
رحيم ۝ تعليل للامر اي فخلوهم لان الله تعالى غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب
بالتوبة وان احد من المشركين المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك
فاجره فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه
ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ۝ ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون و
يتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد
لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة قلوبهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون
وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة العهد او ظرف له او ليكون و
كيف للاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء اي ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا
على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل
الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين ۝ سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على

وبقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به تقديره كيف يكون لهم عهد كما في قوله وخبر
تماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم
اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان
لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال
وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين
الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم استعير للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده
او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرال وجبرئيل ولا ذمة عهدا
او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم
على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم
لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا بالعهد في الحال
واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تتفوه
افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في
بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا
بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل
اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء
ما كانوا يعملون ۝ عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير
لقوله ساء ما كانوا يعملون لا تكرير وقيل الاول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم
اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون ۝ في الشرارة فان تابوا
عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما
عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون ۝ اعتراض للحث على تأمل ما فصل من الاحكام المعاهدين
او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من
الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم صرح التكذيب وقبح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر
اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم
في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او
للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل

التصريح بالطعن وقرأ هشام بادخال الف بين الهمزتين وروي عنه بخلافه إنهم لا أيمان لهم
لا ايمان على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام
فقد نكث عهده واستشهد به الحنيفة على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو بعيد عن الفهوم
لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان
بمعنى لا امان ولا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى
لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا الاجل لعلهم ينتهون
متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو
طريقة الموذين ألا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار
فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين
ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول عليه الصلوة والسلام
حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما ذكر في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم
اليهود نكثوا عهد الرسول عليه الصلوة والسلام وهموا باخراجه من المدينة وهم
بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلوة والسلام بداهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان
تعارضوهم وتصادموهم أتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله
احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره إن كنتم مؤمنين ۝ فان قضية الايمان ان لا
يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر
عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين ۝ يعني بني خزاعة
وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم
وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم
يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب
به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون
حكيم ۝ لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة أم حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم



القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان أن تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفي العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به
مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا وداخل في الصلة من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه
على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون ۝ يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم
من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مسجد الله شيئا من
المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر
الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر
باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين
متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره وروي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة
الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر
المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت أولئك حبطت أعمالهم التي يفتخرون
بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و
اليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات
العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة و
الذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما
علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله تعالى واقام الصلوة وآتى الزكوة
عليه ولم يخش إلا الله اي في ابواب الدين فان الخشية من المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك
منها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ۝ ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في
الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان
اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا
عليها أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر

وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار
تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد
المعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله
لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين ○ اي الكفرة
ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين
هداهم ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك
هم الفائزون ○ بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم ○ وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر
به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث
الطويل ان الله عنده اجر عظيم ○ يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا
بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت
نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان
ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه و
من يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ○ بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل
من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم و
اموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه
لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة
عاجلة او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين ○ لا يرشدهم وفي الآية
تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقفها
ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل



الحسين رضي الله عنه ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في
مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في
جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن
وثقيفا وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره لن نغلب اليوم
من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا
حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجامه
وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال عليه الصلوة و
السلام للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة
فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه
الصلوة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة
فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من العدو وضاقت عليكم الارض
بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا
يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين ○ منهزمين والادبار
الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا وامنوا على رسوله
وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع
الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ستة عشر
الفا على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين
اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق
للاسلام والله غفور رحيم ○ يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا
واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال
اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا
بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا

علينا حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى
فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس
لخبث باطنهم او لانه يجب الاجتناب عنهم او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون
لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب فيه نجاسة نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم
نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل
المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله وقاس مالك رحمه الله
ساير المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا
يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرام
وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله
من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة
وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض
وقرئ عايلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشية لينقطع الآمال الى الله تعالى
ولينبه على انه متفضل في ذلك فان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام
ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل
دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ ساير الاديان ومبطلها
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان
يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين
او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك
قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية
نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة من يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضي الله
عنهما تؤخذ الجزية من الذمي ويوجا عنقه ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب و
يؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه



الصلوة والسلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب
فالحقوا بالكتابيين واما ساير الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رحمه الله
تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه الصلوة والسلام صالح عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء
فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى
الفقير الكسوب ربعها ولا شي على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم
من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ
التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا
الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم
على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف
به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون
بحرف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي
الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم
وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء
الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها
او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه
في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون
الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة
لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض
قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى
يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح
ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون اربابا فيكون كالدليل على الاتخاذ
الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله واما طاعة الرسول وساير من امر الله بطاعته

وهو في الحقيقة طاعة الله تعالى **لا اله الا هو** صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد **سبحانه عما
يشركون** ⊙ تنزيه له عن ان يكون له شريك **يريدون ان يطفئوا** يخمدوا **نور الله** حجته الدالة
على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه الصلوة والسلام بالتكذيب بحال
من يطلب اطفاء نور عظيم في الافاق يريد الله ان يزيد بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب
لانه في معنى النفي **ولو كره الكافرون** ⊙ محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه **هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك
كرر **ولو كره المشركون** ⊙ غير انه وضع المشركون موضع الكافرين للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى
الشرك بالله تعالى والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر
الاديان الباطلة فينسخها او على اهلها **يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
ليأكلون اموال الناس بالباطل** ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي
اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه **ويصدون عن سبيل الله** دينه **والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله** يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون
مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه
ولا يؤدون حقه ويكون اقترانهم بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر
على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام ان الله لم يفرض الزكوة
الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه الصلوة والسلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد
فان الوعيد على الكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان ينفق فيه
واما قوله عليه الصلوة والسلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد
حقها لقوله عليه الصلوة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله عنه ما من
صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى
بها جنبه وجبينه وظهره **فبشرهم بعذاب اليم** ⊙ **يوم يحمى عليها في نار جهنم** اي يوم
توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى النار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار
واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير
وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي كرم الله وجهه اربعة
الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيها للكنوز او الاموال



فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او الفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها
على ان الذهب اولى بهذا الحكم **فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** لان جمعهم وامساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن
السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف اعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن وما
خره وجنباه **هذا ما كنزتم** على ارادة القول **لانفسكم** لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب
تعذيبها **فذوقوا ما كنتم تكنزون** ⊙ اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم
النون **ان عدة الشهور** اي مبلغ عددها **عند الله** معمول عدة لانها مصدر **اثنا عشر
شهرا في كتاب الله** في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله **يوم خلق
السموات والارض** متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر
ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة **منها اربعة حرم** واحد فرد وهو رجب
وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم **ذلك الدين القيم** اي تحريم الاشهر الاربعة هو
الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما **فلا تظلموا فيهن
انفسكم** بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا
الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه
لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه الصلوة
والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة **وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة** جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع
الحال **واعلموا ان الله مع المتقين** ⊙ بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم **انما النسيء** اي
تاخير حرمة شهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا
خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء و
ادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنساء بالمد وثلثتها مصادر نسأه اذا اخره **زيادة
في الكفر** لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم **يضل به الذين
كفروا** ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب
يضل على ان الفاعل لله تعالى **يحلونه عاما** يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه

شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان
يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطؤا عدة ما حرم الله اي
ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا
ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل
وهو الله سبحانه وتعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم
الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى
الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت
عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحياة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة
ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا
ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل
قوما غيركم واستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح
تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه
فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير
الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره
كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف
الجزاء الذي هو فسينصره الله واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب
الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلم يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه
تسبب لاذن الله له عليه الصلوة والسلام بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري
المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل
البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا
فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن
ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله
عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما

اثاقلتم

فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلوا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على
النبي او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم
ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة
على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله
هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عليه الصلوة
والسلام من ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن
او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع
ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار
ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له
وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من
السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن
لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم
تعلمون ان اخبار الله تعالى صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا
دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم
الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت
من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو
بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جواب
القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب
وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع النفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم
انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في
الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي
شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين
صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم

النفير

لهم يوم بدر اخذ الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك
في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك
في التخلف عنه كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه
انما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم
الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله
ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج
فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى
كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن
الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم
ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان لهم خبالا حتى لو خرجوا
ازدادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء
منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بالنميمة والتضريب
والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع
الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم
ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين
فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد
فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة
اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء
في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون
اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم
لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول



بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا
توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له
او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم
لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكن
اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة
او الآن لان احاطة اسبابها بهم كوجودها ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة
تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا
قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف ويتولوا من متحدثهم بذلك و
مجتمعهم له او عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح
لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ لن يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم
صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا
يتكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين
كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا
وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل
منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم
امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي
ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين
تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده تقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا
انهم كفروا بالله وبرسوله اي ما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل
بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا

كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على
تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون
فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون
بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون
يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجا
حصنا يلجؤون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا
من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا من تدخل ومندخلا من
اندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس
الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب يلمزك بالضم
وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم
انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم
عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا
للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول
من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتنبيه والتعظيم على ان فعل الرسول كان بامره وقالوا
حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة باخرى ورسوله
فيؤتينا اكثر مما اتانا الله انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في
حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا
لما فعله الرسول عليه فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوة لهؤلاء
المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوة دون الغنائم والفقير
من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من
له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت



لمساكين وانه عليه سال المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا
متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم
ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك
وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه عليه كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من
خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي
الزكوات وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله تعالى واكثر اهله سقط وفي
الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان
يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد رحمهما الله تعالى او بان يفدى الاسارى والعدول
عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين
والمديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء
لقوله عليه لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او لرجل
له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله
وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطير
والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الاية
اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في الفقراء وقرئ بالرفع على تلك
فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق
الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية
للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين
رضي الله تعالى عنهم جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا
وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمه على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج لا ايجاب قسمها عليهم
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه وسمي
بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او
اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل وروي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا
ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا

به بل من حيث يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة
ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن
اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم و
ترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن
خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم
فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله
احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او
لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك
ان كانوا مؤمنين صدقا ألم يعلموا انه ان الشأن وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله
يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير
ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله
ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز
ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل
على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول عليه بشيء وقيل انه خبر في معنى
الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر
ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من
مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين
مروا على رسول الله عليه في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور
الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم وقال قلتم كذا وكذا فقالوا
لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض الركب ليقصر بعضنا
على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم
بمن لا يصح الاستهزاء به والزام للحجة ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا

باعتذاركم

باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد
ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن
الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين
على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله تعالى
وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد
وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه
فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله تعالى يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد
كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله
ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه
دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع
والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين
او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم و
تمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير
فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين
باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في
تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم
في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم
الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا
بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض
واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤ
تفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من

جميل وقيل قريات المكذبين المتمردين وايتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر أتتهم رسلهم
يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم
الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة و
يؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور أولئك سيرحمهم الله
لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع إن الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم
يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من
اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التي
لم ترها عين ولا تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله
تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على
سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها
لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب
الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ثم
وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر
من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل
الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون و
ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك
قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل لكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي
الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا أيها
النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في
ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه
عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد
لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره





فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة
عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل
فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع
اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او باخراجه واخراج المؤمنين من
المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا او وما وجدوا
ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج
في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله عليه السلام اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله
بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك
خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للمتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي
ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي عليه السلام وقال ادع الله ان يرزقني
مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك
بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمي الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله عليه السلام فقيل
كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله عليه الصلوة والسلام مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب
الذي فيه الفرائض فقال عليه ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال هذا
عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله
تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله تعالى عنه فلما آتاهم من
فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في
قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم
يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه

بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه
فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد
الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على التفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه
في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاق ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او
تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع
او منصوبا وبدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين
في الصدقات روي انه عليه حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه باربعة
الاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله
عليه الصلوة والسلام بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت احدى امرأته
من نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل
الانصاري بصاع تمر فامر رسول الله صلى الله عليه ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا
ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب
ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح
وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم
على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم
استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله
ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي
وكان من المخلصين سأل رسول الله عليه الصلوة والسلام في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل
فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلوة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل
فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع
استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد
فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة
وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها
والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر
بالاقلاع من الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه

على عدم

على عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعين على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف
الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه
تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا
في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثروها بهذه المخالفة
لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار
الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما
يؤل اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويكون
الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم
فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين
او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد
تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة
انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على
تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم
لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل
على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما
مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم
ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم
ولانه كان مكافاة لالباسه العباس حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والا
ستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على
الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند
قبره للدفن او للزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت

ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق أنفسهم وهم كافرون ۝ تكرير للتأكيد والأمر حقيق به فإن
الأبصار طامحة إلى الأموال والأولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز أن يكون في هذه في فريق
غير الأول وإذا أنزلت سورة من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها أن آمنوا بالله بأن آمنوا ويجوز
أن المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين ۝ الذين قعدوا لعذر رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ۝ مع النساء
جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ۝ ما في الجهاد
وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا
معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم
وأولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة
وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة وأولئك هم المفلحون ۝
الفائزون بالمطالب أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ۝
بيان لما لهم من الخيرات الأخروية وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم يعني أسدا وغطفان
استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن
غزونا معك أغارت أعراب طيء على أهالينا ومواشينا والمعذر إما من عذر في الأمر إذا قصر فيه
موهما أن له عذرا ولا عذر له أو من اعتذر إذا مهد بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين
ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للإتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من
أعذر إذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على أنه من تعذر بمعنى
اعتذر وهو لحن إذ التاء لا يدغم في العين وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة
فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ۝ في غيرهم وهم منافقو الأعراب كذبوا الله ورسوله
في ادعاء الإيمان وإن كانوا هم الأولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم
من الأعراب أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب أليم ۝ بالقتل والنار
ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم
كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج إثم في التأخر إذا نصحوا لله ورسوله بالإيمان والطاعة في السر
والعلانية كما يفعل الموالي الناصح أو بما قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح

ما على المحسنين من سبيل

أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم
منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم ۝ لهم أو للمسيء فكيف للمحسن
ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم عطف على الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤون سبعة
من الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن كعب
وعلبة بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة
والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا أجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد و
النعمان وقيل أبو موسى وأصحابه قلت لا أجد ما أحملكم عليه حال من الكاف في أتوك بإضمار
قد تولوا جواب إذا وأعينهم تفيض من الدمع تسيل دمعا فإن من للبيان وهي مع
المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من تفيض دمعها لأنه يدل على أن العين صارت دمعا
حزنا نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل دل عليه ما قبله ألا يجدوا أي لئلا يجدوا متعلق
بحزنا أو بتفيض ما ينفقون ۝ في مغزاهم إنما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم أغنياء
واجدون للأهبة رضوا بأن يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر
وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف إيثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا
عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون ۝ يعتذرون إليكم في التخلف إذا رجعتم إليهم
من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لأنه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لأنه قد
نبأنا الله من أخباركم أعلمنا بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر
والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه
وكأنه استتابة وإمهال للتوبة ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة أي إليه فوضع
الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم
وأعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم إذا
انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم ولا توبخوهم إنهم رجس لا ينفع
فيهم التأنيب فإن المقصود منه التطهير بالحمل على الإنابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة
الإعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل فكأنه قال إنهم أرجاس من أهل النار
لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعنى أن النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا
عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون ۝ يجوز أن يكون مصدرا وأن يكون علة يحلفون لكم

الخوالف

لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين ۝ اي فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله
وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله تعالى فلا يهتك سترهم ولا
ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم
الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل
العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على
رسوله من الشرائع فرايضها وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله
ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من
الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون
عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر
اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرا ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله
سميع لما يقولون عند الانفاق عليم ۝ بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر
ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او
ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر
لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه
السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة
من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة و
الضمير لنفقتهم وقرا ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم و
السين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم ۝ لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم
والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار
اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين اسلموا حين قدم
عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان
اللاحقون بالسابقين من القبيلين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنياوية واعد لهم جنات



تجري تحتها الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم ۝ وممن حولكم اي وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون
وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن
حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه
قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها
وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا للبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم بانفسهم
وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا
سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان ثم يردون
الى عذاب عظيم ۝ الى عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
فقدم رسول الله عليه السلام فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسال عنهم فذكر له انهم
اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر
سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما
او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم و
هي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم ۝ يتجاوز عن التائب و
يتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا
التي خلفتنا فتصدق وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم
عن الذنوب او حب المال المؤدي الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم
بالامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم
بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم و
جمعها لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم
بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم و
الاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التخصيص عليهما ان الله هو يقبل التوبة عن عباده

اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ
شيئا ليودي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل
عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله
والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون
موخرون اي موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون
بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم
ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم
حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهولاء كعب بن مالك وهلال
بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك
اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على اخرون مرجون
او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ
نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد
قباء سالوا رسول الله ان ياتيهم فاتاهم فصلى عليهم فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا
مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتوه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى
نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك ابن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن
السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل و
اتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد
الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من
قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك
معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر بجنوده يحارب بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا
خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هولاء
بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله عليه السلام ان ياتيه فقال انا على



جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا
الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين و
الله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على
التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابي سعيد سالت رسول
الله عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن تعم الزمان والمكان
كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه
فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى
وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف
على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال صلى الله عليه وسلم امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها
فقال عمر رضي الله عنه انهم مؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضاء قالوا
نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند
الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون
ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة
محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار
على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه
الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيل
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة
الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظ عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته
التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم
ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه
واسس على الاضافة واسس وآساس واساس بالكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على
ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله
لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا

بناءهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر
عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم
فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء
من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة
ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ
يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء
للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم
واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله
الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان
الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل
عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت
في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال
وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم
يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح وجرا صفة للمؤمنين العابدون
اي الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون
الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات
او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على حقايق الملك والملكوت او السائحون للجهاد
او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف
عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود

الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها
وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن
ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء
الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك
وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة
الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى
فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام
مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن
لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
اي بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه
دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم اياه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن
مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه
وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن
تبرأ منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة
قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما
كان الله ليضل قوما ليسميهم ضلالا او ليؤاخذهم مؤاخذتهم
بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه و
كانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم
مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله
بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض
يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن
الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ منهم راسا بين لهم ان
الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا

بغراشيم اليه ويثيروا اعمالهم حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او براهم عن علقة
الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى
ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله توبوا الى الله جميعا
اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار
لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها
وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد
حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان التمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد
يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان
او ضمير القوم والعائد اليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب
غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد
وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم
رءوف رحيم وعلى الثلثة على الثلثة كعب بن مالك وهلال ابن امية ومرارة ابن الربيع
الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم
انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا
ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا
او انزل عليهم قبول التوبة ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى
ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم
المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين
في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم
فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي
ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكان له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه

الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح
والريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة
الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم لا يصيبهم ظمأ
شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا
لا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل
والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة
ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان
اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين
فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل
منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم
اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء
اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا
الفقاهة فيه ويتجشموا في تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم
ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل
على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم
ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون
منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية
طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد
اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل
في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة
طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان

الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي في الفرق
بعد الطوايف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوايف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا
اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب
احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم
فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا
على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا أن الله مع المتقين ۝ بالحراسة
والاعانة وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من المنافقين من يقول انكارا واستهزاء أيكم زادته
هذه السورة إيمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فأما الذين آمنوا فزادتهم
إيمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم
يستبشرون ۝ بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم وأما الذين في
قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا
وهم كافرون ۝ واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه أولا يرون يعني المنافقين وقرئ
بالتاء أنهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه
من الايات في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ثم لا ينتبهون ولا يتوبون من
نفاقهم ولا هم يذكرون ۝ ولا يعتبرون وإذا ما أنزلت سورة نظر
بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم
من أحد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان
يرهم احد وقفوا ثم انصرفوا من حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بأنهم بسبب انهم قوم لا يفقهون ۝ لسوء فهمهم او عدم تدبرهم
لقد جاءكم رسول من أنفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم
عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم
وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم ۝ قدم الابلغ منهما وهو الرءوف
لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فإن تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك
معرتهم ويعينك عليهم لا إله إلا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه

وهو رب

وهو رب العرش العظيم ۝ الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير
وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي عليه السلام ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا
حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

## رب يسر سورة يونس عليه السلام وهي مكية مائة وتسع آية وتمم بالخير

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

الر ۝ فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأ ورش بين اللفظين وامالها الباقون اجراء
للالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء تلك آيات الكتاب الحكيم ۝ اشارة الى ما تضمنته
السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه
كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها أكان للناس عجبا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة
وان اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم أن أوحينا إلى
رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم
بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال
وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث
بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام أن أنذر الناس ان هي المفسرة او هي المخففة من الثقيلة
فتكون في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي
ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به أن لهم قدم صدق
عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية
قال الكافرون إن هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين ۝ وقرأ ابن كثير و
الكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول
امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين إن ربكم الله الذي
خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر
يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها منه والتدبير

النظر في ادبار الامور لتجي محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله
ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي
الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من
ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه
المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره
فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر
مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم
او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي
الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم بالمقابلة للمبالغة في استحقاقهم
للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض
وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه
داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشوم افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما
كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده
قراءة من قرا انه يبدؤا بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او
بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء
كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القران على القلب
بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت
وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها
والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير
كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله
واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات
من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق
مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل



بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه
وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا
من الاخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها
او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون
فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع
بين الذهول عن الايات راسا والانهماك والشهوات بحيث لا يخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير
الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن
التامل في الاجل والاعداد له اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه
وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقايق كما قال عليه من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على سبب الهداية هو الايمان و
العمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة
والرديف له تجري من تحتهم الانهار استينافا او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى
الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي
دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اي اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم فيها سلام ما يحيي به
بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم واخر دعويهم واخر دعائهم ان الحمد لله
رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى
وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الافات والفوز باصناف
الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ
بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع
تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه
كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين
استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم

لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب بقضي على البناء وهو الله تعالى وقرئ بقضينا فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ۝ عطف على قول محذوف دل عليه
الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان
الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة
الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره
مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان كما قال شعر ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه
كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون ۝ من الانهماك في الشهوات
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا
حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج
الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا
وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى لهم وعلمه بانهم يموتون على
كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل
واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين ۝ نجزي كل مجرم او
نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم
خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من
يختبر لننظر كيف تعملون ۝ اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم
وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر
في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن
غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما
نكرهه من معائب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم
سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزمهم قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي
من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع
الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما تقدم فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف

فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان
القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف
ان عصيت ربي بالتبديل عذاب يوم عظيم ۝ وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب
بهذا الاقتراح قل لو شاء الله ما التبديل بل ما تلوته عليكم ولا ادراكم به
ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد اي ولو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا علمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري
وقرئ ولا ادراكم ولا ادراتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة
او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى
ان الامر بمشية الله لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك فقد لبثت فيكم عمرا
مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن
معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما
ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق كل
منظوم ومنثور واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى افلا تعقلون ۝
اي فلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم
انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ۝ ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي
ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم
كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة
ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما تشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه
بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم
بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف
مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات

فيما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون ۞ عن
اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به تعالى وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين
في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين
على الحق وذلك في عهد آدم عليه الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من
الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا
كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل
والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون ۞ باهلاك المبطل وابقاء المحق
ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله
هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها
فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين ۞ لما يفعل الله بكم بجحودكم
ما نزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد
ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل
قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله
ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل
على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو
من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ۞ تحقيق للانتقام
وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب
يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر
بالنون والشين من النشر في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين
بهم عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه تذكر لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم
بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب لاذا والضمير للفلك او للريح
الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل
مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به
العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة
الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه

لنكونن من الشاكرين ۞ على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم
اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجأوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير
الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم
وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفع على انه خبر
بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر
بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول
البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة
الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم
في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون ۞ بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها
العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما
يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت
من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على
الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا
ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من
اصله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين
للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل
به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف
وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه
من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ۞ فانهم المنتفعون
به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص
هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة

يهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس
التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على
الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة
تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم
لا يغشاهم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق ما يوجب ذلك من حزن وسوء
حال أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف
الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى
على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة
هي الفضل او التضعيف او كأنما اغشيت او أولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره
محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم
من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين
كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من
الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح
ان يكون مظلما صفة له او حالا منه أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية
في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم
الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا وقطعنا الوصل التي كانت بينهم
وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة
اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من

واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل
فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلوا من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع
عملها فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل
بها فعل المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب
بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض
وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه
مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا
يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم
من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد
منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض أمن يملك
السمع والابصار أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة
انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ
الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص
فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون
انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه
الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا
بعد الحق الا الضلال اي استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة
الله وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمت ربك اي كما حقت
الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن
عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد
الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده اجعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور
برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ
الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فأنى تؤفكون تصرفون عن قصد
السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر

وهدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء ويهدي باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على
سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله تعالى قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق
ان يتبع امن لا يهدي ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى
بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح
وعزير صلعم وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال
بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على
المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه
الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على
المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولم يرض بالتقليد
الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان
يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء
بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان
وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه
مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها
عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله
الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل
ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل
في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استينافا
من رب العالمين خبرا اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل
ولا ريب فيه اعتراض بالفعل المتعلق بها ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه
ومساق الاية بعد المنع من اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون
افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة
المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا

من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا من دون الله سوى الله تعالى فانه
وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما
لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه
او بما جهلوه ولم يحيطوا علما من ذكر البعث والجزاء وساير ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله
ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم
فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة
اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع
ما اخبر طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم
انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم
ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن
به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما
يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك
وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت
والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ
باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون
كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون
ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود
منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم
لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة
ولم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون
دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا
لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار
والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير

وهدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء ويهدي باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على
سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله تعالى قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق
ان يتبع امن لا يهدي ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى
بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح
وعزير صلعم وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال
بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على
المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه
الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على
المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد
الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان
يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء
بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان
وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه
مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا
عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله
الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل
ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل
في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا
من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل
ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه
ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون
افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة
المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا

من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه
وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما
لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشانه
او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله
ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولما ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم
فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة
اعجازه لما كرر عليهم التحدي فزاولوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع
ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم
انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم
ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن
به ويتوب من كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما
يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك
وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت
والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ
باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون
كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون
ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود
منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم
لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة
فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون
دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا
لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار
والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير

الاحق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم
وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون ۝ بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان
للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم
بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف
اسبابه وقرا حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كان لم
يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في القبور لهول ما يرون والجملة
التشبيه في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف
تقديره كان لم يلبثوا قبله او للمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم
يعرف بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر
عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم
يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا
من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين ۝ لطرق استعمال ما منحوا من
المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما
نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل
ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك
ثم الله شهيد على ما يفعلون ۝ مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها
على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول فاذا جاء
رسولهم يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه
بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون ۝ وقيل معناه لكل امة يوم
القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم
بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى
هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين ۝ خطاب للنبي والمؤمنين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه
او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم
فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ۝ لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا به فسيحين



وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتيكم عذابه اي الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات
واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون
اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني
والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه ويجوز ان يكون الجواب ماذا
كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع امنتم
به بمعنى ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول
حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع
العذاب الان امنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم
به تستعجلون ۝ تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا
عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ۝ من الكفر والمعاصي
ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله
بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله و
يستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا
والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي
وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى
نعم وهو من لوازم القسم ولذلك توصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما
انتم بمعجزين ۝ فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي
على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من
القول افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم
يحتسبوا من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان
اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها
من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ۝ ليس تكريرا لان الاول
قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين او الحكومة بين الظالمين والمظلومين
والضمير انما تناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى

على الاثابة والعقاب ألا إن وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن
أكثرهم لا يعلمون لأنهم لا يعلمون لقصور عقلهم إلا الظاهر من الحيوة الدنيا هو يحيي
ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لأن القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات
للحيوة والموت قابلة لهما أبدا وإليه ترجعون بالموت أو النشور يا أيها الناس قد
جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة
عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهداية إلى
الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان
وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم
قل بفضل الله وبرحمته بإنزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الإجمال وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو
بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك إشارة إلى مصدره أي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه
قيل إن فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا أو للربط بما قبلها والدلالة على أن مجيء الكتاب الجامع بين هذه
الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب
فلتفرحوا بالتاء على الأصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده أنه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون
من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح
المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق
جعل الرزق منزلا لأنه مقدر في السماء محصل بأسباب منها وما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم
فإنه بمعنى أخبروني ولكم دل على أن المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه
حراما وحلالا مثل هذه أنعام وحرث حجر وما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على
أزواجنا قل آلله أذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه أم على الله تفترون
في نسبة ذلك إليه ويجوز أن يكون المنفصلة متصلة بأرأيتم وقل مكرر للتأكيد وأن يكون
الاستفهام للإنكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب أي شيء ظنهم يوم القيامة أيحسبون أن لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل



عليه أنه قرئ بلفظ الماضي لأنه كائن وفي إبهام الوعيد تهديد عظيم إن الله لذو فضل على الناس
حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتاب ولكن أكثرهم لا يشكرون
هذه النعمة وما تكون في شأن ولا تكون في أمر وأصله الهمز من شأنت شأنه إذا قصدت قصده
والضمير في وما تتلو منه له لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول أو لأن القرآن يكون لشأن
فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو من قرآن على أن من تبعيضية أو مزيدة لتأكيد النفي
أو للقرآن وإضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له أو لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه
بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير
إلا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه إذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة
موازن نملة صغيرة أو هباء في الأرض ولا في السماء أي في الوجود والإمكان فإن العامة لا تعرف
ممكنا غيرهما ليس فيهما أو لا متعلقا بهما وتقديم الأرض لأن الكلام في حال أهلها والمقصود منه
هو البرهان على إحاطة علمه بها ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين
كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية وأصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على
الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله
مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ألا إن أولياء الله الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول
والآية مجملة فسرها قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة
وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة إياهم مسلمين
مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح
أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا
إخلاف لمواعيده ذلك إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي
قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله
ولا يحزنك قولهم إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من أحزنه وكلاهما
بمعنى إن العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن

بقولهم ولا ينالهم لان العزة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو
السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة
والثقلين واذا كان هولاء الذين هم اشراف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل
منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله
اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون و
مفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي يتبعون يقينا وانما يتبعون
ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من و
قرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي
انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان
سندهم ومنشائهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون و
يقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة
وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه
تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو
الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير
لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا
لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا
سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل
قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل
ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون متاع في الدنيا
لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع
في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم
تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد

بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان
فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري بايات الله فعلى الله
توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم
ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف
على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصدي
والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله مبالاته اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل
مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء
اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون
فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم
اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له
بكم يثيبني به امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا
اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم
ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في
الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول
وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه
فجاءوهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم
ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب
تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب
المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المالوف وفي امثال ذلك دليل على ان
الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد عرفت تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هولاء الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع
فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا

بمساويهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوا بتظاهر المعجزات القاهرة المزيلة
للشك قالوا من فرط تمردهم إن هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فايق في فنه واضح فيما
بين اخوانه قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله
عليه ولا يجوز ان يكون أسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان
يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق
اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا
يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل
سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل
اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض
الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم
حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون فلما ألقوا قال موسى
ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر
على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده
تقديره اي شيء اتيتم إن الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه إن الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته
بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره
إلا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون
الا طايفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طايفة من شبانهم آمنوا او مؤمن
آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملئهم اي مع خوف منهم
والضمير لفرعون وجمع على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما
يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم أن يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او
مفعول خوف وافراده بالدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وإن فرعون لعال
في الارض لغالب فيها وإنه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء



وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم
بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه
لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا
مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم
اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم
وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته
وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او
يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد
متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها وأقيموا الصلاة فيها امروا بذلك
اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة
في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس
القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد
لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة
ما يتزين به من اللباس والمركب ونحوهما وأموالا في الحياة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا
عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره
كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان
ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال
فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكرارا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس
بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الأليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء
معترض قال قد أجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون لانه كان يؤمن فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلوا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته
روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال

او لعدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعانّ بالنون الخفيفة وكسرها
لالتقاء الساكنين ولا تتبعانّ من تبع ولا تتبعان وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوّزناهم في البحر
حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعّل المراد فالفاعل كضعّف وضاعف
فاتبعهم فادركهم لقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او
للبغي والعدو وقرئ وعدوّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي
آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار
القول والاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل
آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة
عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع
فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ
يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال
اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من
ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه
كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان في
نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى
ان عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن
شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان من عظم الشان و
كبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر
الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة
في امرك وذلك دليل على كمال علمه وقدرته وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور و
ان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأ
نا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم
من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا
التورية وعلموا احكامها او في امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته
وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

يميز

يميز الحق من الباطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص
على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم
ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة
وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الله تعالى
اليه عليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام
لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي والمراد بامته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك
مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع
الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات
القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج و
التثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم
ثبتت عليهم كلمت ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون
اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم
وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم
كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها
آمنت من معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله
منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس عليه السلام لما آمنوا
اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في
الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون
الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية
فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين اي
اجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم
بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنى الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد
فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح
وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فخر

بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى
الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في
الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو
دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد
بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين
وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل
للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض
عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله
وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك
في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر
ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او
لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا
ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت
استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل
ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من
قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا
هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف
دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية
الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك
ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل
من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننجي مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم
في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله
الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف و
انظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد



خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من
المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون
من المطرد مع ان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك
للدين حنيفا عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض
لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك
سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض
والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا
تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فانك اذا من الظالمين جزاء
للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به
فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد لفضله الذي اراده
به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات
وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل
بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به
بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا
من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن
ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه
لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على
الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والله

رب يسر سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث او وتمم بالخير

عشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر ● مبتدأ او خبر كتاب خبره او خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها
منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها
مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ
والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت
اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم
او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير ● صفة اخرى لكتاب او خبر او صلة لاحكمت وفصلت
وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ألا تعبدوا الا الله
لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ
للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري من عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه
او اتركوها انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد
وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة
فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة
ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى
اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان
كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله
ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين
وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير ● يوم القيامة وقيل يوم الشدائد
وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم
في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير ● فيقدر على تعذيبهم اشد
عذاب فكانه تقرير لكبر اليوم ألا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه
او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه السلام او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من
اثنوني وهو بناء مبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسرهم

فلا يطلع

فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا
واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد عليه كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين
وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ألا حين يستغشون ثيابهم الا حين
ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون ● بافواههم
يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور
بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله
وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت
بعد بالقوة كل واحد واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين ● مذكور في اللوح المحفوظ
وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات
باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات
والارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل
خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء
اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم
ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم
كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل
وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى
العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل
لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احسن المحاسن والتحضيض على الترقي
دائما في مراتب العلم ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عليه السلام ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت
انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ●
ايماء البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة

والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القايل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت
او ان يكون ان بمعنى علّ اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره
لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة
الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم
كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه
وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا
ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزءون ⊙ اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع
يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا
رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه
ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته بالله كفور ⊙ مبالغ في كفران ما
سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف
الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر
بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظة الاذاقة والمس تنبيه
على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران
والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا
بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة
لذنوبهم واجر كبير ⊙ اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فانه
كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين
مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون
ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا وضائق به صدرك
وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان
يقولوا انما انت نذير ⊙ ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما لك
يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل ⊙ فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم

جزء اقترحوه وانهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحي قل فاتوا بعشر سور مثله
مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة
وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند
نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار
وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة
ان كنتم صادقين ⊙ انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتموهم اليه و
جمع الضمير اما لتعظيم الرسول واما لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا
لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل والتنبيه على ان التحدي مما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله
ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه
العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه
باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله فهل انتم مسلمون ⊙ ثابتون على
الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا
للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم
وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله فانه منزل من عنده
وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي
مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال
العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل
اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء
اي يوف الله وقرئ توف على البناء للمفعول وتوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان
اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون ⊙ لا ينقصون شيئا من
اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس
لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة
وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة او لم يكن
لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعلق الظرف بصنعوا

ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من
الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا
من فيّ زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق
والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة للانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على
الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى من ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة
الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك
البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن
قبل القرآن كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من
التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول عليه على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه
والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب
عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم
لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر
به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية
منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله
او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا او يعرض اعمالهم ويقول الاشهاد
من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم لظلمهم بالكذب على الله
الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق
والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون
بالآخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين اي ما كانوا معجزين
الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم
الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون

يؤمنون

في الارض

لتعاميهم

لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة
بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله
يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة
بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا و
ضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق لهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه
وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع ويجوز ان يراد به
تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله تعالى وبالاصم لتصامه عن كلام الله تأبيه عن تدبر
معانيه وتشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف
لعطف الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآئب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان
هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل
فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر
على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا
الا الله بدل من اني لكم او مفعول لمبين ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا
او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب ولكن
يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل
الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو واول الرأي من
البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف
على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك
او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم
منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق
المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب

فعميت عليكم

الخاطب على القايسين قال يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة من ربي حجة شاهدة
بصحة دعوى وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة في نفسها هي الرحمة أو لأن خفاءها
توجب خفاء النبوة أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحدة
منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت أي أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله أنلزمكموها
أنكرهكم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع
ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم
لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا إن أجري إلا على الله
فإنه المأمول منه وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم إنهم
ملاقو ربهم فيخاصمون طاردهم عنده أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم
ولكني أراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو في التماس طردهم أو تتسفهون
عليهم بأن تدعوهم أراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه إن طردتهم وهم
بتلك الصفة والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب
ولا أقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي ولا أعلم الغيب عطف
على عندي خزائن الله أي ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا أو حتى أعلم أن
هؤلاء اتبعوني في بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ولا
أقول إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أقول للذين تزدري أعينكم
ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فإن ما أعده الله لهم في الآخرة
خير مما آتاكم في الدنيا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا
من ذلك والازدراء به افتعال من زرى عليه إذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء في الجهر وإسناده
إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة
حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت
جدالنا فأطلته أو أتيت بأنواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين
في الدعوى والوعيد فإن مناظرتك لا تؤثر فينا قال إنما يأتيكم به الله إن شاء عاجلا
أو آجلا وما أنتم بمعجزين بدفع العذاب أو الهرب منه ولا ينفعكم نصحي إن أردت
أن أنصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله إن كان الله يريد أن يغويكم

دعتير

وتقدير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك
نقول لو قال الرجل أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق
وهو جواب لما أوهموا من أن جداله كلام بلا طائل وهو دليل على أن إرادة الله يصح تعلقها بالإغواء
وأن خلاف مراده محال وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك
هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته وإليه ترجعون فيجازيكم على أعمالكم
أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وباله وقرئ أجرامي على الجمع
وأنا بريء مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن
من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أقنطه الله من إيمانهم ونهاه أن
يغتم بما فعلوه من التكذيب والإيذاء واصنع الفلك بأعيننا ملتبسا بأعيننا عبر بكثرة آلة
الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق
التمثيل ووحينا إليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا
تدعني باستدفاع العذاب عنهم إنهم مغرقون محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلى كفه
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا
به لعمله السفينة فإنه كان يعملها في برية بعيدة من الماء أوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون
له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون إذا أخذكم الغرق
في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه يعني به إياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل أو يحل عليه حلول الدين
الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى إذا جاء أمرنا غاية لقوله
ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور
نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة و
كان في الكوفة في موضع مسجدها أو في الهند أو بعين وردة من أرض الجزيرة وقيل التنور
وجه الأرض أو أشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من
الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وأنثى هذا على قراءة حفص والباقون أضافوا
على معنى احمل اثنين من كل زوجين أي من كل صنف ذكر وصنف أنثى وأهلك عطف
على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم إلا من سبق عليه القول بأنه من المغرقين

يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه
الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث
ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من
الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في
اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها
وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا
حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على
ان المجرى والمرسى للوقت والمكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم و
انتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر
اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او
حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو
قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وحفص
مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ
الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم
وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها
في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها
كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري
في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل
التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه
وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد
بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في
معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب
معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن
كثير فانه وقف عليها في لقمن في موضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم
فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر



المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين
في الدين او الاعتزال قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال
لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من
رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا
معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله عيشة راضية وقيل
الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل
فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما
بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثاله مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه
والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك
الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام
وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار
سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث
لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها
وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول
دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان
مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه اراد ذلك بدليل عطف قوله
فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه
الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون النداء قبل غرقه
وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله
انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات
العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار
ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا
من اهله منهم وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به

علم ما تعلم اصواب هو ام ليس وانما سمي نداؤه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في
شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان
تكون من الجاهلين ۝ لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال و
اغناه عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون
الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما بكسر النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع
النونات وكسرة الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية ورش اثباتها في الوصل
قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي
وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين ۝
اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك
وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم و
بركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب
الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم
في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم ۝ في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم
قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع
بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبران والضمير لها اي موحاة اليك او
حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها
او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلم اذ لم يخالط غيرهم
وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان
العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين ۝ عن الشرك والمعاصي والى عاد
اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده
ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون ۝ على الله باتخاذ
الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على
الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيصا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة
بالمطامع افلا تعقلون ۝ افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطاء



ويقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا
التبرؤ من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر
ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا
اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه
على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه
مجرمين ۝ مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك
وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم
عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين ۝ اقناط
له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه
يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي
وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا
لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في هلاكه
من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم
يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع ولا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا
من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا
الكلام ليس الا لثقته بالله تعالى وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله
اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى وانكم وان بذلتم غاية وسعكم لن
تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون
على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو
مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط
مستقيم ۝ اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا
فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام
الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما

ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلككم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف
على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل وان تولوا يعذرني ويستخلف ولا
تضرونه شيئا بتوليكم من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل
شيء حفيظ ○ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه
فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا
معه برحمة منا وكانوا اربعة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ ○ تكرير لبيان ما
نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فيقطع اعضاءهم او المراد
به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون
في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم
وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما
عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد ○ يعني كبراءهم الطاغين
وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة
تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا به فحذف الجار
الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد بالدعاء عليهم بعد الهلاك الدلالة على انهم كانوا
مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على
الاعتبار بحالهم قوم هود ○ عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم من عاد الثانية عاد ارم والايماء
الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق
آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم
من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها
منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم
فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب ○ لداعيه قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا
ومستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك

انتهينا

اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من
التوحيد والتبري عن الاوثان مريب ○ موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد
المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف
الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله من يمنعني من عذابه
ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي
غير تخسير ○ غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما
تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على
الحال من ناقة وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل
في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب
عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء اليسير وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا
في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة
ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب ○ اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى
المفعول به كقوله يوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له اني
بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما
جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي
ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع
يومئذ بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز
القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا
ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو
وفي قوله الا بعدا لثمود ○ ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم
يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة
الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى
ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من
تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح

فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار
مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته
بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس
منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس
الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد ايدينا اليه لانا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع
محاورتهم او على رؤسهم للخدمة مستورة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد
او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا
القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم يعد حقا ثديها ان يحلما
ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق
يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام ووهبنا لها من وراء
اسحاق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحاق او على لفظ اسحاق وفتحته للجر فانه غير
منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره
الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى
هذا يكون اضافته الى اسحاق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه
نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا
بهما وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة
على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد
وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة
او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر
محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد
من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار
اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق
بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح



او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد
مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن
به قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في
شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او
لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا
او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على
الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع
الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته يا ابراهيم
على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك
قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود
مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم
لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم
وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه
والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون
اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها
مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن
وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع
طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من
ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية
وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا
كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك
هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم
ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء ... منكم

في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه أليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي
عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وإنك لتعلم ما نريد وهو اتيان
الذكران قال لو أن لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم أو آوي إلى ركن شديد
الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا
كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب
لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا
فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا
إليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم فضرب جبرئيل بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فأسر بأهلك بالقطع
من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه
ولا يلتفت منكم أحد ولا يتخلف او ولا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط
إلا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل
الا امرأتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب
ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين
في انه خلفها مع قومها واخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها
لان القواطع لا يصح حملها على المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله لا يلتفت مثله في
قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على الوجه الغير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها
بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله تعالى إنه
مصيبها ما أصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع إن موعدهم الصبح كانه علة
الامر بالاسراء أليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء أمرنا
عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب
لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه تعالى من حيث انه المسبب تعظيما للامر
فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديك ثم قلبها عليهم وأمطرنا عليها على المدن او شذاذها حجارة من سجيل من طين

بحج

متحجر لقوله تعالى حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته
والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل
اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معد لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع
بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة
ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما
هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه
الصلوة والسلام انه سال جبرئيل فقال يعني ظالمي منهم الا وهو بعرض حجر يسقط من ساعة الى ساعة وقيل
الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على
تاويل الحجر او المكان وإلى مدين أخاهم شعيبا اراد اولاد مدين ابن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين
وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل
المنهك للتعارض إني أراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا
على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهي في الجملة علة
للنهي وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره
والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله
عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه
لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها
بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير
مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس أشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان
يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق
وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع
الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه وقيل معناه ولا
تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقيت الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد
التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف إن كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا
فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي

والميزان

لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي
تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ ○ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم
فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله
لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله
لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب
كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى
اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل
في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما
على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم
عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد ○ تهكموا به
وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم و
الرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من
ربي اشارة الى ما اتاه الله تع من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه
الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه فاخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا
عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد
مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد
به فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد
الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما
انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل
يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق
النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما
مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح

ما استطعته

ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته
ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب
اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب
التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذره من الاستعانة في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره و
حسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله
للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم
نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي
جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي
الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى
المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم
ببعيد ○ زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر
والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد
ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصدر كالصهيل والشهيق ○
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود
فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد
الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة
البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة
بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا ○
لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عزة لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته
يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق
بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط
من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة او باصعب وجه وما
انت علينا بعزيز ○ فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب
والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم من ايذائه

عز قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه
كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي
وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب
ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني
عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف
تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب سائل
قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له
كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب
والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما
كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم
رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء
امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه
ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط عليهما السلام فانه ذكر بعد الوعد وذلك
قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا
الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم
في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم
لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم
وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر
لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان
مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحدا اي
ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها
فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان
يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر
بموسى او فما اتبعوا الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك
في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل



لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض
وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى
تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها
موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد
الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد
فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مامون
العاقبة حميدها واتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلعنون يوم القيامة
بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى
غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبا
من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق
كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل
حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا
انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع
عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه
ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ
ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي
اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها
لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه
او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد
والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله تعالى من قصصهم لاية
لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعده الله تعالى للمجرمين
في الاخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان
من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية
اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه
يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من

شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه
من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه
باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل فان ساير الايام
كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف
المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأت الجزاء او اليوم كقوله ان
تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة بان بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب
او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن
الله لقوله ولا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون في موقف اخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة
فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير
لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا
ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق
واخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه
روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات
والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع
دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط
لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما
كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل
عليها قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه
نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانه يعرفه بما يدل على دوام الثواب
والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم
فساق الموحدين يخرجون منها وذلك في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله
عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدأ
معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد



سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه
ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث يكون التقسيم لانفصال
حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا
يخلو من السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار
ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة
كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم
في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا
والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من
الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك
علي الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء
السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير
مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد بالاستثناء في الثواب
ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتابيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا
على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال
من الجنة فلا تك في مرية شك بعدما انزل اليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء
المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من
حال ما يعبدونه في انه لا يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف
معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة ابائهم
او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله
لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة
قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب
عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته
حقه وتريد وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر

بقومهم كما اختلف هولاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة
لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران
مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف
اليه وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم
اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات
فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله
اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا
يفوت عنه شيء وان خفي عنكم فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب
في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة
في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من
تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت
للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلوة والسلام شيبتني سورة هود ومن
تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم
يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير
وهو مجازيكم وهي في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير
تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان لقوله تعالى كما امرت ولا تركنوا الى الذين ظلموا
ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته
فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك
بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه
ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول عليه السلام ومن
معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي
افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة
بني تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار

يمنعون

يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه
ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم
ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان قرر لا يقدر
على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف
لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع
وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوة وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان
ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر
وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث
ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي
عليه السلام فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم اسمها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم
فما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على الم
ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان
فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية
لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز
ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه
قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض
الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله
اذ يجعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه
من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين
كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم
واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه
الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض
وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به الشهوة ويعضده
تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فيما بينهم لا

بشرك

يضمون الى الشرك فسادا او تباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ثم قدم الفقهاء
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد
الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على
الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا
على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف
واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من
احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا
او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات
نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع
من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة
او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى
سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا
عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل
على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية فيهما واليه يرجع
الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع فاعبده وتوكل عليه فانه
كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون
انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر النمل عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح
ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء انشاء الله تعالى

## سورة يوسف مكية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب اي
تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من
عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب
من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا
لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو
اما توطية للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من
الضمير فيه او حال بعد حال وفي ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة
اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان
اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن
القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على
العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا
تبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص
على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه
القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او
منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على
الابدال لانه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجميته لابيه
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعنه عليه الصلوة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة
ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها
وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما
جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض منه وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء
المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم
فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله
هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل

فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان و
الفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلت من
السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استيناف
لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني
تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام
من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية
غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة
من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب
عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم
ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة
المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا
احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد
بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم
وحواء فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك
بمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام و
الاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو
يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس
او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم
جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها
على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه
بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان
ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء كما ينبغي لقد كان في
يوسف واخوته اي في قصتهم آيات للسائلين دلائل قدرة الله تعالى وحكمته او علامات



نبوتك لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة من ابنة خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت
له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر
من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه
بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه و
المذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا
جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا
بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل
في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له
المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله
اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وانما قاله شمعون او دان ورضي به
الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهي معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصب
كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم
ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار
ان من بعده بعد يوسف والفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله
عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه
ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا او كان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل
لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابت الجب في قعره سمي به لغيبوبته عن عين الناظر
وقرأ نافع في غيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض
ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا
ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له
الخير اراد به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام
وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا
الى الصحراء يرتع يتسع في اكل الفواكه ونحوها ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بالنون

على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون
على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على
الابتداء وانا له لحافظون ● ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته
علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذابة وقيل راى في المنام ان
الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية البزي وابو
عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا والباقون بترك الهمزة واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت
من كل جهة وانتم عنه غافلون ● لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ● ضعفاء
مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن
او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا
من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل
يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق
بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا
علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ
نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل
بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبعة عشر وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي
الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه
فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحق واسحق الى يعقوب
فجعله في تميمة علقها بيوسف واخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا
بك وهم لا يشعرون ● انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير
للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي انسناهم
بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى

والقصر

والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون ● متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم
واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال
والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن
لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ● لسوء ظنك وفرط محبتك ليوسف وجاءوا على
قميصه بدم كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب
على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكذب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله
البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع
النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه
لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم
القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال
بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء
فصبر جميل فامري صبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والله
المستعان على ما تصفون ● على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل
استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان
ذلك بعد ثلث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن
ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا
غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعال فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له فناداه
ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وامال الفتحة حمزة والكسائي وقرأ ورش
بالراء بين اللفظين وقرئ يا بشري وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه
اصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة
يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فاخبر اخوته فاتوا الرفقة
فقالوا هذا غلام لنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال
اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون
لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفيه مرجع الضمير الوجهان
او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة

قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين
وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين ۝ الراغبين عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر
وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف
من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان
جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا
يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته وهو العزيز الذي كان على خزائن
مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات
في حيوته وقيل كان فرعون موسى وعاش اربعمائة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه
العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان وهو ابن ثلث
وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل
عشرين دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملأه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل
او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا
واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد و
لذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وبنت شعيب قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر
وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله
او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تأويل الاحاديث عطف على مضمر
تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر
امور الناس ويعلم معاني كتب الله تعالى واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة عن الحوادث
الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل والله غالب على امره لا يرده شيء ولا
ينازعه احد فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراد الله ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ۝ ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى
اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ
الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تأويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين ۝ تنبيه على انه تعالى اتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان



امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء
وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او المبالغة
وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام
للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء
كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته
قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن
تعهدي او قال اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خلقني واحسن منزلتي
بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون ۝ المجازون الحسن بالسيء وقيل
الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها
والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل
الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح
والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو
لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة
ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير
وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا
المخلصين ۝ الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالكسر في كل القرآن
اذا كان في اوله الالف واللام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار
او ضمن الفعل معنى الابتداء وذلك ان يوسف عليه السلام فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا
والفيا سيدها لدى الباب وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ۝ ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره عليه
واغراءه بالانتقام منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن
نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه

لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي عليه السلام
تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على
لسان اهلها لتكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته
فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او ان فعل الشهادة من القول وتسميتها
شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان
احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني
السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين
للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما
جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها
ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب
واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف
منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك
يا راعيل انك كنت من الخاطئين من المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب
وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله من التاء وضم
النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة
الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه
تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة
قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لنقل
الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين
في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه
كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن
تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد واتت
كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن

من نفوسهن

من نفوسهن فتقع سكينهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج
على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام
والشراب تترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ
طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة
كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت
اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن
حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على
حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت
حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن
حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو
في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبرئة في باب الاستثناء فوضع
موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا
لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير
يوسف اي صار في ناحية مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على
لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد
مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة
البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن
الذي لمتنني فيه اي فذلك الملك الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه
حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع
هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة اقرت
لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما امر به
فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا
من الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم
صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف

وذلك في الحقيقة تشبيهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما
يدعونني اليه اي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس
وذلك مما يكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها
او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن بقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله العافية
ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف
عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن
او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها
وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما
يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب
له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى
وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين
اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله
من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن
واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها و
حملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ
بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن
فتيان اي ادخل يوسف واتفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما
يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر
خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تأكل
الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا
او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله
اي بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام يعني بماهيته وكيفيته فانه تشبه تفسير المشكل كأنه اراد
ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالاه كما هو طريقة الانبياء
والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب

ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام و
الوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم
كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم
واسحاق ويعقوب عطف على تعليل او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى
رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف
فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر
الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي
وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث عليهم
لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب
الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة
ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق
الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد القهار
المتوحد بالالوهية الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما
ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من
سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم
لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة
ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها
بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا
الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا
من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريقة الخطابة
ثم برهن على ان ما تسمونها آلهة وتعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل
غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي
السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان
عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتأكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر

الذي فيه تستفتيان ۝ اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك
وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج
منهما الظان يوسف ان ذكره ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يأول الظن باليقين
اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان
يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى
استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في
السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا
يليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين ۝ البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع
وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه راى الملك
في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز
دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني
في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ۝ ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال
من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة
اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي
باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة
الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع
من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين ۝
يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات
الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو
الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة
بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة



معترضة ومعمول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون ۝ اي الى من عنده علمه او الى
السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاءه وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق
وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا
في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في تاويل رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان
السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون ۝ تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما
لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين
دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون
دابا ويكون الجملة حالا وقرأ حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب في العمل وقيل تزرعون
امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على
الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون ۝ في تلك السنين ثم ياتي من بعد
ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن
على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون ۝ تحرزون لبذور الزراعة ثم
ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث
وفيه يعصرون ۝ ما يعصر من العنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ
حمزة والكسائي على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون
المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع
الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع
في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او
بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه
الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته و
يعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في
نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي عليه السلام لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة

وانما قال سله ما بال النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم
يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بالضم النون إن ربي بكيدهن
عليم ۝ حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف
به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه
صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجيب من قدرته على خلق عفيف مثله
ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت استقر من حصحص
البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره
اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك
التثبت ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب
عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وأن الله لا يهدي
كيد الخائنين ۝ لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد
مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ
نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله تعالى
عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له
جبريل ولا حين هممت فقال ذلك إن النفس لأمارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها في كل الاوقات إلا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه
الله تعالى من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف
الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على
قلب الهمزة واوا ثم الادغام إن ربي غفور رحيم ۝ يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر
للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحم ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به
أستخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد و
الذكاء قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين ۝ مؤتمن على كل شيء روي انه لما
خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك من خيره
واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان فقال لسان آبائي و



وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي
منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه
امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولد له
منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الأرض ولني امرها والارض ارض مصر إني حفيظ
لها ممن لا يستحقها عليم ۝ بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعملني في
امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد
لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار
به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ارض مصر يتبوأ منها
حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا
من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع أجر المحسنين ۝ بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولـ
أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ۝ الشرك والفواحش لعظمه و
دوامه وجاء إخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات
وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس
اليه فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب
ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك
فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه
السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ۝ عرفهم يوسف
ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك و
بعد حاله التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام
ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم باحمالهم والجهاز ما يعد من الامتعة
للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر
قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم روي انه لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا
معاذ الله انما نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب عليه السلام قال كم
انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين
الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا

قال فادعوا بعضكم عندي رهينة واتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون
وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه
به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين ● للضيف والمضيفين لهم
وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ●
اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه
سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ● ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين
جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك
توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما
يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا
اوعيتهم لعلهم يرجعون ● لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده
الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون ● عن ان يناله مكروه قال هل
آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله
خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين ● فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي
مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمل الحال والتمييز
لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ
ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد
على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي
في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء
هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله
ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك
ونحفظ اخانا من المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير اوسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا
كانت ما استفهامية واما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي
فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير ● اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم

حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل

فارادوا

فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة
الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب عليه
السلام ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت
حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا موكدا بذكر الله تعالى
لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلن
تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على
كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه
موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل ● رقيب مطلع وقال
يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر
بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان تدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم
بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار
منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة
من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما
اشرت به عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا
ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ● جمع بين الحرفين في عطف الجملة على
الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب
لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي
يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه الله تعالى عليهم كما قال يعقوب عليه السلام
الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم
وحرازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج
ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ● سر القدر
وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل
روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي
فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده

فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا
راحيل قال اني انا اخوك فلا تعلمهم بما اعلمتك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما
كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل
كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت يسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل
من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى
مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعنيه السقاية والنداء عليها برضاء
بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه اما انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم
الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل
جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا
واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف
مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع
بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له
وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل
قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم
للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا
او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم
كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد
في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه السلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او جواب
والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر ان على اقامة الظاهر فيها
مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ
باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم
استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها
همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه

جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ
باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم
استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها

الا ان يشاء الله الا ان يجعل ذلك الحكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل
ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان
فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى
ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص
قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها
بنيامين
منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة
على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل
كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكتفاها في نفسه ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة
او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا
فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء
الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله
اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا
كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه
بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا
وان مراده ان الله تعالى اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت
غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء
للمبالغة وعن البزي استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همز واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على
الياء على اصله خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل
هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون
وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا فانما جعل

للمبالغة وعن البزي استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همز واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على
الياء على اصله خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل
هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون

فصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا
ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء
والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولة
اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض
مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي او يقضي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة
معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة
تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو
يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من
بزر يعقوب وهو خير الحاكمين ۝ لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا
الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من وعايه وما كنا للغيب لباطن الحال
حافظين ۝ فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين
فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسال القرية
التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسالهم
عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون
تاكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت
اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق
يوخذ بسرقته فصبر جميل فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف
وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم ۝ في تدبيرها
وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفا تعالى فهذا
اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من يا المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه
والحادث رزؤهما لان رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع قلبه ولانه كان
واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة
الا امة محمد عليه الصلوة والسلام الا ترى الى يعقوب عليه السلام حين اصابه ما اصاب لم يسترجع
وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء



عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى
رسول الله عليه السلام على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا
عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم ۝ مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل
بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل والكاظمين الغيظ
اذا اجترع واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا
تزال تذكره تفجعا عليه لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم
اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك و
قيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يونث ولا يجمع والنعت بالكسر
كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين ۝ من الميتين قال انما
اشكوا بثي وحزني هم الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم
فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من
الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون ۝ من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام فساله عنه
فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تياسوا
من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ۝ بالله وصفاته فان العارف
يقنط من رحمته في شي من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر
رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع
رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان وقيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا
وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل
وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان
حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه وعليهم الصلوة والسلام ان الله يجزي
المتصدقين ۝ احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر
هذه صدقة تصدق الله عليكم بها فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده

عن يوسف واذلاله حتى كان لايستطيع ان يكلمهم الابعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك
اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من
عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له
ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال
او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان ود
خول اللام عليه وقرا ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل
رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها قال
انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من
الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات
او عن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه
على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن
الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا
معك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش والامعاء
كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر
للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله
يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر و
الكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة
والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي
بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت
في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي
كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع
بصيرا اي ذا بصر واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم
ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون
تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها



ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره
والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه
بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا
عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة
يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا من روح الله او اني لاجد ريح
يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه
ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف
او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما
يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد
اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان
ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز
اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين
رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى
الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة
الاب في قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها
بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف
المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد
حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان
عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع
مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من
قبل رايتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن
ولم يذكر الجب تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي
واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض

الدابة اذا تحملها وحماها على الجري إن ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا
وينفذ فيه مشيته ويتسهل دونها إنه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي
يفعل كل شيء في وقت على وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه
فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اعقلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل
قال امرني جبرئيل عليه السلام الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب فقال تعالى فهلا خفتني
رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الأحاديث الكتب
او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والأرض مبدعهما وانتصابه
على انه صفة المنادي او منادى براسه أنت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي
يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني مسلما وألحقني بالصالحين من آبائي او بعامة
الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى
ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت
نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال
فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا
شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم
وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب
فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران له و
ما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا
غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة
الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا
سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا وما أكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات
عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من أجر
جعل كما يفعله حملة الاخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية
والمعنى وكاي عدة شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات
والأرض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا

يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون عليها فيكون لها الضمير في عليها و
بالنصب على ويطؤون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة
وما يؤمن أكثرهم بالله في اقراره بوجوده وخالقيته إلا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ
الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل
الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله
عقوبة تغشيهم او تشملهم أو تأتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر
بقوله أدعو إلى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء أنا تاكيد المستتر
في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله
وما أنا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا
رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي إليهم كما يوحي اليك ويميزوا
بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء وحمزة و
الكسائي بياء ها على اصلها من أهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو أفلم يسيروا في
الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا
تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة
او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي أفلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا
انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون
حتى إذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم
امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من
غير وازع وظنوا أنهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد
الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني
للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في
القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين
بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل
اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي

من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم
فيه غيرهم وقرأ ابن عامر ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجي بالتشديد ولا يرد
بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء
واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف
والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق الذي
بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من
القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون
يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها و
علمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى اياتها اي
تلك الايات ايات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر
بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق
والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل
صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة و
الخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها
صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان
ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون
بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات
ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة
على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره
او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته



من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل
واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال القدرة فتعلموا ان
من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها
طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من
رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال
وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها
زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود و
الابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ
حمزة والكسائي وابو بكر بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها
وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض
قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح
للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك
لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية
من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين
فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات
مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع
الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص من قادر مختار وقرأ ابن
عامر وعاصم ويسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم
البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر
شيء عليه والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل
على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد بدل من قولهم
او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه أإنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا

بقدرته على البعث وأولئك الأغلال في أعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم
القيامة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص
الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا
ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة
العقوبة لانها مثل المعاقب والمعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته
منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات
بضم الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم
ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس
على ظلم ومن منع ذلك خصص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال
وإن ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله و
تجاوزه لما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا أنزل
عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى
عليهما السلام إنما أنت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب
عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من
يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره
تنبيها على انه قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه
قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل أنثى اي حملها
او ما تحمله وانه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الأرحام وما تزداد وما
تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك
وسنتان عند ابي حنيفة رحمهما الله روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين و
اعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رح وقال الشافعي رح اخبرني شيخ باليمن
ان امرأة ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما
وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام

على

على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء
خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك
وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين على الاصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاحرف
الاربعة حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء عالم الغيب الغائب عن الحس
والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن
نعت المخلوقين وتعالى عنها سواء منكم من أسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن
هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز به يراه كل واحد من سرب
سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال
علمه وشموله له لمن أسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه
مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه
او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب
او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من اعماله
ما قدم واخر يحفظونه من أمر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من
المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية
لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمهم من قضاء الله إن الله لا
يغير ما بقوم من العافية والصحة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة و
إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه
من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي
يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف
وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو او اطلاق المصدر
بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب
الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع
ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه
على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما سئل النبي عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق

بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من
كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل
وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه
ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد
صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
فنزلت وهو شديد المحال ◯ المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك
ومنه تمحل اذا تكلف في استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة
وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول
اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد
وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له
الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه
دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في اربد وعامر ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله
واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد
الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعوة رسول الله عليهم
او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف
الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ
فاه يطلب ان يبلغه وما هو ببالغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته
والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف
الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا
في ضلال ◯ في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا و
كرها يحتمل ان يكون على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة
والرخاء والكفرة كرها حالتي الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده

شاؤا

شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال
او العلة وقوله بالغدو والاصال ◯ ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص
الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والاصال وهو الجمع
في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب
لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم
بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون
ان يجلبوا اليها نفعا ويدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل
ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى
والبصير ◯ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود
الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور ◯ الشرك والتوحيد
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله
خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله
فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه فضلا
عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة
ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اي المتوحد بالالوهية القهار
الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او السماء نفسها فان المبادي منها
فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري
فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير
ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا
ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس ابتغاء حلية
طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما
توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص
بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل
مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع

به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون
والقنى والابار وبالفلز الذي ينتفع في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة
والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء
يجفأ به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما
ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب
الله الامثال ۝ لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين لربهم الحسنى الاستجابة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان
الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان
مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب ۝ وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه
لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد ۝ المستقر والمخصوص بالذم محذوف
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب
والهمزة للانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ۝
ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه
على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق
ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء وجميع الكتب ويندرج
في ذلك مراعاة حقوق جميع الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب ۝
خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما يكرهه النفس ويخالفه الهوى
ابتغاء وجه ربهم طلب الرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا
مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرءون
بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار ۝ عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر
الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا
بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي

جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المر
فوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم
وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان
الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة
زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب ۝ من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم
بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء
للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار ۝ وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل
كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه
من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ۝ عذاب جهنم او سوء عاقبة
الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا
اي اهل مكة او مثلهم بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة
الا متاع ۝ الا متعة كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما
يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور
المعجزات ويهدي اليه من اناب ۝ اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب
من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم
وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل
من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته
بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى
المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب ۝ قلوب المؤمنين تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا
الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب
كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب ۝ بالنصب كذلك اي مثل
ذلك يعني ارسال قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليها فليس ببدع

او سالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه وهم يكفرون
بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه خصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية
عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي
ومتولي امري لا اله الا هو لا يستحق العبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب
مرجعي ومرجعكم ولو ان قرانا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال من مقارها او قطعت به
الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى
فقرؤه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار
او لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير
بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطايع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى
الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة
لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من
معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا يلين له
شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم
الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
اجمعين قرؤوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس عنه
لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى
بعض الناس لعدم المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا
من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما
صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلعهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها
ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم وانه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فيغيرون حواليهم ويختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز
ان يكون تحل خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية

حتى

حتى ياتي وعد الله اي الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في
كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم
اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه بما كسبت
من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس
كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا
عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه
على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون العبادة ويستاهلون
الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة
لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لانه لا يعلمهما وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول
ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ
على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا
اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ وصد بالكسر وبالتنوين
ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل و
الاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من
واق حافظ من عذابه او من رحمته مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة و
هو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار
على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل
وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها
كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مالهم ومنتهى
امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين
اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن
امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون
بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف و

واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما ومن الاحزاب من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله
واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة
الشرايع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره
واليه ماب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما عداه
من الفروع فما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكار المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل
على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا
مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك
اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك
من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على
الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية
نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه و
حكم يلتمس منه الا باذن الله فانه الملي بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم
يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستوجب الحكمة نسخه ويثبت
ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو السيات التايب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو قرنا ويثبت اخرين
وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكاينات وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد
وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه
وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما
وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازات فلا تحتفل
باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا ناتي الارض ارض
الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه
لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء
والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كاين لا يمكن تغيره ومحل لا مع المنفي النصب
على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم
بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا

اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر بالذات على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس
فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيث ما ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في
غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في
الاضافة الى الدار كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون و
الذين كفروا واهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤ
ساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني
عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القران وما الف عليه من النظم المعجز او
او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرا ومن عنده
بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدا والظرف
خبره وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى و
كل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة مع الموفين بعهد الله

## سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه
من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله استعار
من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط الله
العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن سال عنه
واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل
سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدا او
خبر او الاخر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود
على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات
الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة

الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون
من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية
ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير
والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع على انه خبر مبتداه وخبره اولئك في
ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله
للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسة وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ويترجموه لغيرهم
فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق ان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته
اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى
اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب
القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة كريش ورياش ولسن بضمتين
وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام وانه تعالى انزل الكتب كلها
بالعربية ثم ترجمها جبرئيل عليه السلام او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله تعالى ليبين لهم
فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل لتبيين العرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن
الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل
ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال
سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التي وقعت
على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمايه وبلاياه ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور
يصبر على بلاياه ويشكر لنعمايه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافاض عليهم من النعماء
اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان
الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم
من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجايه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة
للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم

سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير
المخاطبين والمراد بالعذاب هاهنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمه
ومعطوف عليه التذبيح هاهنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة
وفي ذلكم بلاء من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه من ربكم عظيم ابتلاء منه
ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام
موسى وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين
ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر او مفعول تاذن على انه جرى مجرى
قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله

عن شكركم

لغني حميد مستحق الحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وينطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم
بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله عز وجل والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبلهم ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم
لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا ايديهم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها
عليها تعجبا منه واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا
بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه
الانبيا يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي
الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها
فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما
تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس و
ان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في الشك
فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى
ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان

بعثه اباؤنا ليغفر لكم اي يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني اقامة المفعول له مقام المفعول به
من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينه وبينكم فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جي بمن في خطاب
الكفرة دون المؤمنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت
الكفرة مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي و
نحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا
ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر
رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى
فاتونا بسلطان مبين ⊙ يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية ام على صحة ادعائكم النبوة
كانهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم
ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس
وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية
وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا
باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا يستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو امر
متعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون ⊙ فليتوكل عليه
في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا
اوليا الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا
سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت ولنصبرن
على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم
وعلى الله فليتوكل المتوكلون ⊙ فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم
المسبب من ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في
ملتنا حلفوا ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل وعودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم
يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعة على الواحد
فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين ⊙ على اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه
نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى

كقولك

كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن
خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي
لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد ⊙ اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا
كقوله ربنا اي سالوا من الله الفتح على اعدائهم والقضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان
كلهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار
عنيد ⊙ اي فافتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا
كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي بين يديه فانه مرصد بها
واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما يواري عنك و
يسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو
صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه بل يغص به فيطول
عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسباب
الموت من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله
وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ ⊙ اي يستقبل في كل وقت
عذابا اشد مما هو عليه وقيل الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة
الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب
رجاءهم فلم يسقهم واوعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول
جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب
به وقرئ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم
وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من
مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او عملهم للاصنام برماد
طيرته الريح العاصفة لا يقدرون مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب
وهو فذلكة ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد ⊙ عن
فائدة الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل احد

من الكفر الى التكوين ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق
عليه وقرئ حمزة والكسائي خالق السموات إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم و
يخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالق السموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصلها
وما يتوقف عليه تخليقها ثم كونها بتبديل الصورة وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع
عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور ومن شانه هذا كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء
وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون
ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر
بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وهو انما كتب
بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم
واستغووهم إنا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كغايب وغيب او
مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل أنتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء
من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض اي بعض شيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان
يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا و
الثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب اي بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا
عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا
فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه
عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع
والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل
ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم
يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم
يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الأمر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين إن الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه
وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام
يشفع لكم فأخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط

فاجبركم الى الكفر والمعاصي إلا أن دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان
ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي
اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا أنفسكم
حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد
مدخلا ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما أنا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما أنتم بمصرخي
بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين
وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على
لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء
بالكسرة إني كفرت بما أشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم
اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم
او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه
وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت
امره بالسجود لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان إن الظالمين لهم عذاب
أليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تع وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم
حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل
على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن
ربهم ألم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل وهو
تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي
كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئ بالرفع على الابتداء أصلها ثابت في الارض
ضاربة بعروقه فيها وفرعها اعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ
الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني
ابلغ تؤتي أكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها بإذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب
الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير
للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثته

بالكلية مِن فَوْقِ الْأَرْضِ لان عروقها قريبة منه مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝ استقرارا واختلف في الكلمة
والشجرة ففسرت الكلمة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء
الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعاء الى صلاح
والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة
في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فلا يزلون اذا افتتنوا في
دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وَفِي الْآخِرَةِ فلا يتلعثمون اذا
سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة وروي انه عليه السلام ذكر قبض روح
المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان قد
صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا
انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا
يَشَاءُ ۝ من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
كُفْرًا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا
تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم
ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر
وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من
قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وَ
أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ الذين شايعوهم في الكفر دَارَ الْبَوَارِ ۝ دار الهلاك بحملهم على الكفر جَهَنَّمَ عطف بيان
لها يَصْلَوْنَهَا حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم
وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝ اي وبئس المقر جهنم وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ الذي هو التوحيد
وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ
الانداد لكن لما كان نتيجته جعل ذلك كالغرض بادخال اللام قُلْ تَمَتَّعُوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان
فانها من قبيل الشهوات التي تتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب
لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۝



فان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من آمر مطاع قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا خصهم بالاضافة
تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه
اي قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب
له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله
محمد تفد نفسك كل نفس اذا خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا
قامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة
لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سِرًّا وَعَلَانِيَةً فينتصبان على المصدر اي انفاق
سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان
الواجب واخفاء المتطوع به مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي
به نفسه وَلَا خِلَالٌ ۝ ولا مخالة فيشفع له خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مبتدا وخبر وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَّكُمْ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس وهو مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان
له او حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج
في معنى رزق وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ بمشيئته الى حيث توجهتم وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ فجعلها
معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
دَائِبَيْنِ يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ اي بعض جميع ما سالتموه يعني من كل شيء
ما سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سالتموه ما كان
حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة
ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي واتاكم من كل شيء ما احتجتم
اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال اي اتاكم من كل شيء غير
سائليه وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير
متناهية في عدكم وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ يظلم النعمة

باغفال شكرها او بظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن
لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا
وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم أن نعبد الأصنام واجعلنا
منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل
على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته
وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها
ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب إنهن أضللن كثيرا من
الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار
السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني فإنه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين
ومن عصاني فإنك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه
دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا إني أسكنت من
ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان
اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم
الذي حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول
عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار
ما كان او ما سؤل اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فولدت منه
اسماعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة
فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما
وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في الباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي
وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة
عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم والمقصود
من الدعاء توفيقهم لها وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة
وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل أفئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك
قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك

القلب من بقيهم اي افيدة الناس ناس وقرئ هشام افيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ فدة وهو
يحتمل ان يكون مقلوب افيدة كآدر في ادور وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت
اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز
ان يكون من افد تهوي إليهم تسرع اليهم شوقا ووداد او قرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى
اليه واهواه غيره وتهوى من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من
الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شي حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية والشتوية في يوم واحد ربنا
إنك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك عالم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا
بانفسنا فلا حاجة الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك
وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع
والالتجاء الى الله وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي
نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير
ايس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية إسمعيل وإسحق روي
انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة إن ربي لسميع الدعاء اي
لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى
مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد
فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم
الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله
او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او
عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما
آدم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت
الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم
وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته
واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم إنما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم

تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين
الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي
رءوسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم على شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم
فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء ● خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه
يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية
عن الخير خالية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه
اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى
اجل قريب ● اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا
مقدار ما نؤمن بك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب
القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت
ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى الحالة الاخرى لقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود
واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبين
لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم
وضربنا لكم الامثال ● من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات
ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم مكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم
عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه
الجبال ● مسوية لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على
ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية
ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرائعه وقرء الكسائي لتزول بالفتح والضم على انه من يفتح لام كي وقرئ وان كاد
مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف
رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم
يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام ● لاوليائه من اعدائه

يوم تبدل

يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده
ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات
غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها
وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وغيرت شكلها وقوله يبدل الله سيئاتهم حسنات
والاية تحتملهما فعن علي كرم الله وجهه تبدل الارض من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس
يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض و
انما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال تبدل الارض غير الارض
فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون
الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على
ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله وان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله
الواحد القهار ● لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة
كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد
الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في
العقائد والاعمال كقوله تع واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد
الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا
لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد ● متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد
القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله
الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى
يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في
جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط
بجوهر النفس من الملكات الردية والهيات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب
قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والاني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين
وتغشى وجوههم النار ● اي وتتغشى لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم
وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله

اومن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله تع يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس
يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين
يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق ببرزوا ان الله سريع
الحساب ● لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة
والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف
على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف
تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علم واستعد له وليعلموا انما هو
اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه والمنبهة على ما يدل عليه وليذكر
اولوا الالباب ● فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا
البلاغ ثلث فوايد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل الناس واستكمالهم بالقوة التي
منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هي التدرع بلباس التقوى جعلنا من الفايزين بها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

## سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ●

الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين ● الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو السورة و
كذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ● حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت
او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء
وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على
الفعل وحقه ان يدخل الماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس
من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا
اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم في قولك حلف الله ليفعلن ذرهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم

ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف
يعلمون ● سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم
وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طايل تحته وفيه الزام الحجة
وتحذير عن ايثار التنعم وما يودي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم ● اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها
الواو كقوله تع وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ا
دخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ● اي وما
يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به
النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ● ونظيره قول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل
عليك الذكر اي القرآن لو ما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب لو مع لا لمعنيين لامتناع الشيء لوجود غيره
والتحضيض بالملائكة ليصدقوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا و
للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين ● في دعواك ما ننزل
الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر تنزل
الملائكة بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق اي الا تنزيلا
ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان ياتيكم بصور تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له
بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين ● اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي
ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه
وقرره بقوله وانا له لحافظون ● اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا
لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ
كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلام ولقد ارسلنا من قبلك في
شيع الاولين ● في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه
واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا
فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ● كما يفعل هؤلاء وهو تسلية

النبي عليه السلام وما للحال لا تدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية
كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون
به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة
المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضماير توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة
حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة
الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون
وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا
من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل
عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون
قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت منهم
بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات
والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين
المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع
بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من
المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي انهم كانوا لا يحجبون
عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي
ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة من النار
ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها
رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار
معين يقتضيه حكمة او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن
في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه



بالشمايل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك
وساير ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض
ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة
خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان
على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه
اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره
او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة
الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات
على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره
الطوايح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوايح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا
من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه
نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما
يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه
دون حده لا بد له من سبب مخصوص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت
بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوة والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون
اذا ماتت الخلايق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم
ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد
وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان
ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت
وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت
وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير
الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل
على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد
خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا

انتن تضعيف صل من حمإ من طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون
مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ
الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ
فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد
خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا
يمتنع في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من
التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو
للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان
الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك للملائكة واذكر وقت قوله للملائكة اني
خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح ونفخت
فيه من روحي حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجاويف الشرايين
الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في سورة النساء فقعوا له فاسقطوا له
ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم
ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر
اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون
مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هلا سجد
قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم
اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني
خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص
ادم باعتبار النوع وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة
فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد
يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن
فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده



هلا وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل
قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون
اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى
عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات
فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل
وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث مع الخلائق
في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل
الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض
والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي
انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب
له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب
لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على
ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم
لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر
في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه
والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي
الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين
ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على
من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان
يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم الغاوين او المتبعين
اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان

لانه لا يعل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم
ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار المهلكات في الركون الى
المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم جزء مقسوم افرز
له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف
عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة
لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون
لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهم كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل
الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الاية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم
العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا
يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم
او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في
جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله
على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين
وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال
او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد
وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها صغيرها وكبيرها
وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف ونبئهم
عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
اي نسلم اي عليك سلما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا
بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما يكره قالوا لا توجل
وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى
التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام وهو اسحق لقوله



فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد مع مس الكبر اياه
او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني
او باي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر
النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون
الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون
لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين
من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر
وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته او
الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما
خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود
ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفي بالواحد في بشارة
زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا
اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين
للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين
وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما نعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل
الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته
استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل
انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة
لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا ها وفي النمل بالتخفيف وانما علقت والتعليق من خواص افعال
القلوب لتضمنه معنى ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قولا
واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله لما لهم من القرب والاختصاص
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني
بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما

يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين
من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان
بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع
بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما
اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم
على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر وعدي وامضوا
الى حيث وتؤمرون الى الضمير المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك
عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك
تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد
مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر
هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال
ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب
الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهي
الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل
احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء
القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك
قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلعم وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي
وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم
او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة
مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة
او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه
كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين
المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل

مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب
الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا
بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل
الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل
فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام
يسكنونه وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او المعجزات
كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين
من الانهدام واللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال
تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت
الوثيقة واستكثار الاموال والعدة وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة
فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا
تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو
الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل
اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان
وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما
في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف
وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته
الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى
واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم
ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع
فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا
به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه

كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله تعالى عنه من اوتي القرآن فرأى
ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى
باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم
سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ﴿ولا تحزن عليهم﴾ انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به
﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لهم وارفق بهم ﴿وقل اني انا النذير المبين﴾ انذركم
ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا ﴿كما انزلنا على المقتسمين﴾ مثل العذاب الذي
انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثني عشر الذين اقتسموا مداخل
مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلعم فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين
اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد
آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه
حق موافق للتورية والانجيل وبعضه مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل
الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله لانذرن الى آخره اعتراضا ممدا لها ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾
اجزاء جمع عضة واصله عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته
وفي الحديث لعن رسول الله صلعم العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة
جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره ﴿فوربك لنسألنهم اجمعين﴾
﴿عما كانوا يعملون﴾ من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من
الكفر والمعاصي ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق
والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع
﴿واعرض عن المشركين﴾ فلا تلتفت الى ما يقولونه ﴿انا كفيناك المستهزئين﴾ بقمعهم واهلاكهم
قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد
يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلعم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلعم
امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا
في عقبه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات



واشار الى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل
ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي ﴿الذين
يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون﴾ عاقبة امرهم في الدارين ﴿ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك ﴿فسبح
بحمد ربك﴾ فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه
عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق ﴿وكن من الساجدين﴾ من المصلين وعنه عليه السلام
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ اي الموت فانه متيقن
لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام

## سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اتى امر الله فلا تستعجلوه﴾ كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول عليه السلام
من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما
تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق
من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه ﴿سبحانه
وتعالى عما يشركون﴾ تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب
للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس
رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة
بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي
به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه
بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل
وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل ﴿من امره﴾ بامره او من اجله ﴿على
من يشاء من عباده﴾ ان يتخذه رسولا ﴿ان انذروا﴾ بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا

آية

اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي
بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال
على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية
تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي منتهى كمال القوة العلمية
والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دليل وحدانيته
من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له
شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار و
شكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى تعالى عما يشركون منها او مما
يفتقر في وجوده او بقائه اليها او مما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام
خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا
هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي
رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلعم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت
والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها
لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها
ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها
كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي او لان الاكل منها هو المعتاد
المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات الماكولة فعلى سبيل التداوي والتفكه ولكم فيها
جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها
بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة
لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة - وتسرحنا وصفالله بمعنى ترعون فيه وتسرحون
فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه
الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه واصل الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم
لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على
الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها



وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما
التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد
الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل
الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين
والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج
اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا
علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان
مستقيم الطريق الموصل الى الحق واقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل
يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي
يقصد السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها
جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طريق الضلالة او
لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر
اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل
هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او جانب السماء ماء لكم منه شراب
ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر
المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في
الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال
يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية
واسامها صاحبها واصله السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامة ينبت لكم به الزرع
وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم
ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء
حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في
ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض
وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه
عروقها ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة

الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك
ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع
اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او
بحكمته وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واو
ضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة
فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف
النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر
الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل
انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما
ذرا لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه
فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيات
والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به
بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب
اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك
به مالك والثوري على ان من حلف ان لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب
دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند
اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه
تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه
بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب
الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى
في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض
قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلق الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها

نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت
الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان
القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل
بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحوها وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد
بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء
في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجوم واقحام الضمير للتخصيص
كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم
واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا
يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه
عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا
يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراها مجرى اولي العلم لانهم
سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل
ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد
ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم
والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق
عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم
لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله
اي والالهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالتاء
لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا
لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون
لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات

لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون
حيا بالذات لا تعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم
فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب
والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى
بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد
وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلايل متاملا فيما يسمع
فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف
وركونا الى المالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله
والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا
عن الذين استكبروا عن توحيده واتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم
على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل
اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقايلون
له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار
ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من
يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدته
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله
بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم
وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد
به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى
قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
ويقول اين شركاءي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرئ الذين كنتم تشاقون
فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال
الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة

ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذلة والعذاب وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة
وحكاية لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملائكة وقرا حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في
التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا
واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قايلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون
تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فيجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما
كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم
يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا
عاملين سوء واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها
المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم
وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على
انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب
كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي عليه السلام فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما
قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا
ولدار الآخرة خير اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون
بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة
فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح
يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم
الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا
الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم
بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين
بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد
مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين يبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا
التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة
لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك
مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم وما ظلمهم الله

بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۝ بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا
اي جزاء سيئات ما عملوا على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝
واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف
متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم
البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا
اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم
فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين ۝ الا الابلاغ الموضح للحق
وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب
وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها الله ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا
لهدى من اراد اهتداءه وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه
ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت
عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة
على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هداه الله وقد صرح به في الاية الاخرى
فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۝ من عاد وثمود
وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله
وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين ۝
من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال
الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد
الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد
من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ۝ انهم مبعوثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته
بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم
اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ۝ فيما



كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل
والمحق والمبطل بالثواب والعقاب فقال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ۝ وهو
بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم منه
وكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر
والكسائي فيكون هنا وفي سورة يس عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من
بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون الذين ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى
المدينة وبعضهم الى المدينة والمحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله عليه السلام بلال وصهيب وخباب
وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة
مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضه انه كان اذا
اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك
في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون ۝ الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين
لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد
كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون ۝ منقطعين الى
الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم
ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة
الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب
او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون ۝ وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا
ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل
لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام راى جبريل عليه السلام
على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم
بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا
في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم
اي رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله
فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي
ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه

او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم
يتفكرون ۝ وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقايق افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات
السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا برسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان
ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ۝ بغتة من
جانب السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم
بمعجزين ۝ او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب و
هم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شي في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته
روي ان عمر رض قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف
التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال
شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم ۝ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها
ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا الى
المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤ بالتاء عن اليمين
والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله
وهم داخرون ۝ وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع
او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب وسجدا حال من
الظلال وهم داخرون من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها
ومغاربها بتقدير الله من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة
بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايض داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون
بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل
يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب
الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدي من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند
الزوال تبتدي من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض

اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة
اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في
ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات
على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير
لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء
وهم لا يستكبرون ۝ عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم
او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون
او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون ۝ من الطاعة
والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان
الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات
الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون ۝ نقل
من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد
فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا
لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين
ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون
ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله واي شي اتصل بكم فهو من الله وما
شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم
يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ۝
فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا
فريق منكم بربهم يشركون ۝ وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره وهذا اذا كان الخطاب عاما
فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال اذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض
على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم
قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون ۝

تغليظ وعيد وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر
الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون
الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما
محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزرع
والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون ۝ من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم
عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من
قولهم وتعجب منه ولهم ما يشتهون ۝ يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء
والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل
والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها
ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن
الاغتمام والتشوير وهو كظيم ۝ مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما
بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه
في التراب ام يخفيه فيه بوأده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون ۝
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء
صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث
ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق
والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم ۝ المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس و
الدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن عباس كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم
او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم
او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ۝ بل هلكوا او
عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء
عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما
يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وارذال الاموال وتصف
ألسنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده

الحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده
وانهم مفرطون ۝ مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء
على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من
التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو
وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير
لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر
مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم
عذاب اليم ۝ في القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي
اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون ۝ معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من
السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في
ذلك لآية لقوم يسمعون ۝ سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة
دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده
ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون
جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب
نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء
اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن
عباس رضي الله عنه ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي
يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى
ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز
القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة
على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه

الى الفروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط و
واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر
الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدا منه الاسقاء وهي متعلقة
بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه
لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب اي من
عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف
تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير
الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر
مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم
الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قالت جعلت
اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر ان في ذلك لاية لقوم
يعقلون ۝ يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف
في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان يكون مفسرة لان في الايحاء معنى
القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ۝ ذكر
بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان
منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة
القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على
ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات
من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته
النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى
بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة
ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من
بطونها عدل به من خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق

عنى

النحل والهامه لاجله شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار
والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم يقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها
اجزاء طيبة حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في
بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر
واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية
او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر
بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم فقال ان اخي
يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه
عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرء فكانما انشط من عقال وقيل الضمير
للقران او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ۝ فان من تدبر اختصاص
النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها
ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل
العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وهو تسعون سنة
وقيل خمس وسبعون لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية
في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير ۝ يميت الشاب النشيط
ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب
ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا
المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم
ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي
رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في
ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة
المنفية او مقررة لها ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا
برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم
يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم
فيساووهم افبنعمة الله يجحدون ۝ حيث يتخذون له شركا فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما

ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها
الباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوا من آدم
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا او اولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة
والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها
البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات
ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم
وان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمت الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه
الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص
مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا
يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد
في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا
من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا لله الامثال تشركون به او تقيسونه عليه فان
ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك
ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما
جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز
ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب
مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشركون به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا
ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع
الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي
هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق
وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون
وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع





الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد لا يستحقه
غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه
لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع
والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله
مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الاقي سعدا
وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق
ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو
في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات
بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال
المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه
غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة
فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام الساعة في سرعته وسهولته
الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه
بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة
وما يوجد دفعة كان في آن واحد واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى
فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او اقرب مبالغة في استقصاره ان الله
على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة واحدة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل
على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما
قبلها وقرأ حمزة بكسرها وبكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهال الاستصحاب
جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات
الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى
تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون
كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب
بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق الله من الاجنحة والاسباب المواتية
له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها

يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لآيات بتسخير الطير للطيران بان خلقها
خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم
يؤمنون لانهم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت
المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان
يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها
من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم
وضعها او ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح
وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير
الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية
وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت
المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خص الحر بالذكر
اكتفاء باحد الضدين او لان وقايته هي كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن و
السربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه
فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون
فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك
فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام
المسبب يعرفون نعمت الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون
بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن
اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد
الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان
العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله
بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها تشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا
في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه
من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العقبى

وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين
ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين
اشركوا شركاءهم اوثانهم التي ادعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا
مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في
انهم شركاء الله او انهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق
الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في
الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين
كذبوا وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع من الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا
لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث
في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا
على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل
شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما
حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد
باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير و
الاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال صلى الله عليه وسلم
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون
اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح
احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء
على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد في الانسان شر الا وهو مندرج
في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع آية في القرآن
للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه
تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه

يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله على
الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلايمه قوله اذا
عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها
بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول
به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى
المفعول من بعد قوة متعلقة بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نقض
قتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه
الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل كذلك تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا مشبهين بامرأة هذا
شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة
بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم
وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم
الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء
بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربو
وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق و
لتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد
التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما
وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما
صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعله
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا
يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله
من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل
العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله باق من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو
تعليل للحكم السابق ودليل على نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار

تختلفون

او على مشاق

او على مشاق التكاليف وقرأ عاصم وابن كثير بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات
والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص
وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه
بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان
كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون من الطاعات فاذا قرأت القرآن اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه
للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن
مسعود قرأت على رسول الله عليه السلام فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له
سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين
عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على تدور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه
يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ
فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او معنى والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون
مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم
يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة متقول على
الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا واعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على
فساده ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب
قل نزله روح القدس يعني جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود
وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزل تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما
يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه وانهم

اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى
للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول
اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام
عامر الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقران التورية والانجيل وكان الرسول عليه السلام
يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من وهذا لسان عربي مبين
لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه
بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتعلق منه
اللفظ لان ذلك عجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم
الكثيرة التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم
جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقاته مروره عليه كليمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها
طعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الجنة ولهم عذاب اليم
في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبههم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة
الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب
آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة
او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون و
ما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب و
يجوز ان ينتصب بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة
الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته
وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا
وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجي بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال
فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله

ان عمارا كفر فقال عليه السلام كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار
رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله عليه السلام يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو
دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان
مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد عليه السلام قال رسول الله قال فما تقول في فقال
انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في فقال انا اصم فاعاد عليه ثلثا
فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق
فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب
انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات
الايمان ولا يعصمهم من الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن
ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة
عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم
الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصرة
وثم لتباعد حال هؤلاء من حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي
اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان
ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة
على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها
وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فيقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت
وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم
انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج
اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه
جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع
الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار
الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف
والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك

بالخاصر ومن بكر إلى الشطر الذي ملكت يمينك فاعجبوا منه بشطر استعارة الرداء للسيف ثم قال
فاعجز نظر إلى المستعار بما كانوا يصنعون ۝ بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني
محمد عليه السلام والضمير لأهل مكة عاد إلى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فأخذهم العذاب وهم ظالمون ۝
أي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجدب الشديد أو وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا أمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما أنعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل
والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه
تعبدون ۝ تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته إنما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ۝
لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم أن ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل
بأهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في
بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بإنما حصر المحرمات في الأجناس
الأربعة إلا ما ضم إليها دليل كالسباع والحمر الأهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام
أو مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف
ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف ألسنتهم الكذب مبالغة
في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك
عد من فصيح كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر
وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الذم أو
بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض إن الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون ۝ لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل أي ما يفترون
لأجله أو ما هم فيه منفعة قليلة منقطعة عن قريب ولهم عذاب أليم ۝ في الآخرة وعلى الذين هادوا
حرمنا ما قصصنا عليك أي في سورة الأنعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق
بقصصنا أو بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۝ حيث فعلوا ما عوقبوا
به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وأنه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم إن ربك
للذين عملوا السوء بجهالة بسببها أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب
لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها

من بعد التوبة

من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم ۝ يثيب على الإنابة إن إبراهيم كان أمة لكماله واستجماعه
فضائل لا تكاد توجد إلا مفرقة في أشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة
ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله أو لأنه كان
وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصده
أو اقتدى به فإن الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله إني جاعلك للناس إماما
قانتا لله مطيعا له قائما بأوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين ۝ كما زعموا فإن قريشا
كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم شاكرا لأنعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة
فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه إلى صراط مستقيم ۝ في الدعوة إلى الله وآتيناه في الدنيا
حسنة بأن حببه إلى الناس حتى أن أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه أولادا طيبة وعمرا
في السعة والطاعة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ۝ لمن أهل الجنة كما سأله بقوله وألحقني بالصالحين
ثم أوحينا إليك يا محمد وثم إما لتعظيم والتنبيه على أن أجل ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته
أو للتراخي أيامه أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد
أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه وما كان من المشركين ۝ بل كان قدوة الموحدين إنما
جعل السبت تعظيم السبت والتخلي للعبادة على الذين اختلفوا فيه أي على نبيهم وهم اليهود أمرهم موسى
عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا نريد يوم السبت لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات
والأرض فألزمهم الله السبت وشدد الأمر عليهم وقيل معناه إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين
اختلفوا فيه فأحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين
كذكر القرية التي كفرت بأنعم الله وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ۝ بالمجازاة
على الاختلاف أو بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت إليهم إلى سبيل ربك إلى الإسلام بالحكمة
بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة
والأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم
بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات
الأشهر فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو
أعلم بالمهتدين ۝ أي إنما عليك البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما

فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما
بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بالمخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا
تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم
بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما راى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو
تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ۝ من
الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسول الله عليه السلام لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه
عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين
ومافعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ۝ في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير بالكسر هنا وفي
النمل في ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا
المعاصي والذين هم محسنون ۝ في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره
والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي عليه السلام من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم عليه
في الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

## سورة بني اسرائيل مكية وقيل وان كادوا ليفتنونك الى اخر ثمان وهي مائة وعشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما
له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه
بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب
على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن
الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام بالبراق او من الحرم سماه المسجد الحرام لان كله
مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسري به
ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا
فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال لقد
صدق قالوا اتصدقه على ذلك فقال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا

الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها
واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير
كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في
اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى
ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف
ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية
وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل شيء من الممكنات فيقدر
ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عليه السلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد
الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط
الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في
برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام
من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد عليه السلام
البصير ۝ بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني
اسرائيل الا تتخذوا اي على ان لا تتخذوا لقولك كتبت اليه ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء على لئلا يتخذوا
من دوني وكيلا ۝ ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او
النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية
بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة
انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا ۝ يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه
كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا
اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا
على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا او
قيل ارميا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ۝ ولتستكبرن عن
طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بختنصر عامله
على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى اولي باس شديد ذوي قوة وبطش

في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة
فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك
اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة الدولة
والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده
كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها
من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم
لان ثواب لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة
المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر
وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ
لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا و
اللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم
ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه
دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتموني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم
قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقال انه دم يحيى فقال لمثل
هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا
ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم
وقد عادوا بتكذيب محمد عليه السلام وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير
وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج
منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي
اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر
بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين عذابا اليما
ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان

عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح
الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه
فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل
دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء
كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر
الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة
والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة
للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس
وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل
التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل
آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا
من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا
باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر
الدنيا والدين فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه
طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير
لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة
كتابا صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس
احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو
ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وغيره ويخرج وقرئ ويخرج اي الله يلقاه
منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ
ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم
بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد
لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص

من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداءه غيره ولا يردي ضلاله سواه
ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل
الشرع وإذا أردنا أن نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاد قضائنا السابق
او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة
على لسان رسول بعثنا اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة
والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا
فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له
بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني
وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وامرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة
اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب امّرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو
ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم
ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او
بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناهم باهلاك اهلها وتخريب
ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى
بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير
لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد
المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية
والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله حتى تطابق المشهورة
وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون
معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا
مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي
لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك ولا
معه تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده
مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه

نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من
معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصابه بكيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكثر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار
ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب لرسول الله عليه السلام والمراد به امته او لكل احد
فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولك قعد عن الشيء اذا عجز مذموما
مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون
ممدوحا منصورا وامر امرا مقطوعا الا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية وقضى ربك
العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين
احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز
ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية
زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق نون التوكيد الفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة
والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم
يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر
منهما وتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على
الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح
على التخفيف وقرئ منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر
انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صفة المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان ولا
تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف
والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا
كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما
وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان و
المبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد
والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب

ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان
يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما وتربيتهما وارشادهما في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي
ان رجلا قال لرسول الله صلعم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في
نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا
ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين التوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج
الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على
ابويه التائب من جنايته اولياء لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر
عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير
التفريق وعن النبي عليه السلام انه قال لسعد وهو يتوضا ما هذا السرف فقال في الوضوء سرف فقال
نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف
شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه
كفورا مبالغا في الكفر فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين
وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا تنفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من
ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من
ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله
فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور
من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم ورزقنا
الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهي عنهما
امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء
التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا
رسول الله عليه السلام اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه
واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروه للصلوة فلم يخرج فانزل الله تعالى ذلك ثم سلاه بقوله ان



ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك
من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما
يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم
ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا
كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم
بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا
ذنبا كبيرا من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكوان خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وابن
كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء في قوله تخاطأه
القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالمد والفتح وخطأ
بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنى بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه
كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على
الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث
كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد
جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل
على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ
لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان القاتل لا يفعل ما يعود عليه
بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول
فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث
اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته او للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه
الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي
دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره
ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسال
الناكث ويعاتب عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت فيكون

تجبيلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ولا تبخسوا فيه وَزِنُوا
بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان
العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة
والكسائي وحفص بكسر القاف ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع
وَلَا تَقْفُ ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ما لم يتعلق به علمك
تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد
من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي
وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال
حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن
احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو
يعم القبيلين جاء لغيرهم لقوله والعيش بعد اولئك الايام كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا في ثلثتها ضمير كل اي كان
كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف
او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسال صاحبه عنه
وهو خطاء لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد يؤاخذ بعزمه على المعصية
وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا مرحا ذا مرح
وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت إِنَّكَ لَنْ
تَخْرِقَ الْأَرْضَ لن تجعل فيها خرقا لشدة وطاتك وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا بتطاولك وهو
تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كُلُّ ذَلِكَ
اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله المذكورات مامورات ومنهيات
وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة
وعلى هذا قوله عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا على الحال من المستكن في كانه او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد
به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى
ذَلِكَ اشارة الى الاحكام المتقدمة مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ التي هي معرفة الحق لذاته
والخير للعمل به وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدء الامر ومنتهاه فان من لا قصد له



بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عايدة
الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا تلوم نفسك مَدْحُورًا
مبعدا من رحمة الله أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار
والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا بنات لنفسه وهذا
خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا باضافة الاولاد اليه وهي خاصة
بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة
الذين هم من اشرف خلق الله دونهم وَلَقَدْ صَرَّفْنَا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير فِي هَذَا الْقُرْآنِ في
مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول
في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف لِيَذَّكَّرُوا ليتذكروا وقرا حمزة والكسائي
ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا عن الحق وقلة طمانينة اليه قُلْ لَوْ كَانَ
مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ايها المشركون وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول
عليه السلام ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول
ان يخاطب به المشركين والثانية ما نزه به نفسه عن مقالتهم إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا جواب عن
قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض
او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
سُبْحَانَهُ ينزهه تنزيهه وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا تعاليا متباعدا غاية البعد عما يقولون
فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص
ما يمتنع بقاؤه تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وينزهه عما
هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم
الواجب لذاته وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز
ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه
وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء إِنَّهُ
كَانَ حَلِيمًا حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غَفُورًا لمن تاب منكم وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مَسْتُورًا
ذا ستر كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون

انهم لا يفقهون نفي عنهم ان يفقهوا ما انزل عليهم من الايات بعد ما نفي عنهم التفقه للدلالة المنصوبة في
الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ويجوز ان يكون مفعولا لما
دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم وفي اذانهم وقرا يمنعهم من استماعه
سماع متامل في لفظه متدبر في معناه ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن
فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القران وحده غير مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع الحال
واصله يحد وحده او بمعنى واحد وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او
تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه او لاجله من الهزء بك
وبالقران اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم
مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون
جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقوله هذا من باب الظلم والمسحور هو الذي سحر فزال العقل وقيل
الذي له سحر وهو الرية اي الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه
فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم
من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله
وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن
قبول الحيوة لكونه ابعد شي منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيايكم لاشتراك الاجسام في قبول الا
عراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشي اقبل لما عهد
فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد شي من الحيوة
فسينغضون اليك رءوسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
فان كل ما هو ات قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم
عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة
للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم



اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في
القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي
احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة
بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم
بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي
قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم
غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا
ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذايهم فشكوا الى رسول الله
عليه السلام فنزلت وقيل شتم عمر رجلا منهم فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض
وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد على استبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب
نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض بالفضائل النفسانية والتبري من العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى
داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل
رسول الله عليه السلام وقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته
خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هنا وتعريفه
في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده
قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس والفضل او لان المراد واتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور
فيه ذكر الرسول صلعم قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون
فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم
الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه كساير العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان
محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة
بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب

في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الايات التي
اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها
لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك فاستوجبوا الاستيصال على ما مضى به سنتنا وقد قضينا ان لا
نستاصلهم لان فيهم من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال وآتينا ثمود
الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا
بها فكفروا او ظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اي بالايات المقترحة الا تخويفا من
نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب
الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم
من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية
او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله
رؤيا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر
الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى
قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال عليه السلام هو حظهم من الدنيا يعطونه
باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن
عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم
يقول تنبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تاكله النار واحشاء النعامة
النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها
في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في ابعد مكان من الرحمة او بانها
مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي
العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع
التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع
الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي ءاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار



قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول
والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري
بالسجود له لم كرمته لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن
ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض
اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة
اتجعل فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو
طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم
فر لصاحبك عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال
موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك
بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك
من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل
كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم
من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كحدث
وحدث ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام
والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسمية
عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم بالمواعيد
الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الآباء وتاخير التوبة لطول الامل
وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم
انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في ٢ في الاستعاذة منك على
الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة
تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من
اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم
كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه لا تدعون لكشفه الا اياه
او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل

٢ في قوله الا عبادك منهم المخلصين
وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله
الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم
ليس لك عليهم سلطان [illegible]
وكفى بربك وكيلا
[illegible]
يتوكلون به

النسيم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان
الانسان كفورا ۝ كالتعليل للاعراض أفأمنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر
بالخسف وغيره أن يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبكم بسببكم فبكم حال او
صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من
اسباب الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا ۝
يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفضله أم أمنتم أن يعيدكم فيه في البحر تارة أخرى بخلق دواع
تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته
فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ۝ مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم
بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط
والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب
والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن
ذلك ما ذكره ابن عباس رض وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه
بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم
فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم
وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ۝ بالغلبة والاستيلاء او بالشرف
والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل
بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر
او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول
افعو او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون
محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل أناس بإمامهم
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب
كتاب كذا اي ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم
وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف

الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه
اي كتاب عمله فاولئك يقرءون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ۝ ولا
ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة
بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة
ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو
في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى من كان في هذه الدنيا
اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا ۝ منه في الدنيا
لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد
الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل
التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا
وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائي وابو بكر
وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها
على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا
وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني
وقيل قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من
الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ۝ ولو اتبعت مرادهم لا
تخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون لقوة خدعهم
احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح
في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا
لاذقناك ولو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة

عذاب الاخرة وضعفا لممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد
اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك
ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان ذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة
وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلعم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق
بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير
بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان
اذن لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك
وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم
فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليها ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا
اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين
زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما
تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه
ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخرة
وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها
ولا دليل فيها لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة صلوة الفجر دل الامر باقامتها
على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين
او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوة الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل
وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدء
الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل
فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوة المفروضة او فضيلة لك
لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه
وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضه انه عليه الصلوة
والسلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا



الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال
بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني
اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة
وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من
مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج
خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر
فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء
الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان
زهوقا مضمحلا غير ثابت وعن ابن مسعود رضه انه صلعم دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون
صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه و
بقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من
القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمرض ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى انه ما يشفي من المرض كالفاتحة وايات
وقرء البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن
مستبد بامره ويجوز كناية عن الاستكبار لانه من عادة المتكبرين وقرء ابن عامر وناء على القلب او على
ان يكون انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله قل
كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر
روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهاجا و
قد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان
ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء
جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السوال من قدمه وحدوثه وقيل مما استاثر الله بعلمه
لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها
او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح

وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبرئيل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه
وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما
هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر
الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته
الا بعوارض تميزه عما يلتبس فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر
بعض صفاته روي انه عليه الصلوة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب
فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة
تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر ما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان
يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات
الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن
ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا
محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله
ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون
بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه الموطئة
ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب
مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان
اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الاية تقريرا لقوله ثم
لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس
في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى
اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي وقالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام
غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها



يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها
تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون
قوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه
ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة
ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدرة او فعل بمعنى
مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه
او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف
الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب
وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا
كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها من ان ياتي او
يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا
لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا
على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم
من الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم
هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا
لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو ادم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن
ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون
حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
على اني رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم
وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها و
الظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلعم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون
عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلعم كيف يمشون على وجوههم عميا وبكما وصما

البصر عن ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون ما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم
يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهيبها
بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان يبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة
بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما
تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم
فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت
والقيامة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا
الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة
النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوته فهو
اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا
بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد ءاتينا موسى
تسع ءايات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر
وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة
الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلعم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرفوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا يوم السبت فقبل
اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة للامم الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك
لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود
ان لا تعدوا حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسئل بني اسرائيل
اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله
صلعم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسل
يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك

او لتتسلى

او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد
يقينك لان تظاهر الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بايتنا او باضمار
يخبروك على انه جواب للامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى
مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل
هؤلاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند
انتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم
ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون
كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون مثبورا على ان
المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض
ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه
وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان
يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام الساعة جئنا
بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من
قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل
الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما
نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره
وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والا
نذار وقرءانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم
شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث
على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على
حسب الحوادث قل ءامنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه
نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم
وهم العلماء الذين قرءوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين الحق
والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية
كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون

سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلعم على فترة
من الرسل وانزال الكتاب القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا
لمفعولا ان كان وعده لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب
فان الاول للشكر وعند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية
الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم
سماع القرآن خشوعا لما يزيد علمهم ويقينهم بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون
رسول الله صلعم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود
انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان
على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان
في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو ما حذف لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى و
الدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه او للتخيير والتنوين في
ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة للتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له
لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال او الاكرام ولا تجهر بصلوتك
بقراءة صلوتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها بحيث لا
تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد
في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رض كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رض
كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلعم ابا بكر ان يرفع قليلا
وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا
بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية
ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يشاركه من جنسه
ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقوى به رتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس
الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك
عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في
العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام اذا افصح الغلام من



بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند
ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

## رب يسر سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون

ربهم وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم
نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له
عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتنافي في المعنى او انحراف في الدعوة الى جناب الحق وهو في
المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا
بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او
على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف
كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر
بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا
على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع
مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر
المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه
عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا
يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم
الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك
وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع
على الفاعلية تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات
هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر هاهنا بمعنى بئس وقرئ كبرت
بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا

عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه
وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا ⊙
للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع
الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها
ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا ⊙ في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما
يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وهو تسكين لرسول الله صلعم وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا ⊙ تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا
لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل
احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا ⊙
وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبايع متباعدة وهيات
متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير
والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم
قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همدا او لوح رصاصي
او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا
يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا
ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل
في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مربي
بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي
عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا
فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال آخر كان لي فضل مال واصاب الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت
مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي
له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف
الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك
فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا فقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما
ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه

ومضيت

ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي في يدي حتى ايقظهما
الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن
بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا
وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو
وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا ⊙ نصير بسببه راشدين
مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا
على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم الاصوات فحذف المفعول كما
حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين
به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق
علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم
في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ⊙ ضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام
علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له
وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء
بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله
واضرب بالسيف القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى
كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها
بالصبر على هجر الوطن والمال والاهل والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا
بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
والله لقد قلنا قولا ذا شطط ذا بعد عن الحق مفرطا في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيانه
اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا ياتون هلا ياتون عليهم على عبادتهم
بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات
مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه
واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ
اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فيكون الاستثناء متصلا فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون
الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد

معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم
ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون
وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء
وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله
او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا
او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب
تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم
اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في
فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب
الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته
مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن
وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه
ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شأنهم وايواؤهم الى الكهف كذلك
او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو
المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة
ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا
مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود
نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول
الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم
اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله وقال انا احب احباء الله فناموا وانا
احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد
الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا
لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا
يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة ولعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن

وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث ناسا
فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب
رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل
بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث
ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم على غالب ظنهم لان
النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك
قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم في
يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا
ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى
المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو بكر وحمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف
وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد الادغام
لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر
ايها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف
في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى
الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها
يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة
وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم
وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان
وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان
الساعة القيمة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب فيها في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها
ثلث مائة سنين حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس
ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون
بينهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول تبعثان معا ليرتفع الخلاف
وتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون

تاسوا قومهم اول مرة وقالت طايفة تبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال اخرون لنتخذن
عليهم مسجدا تصلي فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ۝ ربهم اعلم بهم قال الذين
غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ۝ وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخايضين
في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين على عهد رسول الله عليه السلام فيهم او من المتنازعين
للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث
لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانهم وجد كنزا فذهبوا به الى الملك
وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس
فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبني عليهم
مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا
ثمة مسجدا سيقولون اي الخايضون في قصتهم في عهد رسول الله من اهل الكتاب والمؤمنين
ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول
السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او
العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا
به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه و
يقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول عليه السلام لهم عن جبريل و
ايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب
وبان اثبت العلم بهم لطايفة بعد ما حصر اقوال الطوايف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع
في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث و
بان دخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رض سبعة وثامنهم كلبهم
اسماؤهم مليخا ومكسلمينا ومسلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش
اصحاب يساره يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال
الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا
ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا

ولا تسال

ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم
بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه عليه السلام حين قالت
اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم
يستثن فابطا عليه اني فاعل فيما تستقبله الا ان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قايلا ان شاء
الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء
اقتران المشية بالفعل غير سديد واعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل
ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان
لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه
وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا اعتاق ولم يعلم صدق ولا
كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول
به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة
في الحث عليه او واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك ربك به ليبعثك على التدارك او اذكره
اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ۝ لشيء اعظم
رشدا واظهر دلالة على اني نبي صادق من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص
الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام
الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا
تسعا ۝ يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل
الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة
وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه
هاهنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف
ابدل السنين من ثلثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من
احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك
خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف
وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان

اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل على صيغة امر بمعنى الاستئناء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة
الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل واحد والباء
مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموت والارض من دونه
من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب
بالتاء والجزم على نهي كل احد من الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها
من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه
فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا
مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل
اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرا ابن كثير وعامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه
على تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك
الى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا وقرئ ولا تعد عيناك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول
عليه السلام ان يزدري بفقراء المؤمنين ويعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد
زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا
قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد
قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات
حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما
غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله
اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر كالقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر
ما ذكروه بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا
قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال
فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز
ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حال فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من
امن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه ان كان بمشيته فمشيته ليست بمشيته
انا اعتدنا للظالمين هيانا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل



الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش
يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم
يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف
بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة
قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من
احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى
عنه بعموم من احسن كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او وقع موقعه الظاهر فان من احسن
عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات او قوله اولئك لهم جنات
عدن تجري من تحتهم الانهار خبر وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر وخبر ثان يحلون فيها
من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من
الاحاطة وهو جمع اسورة جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من
سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الا
نفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها
وحسنت الارائك مرتفقا متكا واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين
او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن قيل اسمه يهوذا ورثا من ابيهما
ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وال امرهما الى ما
حكيه الله وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الله الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة
عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله عليه جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة
بتمامها بيان التمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة مؤزرا بها كرومهما يقال حفه
القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته
به وجعلنا بينهما زرعا وسطهما ليكون كل منها جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل
الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين اتى اكله
ولم تظلم منه ولم تنقص منه من اكلها شيئا يعهد في ساير البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في
عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان
له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع

أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حشما وأعوانا وقيل أولادا ذكورا لأنهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف
فيها ويفاخره بها وإفراد الجنة لأن المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على أنه لا جنة له غيرها ولا حظ
له في الجنة التي وعد المتقون أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأخرى أو لأن الدخول يكون في واحدة واحدة
وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما أظن أن تبيد هذه (الجنة) أن تفنى لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره
بمهلته وما أظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت إلى ربي بالبعث كما زعمت لأجدن خيرا منها من جنته وقرئ منهما أي
من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية وإنما أقسم على ذلك لاعتقاده
أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه لاستئهاله واستحقاقه إياه لذاته وهو معه أينما تلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره
أكفرت بالذي خلقك من تراب لأنه أصل مادتك أو مادة أصلك ثم من نطفة فإنها مادتك القريبة ثم سواك
رجلا ثم عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لأن منشأه الشك في
قدرة الله ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه لكنا هو
الله ربي ولا أشرك بربي أحدا أصله لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل حركتها أو دونه فتلاقت النونان فكان الإدغام
وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالألف في الوصل لتعويضها من الهمزة أو لإجراء الوصل مجرى الوقف وقد
قرئ لكن أنا على الأصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له أو ضمير الله والله بدله وربي
خبره والجملة خبر أنا والاستدراك من أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي
ولكن أنا لا إله إلا هو ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما
شاء الله الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كائن على أن ما موصولة أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية والجواب
محذوف إقرارا بأنها وما فيها بمشيئة الله إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها لا قوة إلا بالله وقلت لا قوة إلا بالله
اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها فبمعونته وإقداره وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا يحتمل أن يكون
أنا فصلا وأن يكون تأكيدا للمفعول الأول وقرئ أقل بالرفع على أنه خبر أنا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله
وولدا دليل لمن فسر النفر بالأولاد فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا أو في الآخرة لإيماني وهو جواب
الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر
بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الأعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا أرضا
ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها أو يصبح ماؤها غورا غائرا في الأرض مصدر وصف
به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده وأحيط بثمره وأهلك أمواله حسبما توقعه

صاحبه

صاحبه وأنذره منه وهو مأخوذ من أحاط به العدو فإنه إذا أحاط به غلبه وإذا غلبه أهلكه ونظيره أتى عليه إذا
أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعليا عليهم فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما أنفق فيها
في عمارتها وهو متعلق بيقلب لأن تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فأصبح يندم أو حال أي متحسرا
على ما أنفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بأن سقطت عروشها على الأرض وسقطت الكروم فوقها
ويقول عطف على يقلب أو حال من ضميره يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه
أتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق
منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الإهلاك
أو رد المهلك أو الإتيان بمثله من دون الله فإنه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان هنالك
ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له
وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة
كما نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه وقرأ حمزة
والكسائي بالكسر ومعناه السلطان والملك أي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه أو لا يعبد غيره
لقوله وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله يا ليتني لم أشرك
من اضطراره وجزعه مما دهاه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة وقرأ حمزة وأبو عمرو والكسائي الحق بالرفع
صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة
كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض هو كماء ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا لاضرب بمعنى صير
فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان
حقه فاختلط بنبات الأرض لكن لما كان من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته
فأصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من أذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله
بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير
كأن لم يكن وكان الله على كل شيء من الإنشاء والإفناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا يتزين
به الإنسان في دنياه ويفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد ويندرج
فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير أملا لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان

بامالها في الدنيا **ويوم نسير الجبال** واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو وتذهب بها ونجعلها هباء
منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت **وترى الارض بارزة** بادية برزت من تحت
الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول **وحشرناهم** وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد
نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون
الواو للحال باضمار قد **فلم نغادر** فلم نترك **منهم احدا** يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر
لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء **وعرضوا على ربك** شبه حالهم بحال الجند المعروضين
على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم **صفا** مصطفين لا يحجب احد احدا **لقد جئتمونا** على اضمار القول
على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير **كما خلقناكم اول مرة** عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد
جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله **بل زعمتم ان لن نجعل
لكم موعدا** وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى **ووضع
الكتاب** صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب **فترى المجرمين مشفقين**
خائفين **مما فيه** من الذنوب **ويقولون يا ويلتنا** ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات **ما لهذا الكتاب**
تعجبا من شانه **لا يغادر صغيرة** هنة صغيرة **ولا كبيرة الا احصاها** الا عدها واحاط بها **ووجدوا
ما عملوا حاضرا** مكتوبا في الصحف **ولا يظلم ربك احدا** فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم
لعمله **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس** كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود
بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين
حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في
زخارف الدنيا بانها عرضة للزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير
ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن **كان من الجن** حال باضمار قد او استئناف للتعليل
كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن **ففسق عن امر ربه** فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه
دليل على ان الملك لا يعصي ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة **افتتخذونه**
اعقيب ما وجد منه والهمزة للانكار والتعجب **وذريته** اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا **اولياء من دوني**
تستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي **وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** من الله ابليس وذريته
**ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم** نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض

واحضار

واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله **وما كنت متخذ
المضلين عضدا** اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق
العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع موضع الضمير ذما لهم واستبعادا
للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى
لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين
لديني وعضدا بالاتباع ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل و
عضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه **ويوم يقول** اي الله للكفار
وقرأ حمزة بالنون **نادوا شركائي الذين زعمتم** انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة
الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته **فدعوهم** فنادوهم للاغاثة **فلم يستجيبوا لهم**
فلم يغيثوهم **وجعلنا بينهم** بين الكفار وآلهتهم **موبقا** مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها
هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك
وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة **ورأى المجرمون النار فظنوا** فايقنوا
**انهم مواقعوها** مخالطوها واقعون فيها **ولم يجدوا عنها مصرفا** انصرافا او مكانا ينصرفون
اليه **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل** من كل جنس يحتاجون اليه **وكان الانسان اكثر
شيء جدلا** خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز **وما منع الناس ان يؤمنوا** من الايمان
**اذ جاءهم الهدى** وهو الرسول الداعي والقرآن المبين **ويستغفروا ربهم** من الاستغفار من الذنوب
**الا ان تأتيهم سنة الاولين** الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه **او يأتيهم العذاب** عذاب الآخرة **قبلا** عيانا وقرأ الكوفيون
قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة
وقبلا وقبلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب **وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين**
للمؤمنين والكافرين **ويجادل الذين كفروا بالباطل** باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا **ليدحضوا به** ليزيلوا بالجدال **الحق** عن مقره ويبطلوه من ادحاض
القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك **و
اتخذوا آياتي** يعني القرآن **وما انذروا** وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب **هزوا** استهزاء
وقرأ حمزة بالسكون وهو ما يستهزأ به **ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه** بالقرآن **فاعرض عنها**

فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عواقبها انا جعلنا على
قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير
وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
اذا ابدا تحقيقا وتقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول عليه السلام
على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة
الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة
رسول الله عليه السلام بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا
ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى اهلكناهم يعني قرى عاد وثمود واضرابهم و
تلك مبتدا خبره او مفعول مضمر مفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما
ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما
لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخر العذاب عنهم وقرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم
واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى
مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه
فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من
حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف و
اقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب
ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران
موسى والخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر عليه السلام كان بحر علم الباطن وقرئ
مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع
اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون
سنة وقيل سبعون روي ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة
فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر عليه السلام وهو بمجمع
البحرين وكان الخضر في ايام افريدون ملك وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عليه السلام
وقيل ان موسى عليه السلام سال ربه اي عبادك احب اليك فقال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال
الذي يقضي بالحق ولا يتبع قال فاي عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على

الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على
الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من
حيوته ووقوعه في البحر روي انه موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر
معجزة لموسى والخضر عليهما السلام وقيل توضا يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب
في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا
فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار
كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا
مجمع البحرين قال لفتاه اتنا غداءنا ما يتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب
حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى
عليه السلام في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا ارايت ما دهاني اذ اوينا
الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى عليه السلام وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني
نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتراض اعتذار
عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة
امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره
الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم
احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا
سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب واتخاذ عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر
اي قال في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى عليه السلام اي اتخذ
موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على اثارهما
فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او مقتصين حتى
اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل الياس وقيل اليسع اتيناه
رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوقيفنا وهو علم الغيوب
قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا

ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول
علمت العايد المحذوف وكلاهما منقول من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لا اتبعك
او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين
فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى
في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وساله منه ان يرشده وينعم
عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه **قال انك لن تستطيع معي صبرا** ۝ نفي عنه استطاعة الصبر معه
على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله **وكيف تصبر على ما لم تحط
به خبرا** ۝ اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا
تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره **قال ستجدني ان شاء الله صابرا** معك غير منكر عليك **ولا اعصي
لك امرا** ۝ عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما
للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل
على ان افعال العباد واقعة بمشية الله **قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء** فلا تفاتحني بالسؤال عن
شيء نكرته مني ولم تعلم وجه صحته **حتى احدث لك منه ذكرا** ۝ حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر
فلا تسألني بالنون الثقيلة **فانطلقا** على الساحل يطلبان السفينة **حتى اذا ركبا في السفينة خرقها**
اخذ الخضر عليه السلام فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها **قال اخرقتها لتغرق اهلها** فان
خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي
ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل **لقد جئت شيئا امرا** ۝ اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم **قال الم اقل
انك لن تستطيع معي صبرا** ۝ تذكير لما ذكره قبل **قال لا تؤاخذني بما نسيت** بالذي نسيته او شيء
نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي
عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان **ولا ترهقني من امري عسرا** ۝ ولا تغشني عسرا
من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه
يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين **فانطلقا** اي بعد ما خرجا من السفينة
**حتى اذا لقيا غلاما فقتله** قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة
على انه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك **قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس** اي
طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو

والزاكية لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ
الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا
او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستانفا
وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان
يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله **لقد جئت شيئا نكرا** ۝ اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش
وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس **قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا** ۝ زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر
لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة **قال ان سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني** وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك
**قد بلغت من لدني عذرا** ۝ قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم
الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بتحريك واسكان الدال
اسكان الضاد من عضد **فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية** انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية
**استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما** وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه
وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال **فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض**
يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة مجازا كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء
ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته
اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة
من انقاصت السن اذا انشقت طولا **فاقامه** ۝ بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه **قال
لو شئت لاتخذت عليه اجرا** ۝ تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من
معنى النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ
كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير
ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون **قال هذا فراق بيني وبينك** ۝ الاشارة الى الفراق الموعود بقوله
فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض على الاصل **سانبئك بتاويل ما لم تستطع
عليه صبرا** ۝ بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر **اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر** لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع

الملك وقدامهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها
ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل منوار بن جلندي
الازدي يأخذ كل سفينة غصبا ⊙ من اصحابها وكان من حق الكلام ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها
عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع
الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه الاخر على سبيل التقييد والتتميم
وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما ان يغشيهما
طغيانا وكفرا ⊙ لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان
وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله
اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل الولدان
فكتب اليه من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه
ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية وأقرب رحما ⊙ رحمة وعطفا
على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو
ويعقوب رحما بضم الحاء والباقون بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة وأما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب
وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما
وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب
كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أبوهما صالحا
تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان
سياحا واسمه كاشح فأراد ربك أن يبلغا أشدهما اي الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك
مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة ولعل اسناد الارادة اولا الى
نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا
الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف
حال العارف في الالتفات الى الوسائط وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك وما فعلته
اي ما فعلت ما رأيته عن أمري عن رأيي وانما فعلته بامر الله ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما

لدفع اعلاهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ⊙
اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه وان لا يبادر الى انكار ما لا
يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه
ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم
وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه
قرنان من الناس وقيل كان له ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش
للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا
او مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا ⊙ خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله تعالى إنا مكنا
له في الأرض اي مكنا له امره من التصرف فيه كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه
اليه سببا ⊙ وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والالة فأتبع سببا ⊙ اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا
يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في
عين حمئة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا
تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها
ولعله بلغ ساحل البحر المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح نظره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل
كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد
الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ووجد عندها عند تلك
العين قوما ⊙ قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم
او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب اي بالقتل على كفرهم وإما أن تتخذ
فيهم حسنا ⊙ بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا
في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا
اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه
انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا شديدا منكرا لم يعهد مثله وأما من آمن وعمل صالحا
وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي وحفص جزاء منونا
منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ
منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز

ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر
على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله تعالى اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول
له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا
طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني
الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان طلوع
الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم
لا تمسك الابنية او لانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك
او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او
صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود
والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط
به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب
والشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل
جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح
لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو
من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة
فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا ياذا القرنين اي
قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان
من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم وهما اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتانيث
والتعريف مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع
فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا
نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض و
الذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم وقد ضمه من ضم السدين
غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخرج

ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات
اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان فيه رقاع فوق
رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة
لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر
الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى
بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد
وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال وبفتح الصاد وضم الدال وكلاهما لغات من الصدف وهو
الميل لان كلا منهما منعدل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد
حتى اذا جعله نارا جعل المنفوخ فيه كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا
مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول للدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على اعمال الثاني من العاملين المتوجهين
نحو معمول واحد اذ لو كان قطرا معمولا لآتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر
قال ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا
بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه
وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل من الصخر والنحاس
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت
كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور
مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا السد او الاقدار على تسويته
رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان
شارف يوم القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط
السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو
آخر كلام ذي القرنين عليه السلام وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج
حين يخرجون من وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون
انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا

للذكر وكلا في الافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهولاء كانهم اصمت مسامعهم
بالكلية أفحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار أن يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح
من دوني أولياء معبودين نافعهم اولا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان
يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسبه
فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ○ ما يقام
للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا ○ نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخرتهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب
السوال والجر على البدل والنصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ○ لعجبهم واعتقادهم انهم
على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث
على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ○
فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك
وقوله تعالى جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم
به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤه خبره وجهنم عطف بيان الخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا
بسبب ذلك إن الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من
حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال
مقدرة لا يبغون عنها حولا ○ تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به
توكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج مدادا
لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر اي لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد
كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا ○ زيادة ومعونة
لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة
على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة
وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن
وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد
وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقايه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله



ولا يشرك بعبادة ربه احدا ○ بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله
عليه السلام اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا
له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصة العلم
والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي عليه السلام من قراها عند مضجعه كان له نور
في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة
كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه
السلام من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت نورا من الارض
الى السماء تم النصف الاول من
التفسير البيضاوي في
شهر الرمضان في يوم
الثاني والعشرون
في وقت الاول
في سنة ثمانين
واثنا عشر من
الهجرة النبوي
م م م

قاریا برمن مکن قهر و عتاب گر خطائی رفته باشد در کتاب ان خطائی رفته تصحیح کن

والله اعلم بالصواب